جامعة وهران 2
كلية العلوم الاجتماعية
قسم علم الاجتماع

أطروحة

لنيل شهادة دكتوراه علوم

في علم الاجتماع تخصص: أنثروبولوجيا

الزوايا والنزاعات السياسية الإقليمية مقاربة أنثروبولوجية

لزاويتي مولاي التوهامي وإيداو علي سيدي إبراهيم بإقليم توات - أدرار-

إعداد الطالب:

محمود هيري

الأستاذ المشـــرف:

أ.د: مولاي حاج مراد

تشكلية لجنة المناقشة

الصفة	الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء
رئيساً	مصطفى زاوي	أستاذ	جامعة وهران –2–
مشرفاً	مراد مولاي حاج	أستاذ	جامعة وهران –2–
مناقشا	حفصة العقعاق	أستاذة محاضرة – أ–	جامعة وهران –2–
مناقشا	مصطفى راجعي	أستاذ	جامعة مستغانم
مناقشا	محمد مكحلي	أستاذ	جامعة سيدي بلعباس
مناقشا	حاج ميلود بن عطية	أستاذ محاضر – أ–	جامعة معسكر

الموسم الجامعي

2026/2025

إهـــــداء

الحمد لله والصلاة على رسول الله

تحية خالصة وبعد:

اهدي ثمرة جهدي إلى:

روح الوالدين الطاهرة اسكنهما الله روضة من رياض الجنة وأكرم منزلهما وطيب

مدخلهما وجعل مثواهما الجنة آمين.

إلى إخواني وأخواتي كل واحد باسمه حفظهم الله ورعاهم.

إلى زوجتي الطيبي منى وأبنائي أريج وآدم

إلى كل من يحمل لقب هيري والطيبي

إلى الأستاذ الدكتور المشرف مولاي حاج مراد وكل من ساندنا في

انجاز هذا العمل بتوجيهاته

الشكروالعرفان

نتوجه بالشكر لله تعالى على فضله وعطائه.

كما نتوجه بالشكر والعرفان والتقدير والاحترام إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في انجاز هذا العمل.

إلى الأستاذ الدكتور "مولاي حاج مراد " الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته شرفه الله وطيب ممشاه.

فهرس المحتويات

إهـــــداء.....

الشكر والعرفان.....

فهرس المحتويات.....

مقدمة عامة:..... 1

I-1 الإشكالية: 6

I-2 الفرضية: 8

I-3 منهجية البحث:..... 9

I-3-1 المقاربة الميدانية: 9

I-3-2 المقاربة الأنثروبولوجية التاريخية:..... 14

II-1 أصل تسمية إقليم توات..... 15

II-2: التحديد الجغرافي لإقليم توات 18

II-3: تضاريس ومناخ إقليم توات: 23

II-4 أصول المجتمع التواتي..... 25

II-05 تراتبية المجتمع التواتي:..... 28

II- 06 الحياة الاجتماعية بتوات:..... 30

II- 07 الزاوية التواتية: 31

II- 08 الزاوية الايداوعلية بتوات:..... 39

II- 09 زاوية مولاي التهامي غيتاوي بتوات: 42

II- 10 الدور الثقافي والاجتماعي للزاوية التواتية: 43

II- 11 الزاوية التواتية إبان الإستعمار الفرنسي: 45

الفصل الأول: بين مجالي الزاوية والسياسة

تمهيد: 48
I/ الزاوية:..... 48
I/1- الزاوية في اللغة وإصطلاح: 48
I/1-1 الزاوية في اللغة: 48
I/1-2 الزاوية في الإصطلاح العام. 50
I- 2- الزاوية: بالمنظور الصوفي: 58
I- 2-1: الفضاء الصوفي للزاوية:..... 58
I/ 2-2: المجسم الصوفي للزاوية: 62
I/ 2-3 المرتكزات الأساسية للزوايا والطرق الصوفية: 79
I/ 2-4 البنية التنظيمية للزوايا (نوعية الحضور المنظم داخل الحقل الديني):..... 82
I/ 2-5 تأسيس الزاوية الصوفية:..... 84
I/ 3- الزاوية في دراسات المرحلة الاستعمارية (الكولونيالية) 89
I-3-1 إدوارد مونتيEdouard Montet 89
I-3-2 روبير مونطانيRebert Montagne 90
I-3-3 ألفرد بيلAL Fred Bel 90
I-3-4 تعقيب 91
I-4 الزاوية في دراسات الأنثروبولوجيا الأنجلوسكسونية:..... 92
I-4-1: ديل إيكلمان Dale . F.Eickelman..... 93

I-4-2 تأويلية: كليفورد غيرتر Cli Ford Geertz 94
I-4-3: إنقسامية أرنست غيلنر Ernest Gellner 95
I-4-4: تعقيب..... 98
I-5 الزاوية في الدراسات الأنثروبولوجية..... 101
I-5-1: المقترب الأنثروبولوجي..... 101
I-5-2 بعض الأطروحات العربية المهتمة بعلاقة السياسي بالديني 102
I-6 خلاصة التعاريف 108
II-النزاع:(Le Conflit)..... 109
II-1-1: النزاع في اللغة: 109
II-1-2 النزاع اصطلاحاً:..... 110
III- النزاع السياسي (Le Conflit Politique)..... 110
IV- الإقليم Region..... 111
IV-1: الإقليم في اللغة:..... 111
IV-2: الإقليم في الاصطلاح:..... 111
V- النزاعات السياسية الإقليميةConflits Politques règionaux 112
VI- الدبلوماسية..... 112
VI-1: الدبلوماسية في اللغة : 112
VI-2: الدبلوماسية في الاصطلاح:..... 114
VII-الوساطة Mèdiation 116

الفصل الثاني: الإرتباط الروحي للزاوية التو اتية بإفريقيا جنوب الصحراء (دولة مالي)

تمهيد: 119

I- التواصل التجاري بين توات والسودان الغربي. 119

I- 1- القوافل التجارية ودورها في مد جسور التواصل الحضاري بين البلدان المغاربية وبلاد السودان الغربي..... 119

I- 2 التبادلات التجارية عبر منطقة توات نحو بلدان الساحل الإفريقي: 121

II- التواصل الثقافي بين توات والسودان الغربي: 124

III- التأثير الديني للزاوية التواتية في السودان الغربي. 126

III- 1 جهود الشيخ بن عبد الكريم المغيلي العلمية في السودان الغربي:..... 126

III-2 حوارات المغيلي مع من التقى بهم في إفريقيا: 128

III-3 الدور الديني للزاوية الكنتية في السودان الغربي:..... 128

III- 4 قدوم الطلبة الأفارقة للدراسة في توات وتأثرهم بمؤلفات التواتيين:..... 131

IV- قداسة الزاوية التواتية ومكانتها الرمزية في إقليم أزواد شمال مالي: 132

IV-1 العوامل المساهمة في التواصل بين توات والأزواد..... 132

IV-2 الاستقاب الإقليمي للزاوية التواتية: 133

IV-3 السلطة الرمزية الصوفية للزواية التواتية:..... 134

الفصل الثالث: الزاوية التو اتية والتداخل بين الديني والسياسي.

تمهيد: 138

I- السياق التاريخي لازداوجية الدور السياسوديني للزاوية:..... 138

I-1 الزاوية والصوفية في عهد الموحدين:..... 139

I-2 الزاوية والصوفية في عهد العثمانين: 140
II- حاجة السياسي للزاوية ونفوذها الإجتماعي والديني: 142
II-1 الارتباط الوثيق للزاوية التواتية بمحيطها الإجتماعي: 142
II- السلطة السياسية والسلطة الدينية: (الدمج الوظيفي) 143
II-3 سلطة الزوايا والسلطة السياسية: (تداخل النفوذ والصلاحيات) 145
II-4 الزاوية والسياسة: (نموذج الشيخ والمريد) 148
III- أزمة الأزواد مع الحكومة المالية ومقاربات الجزائر حيال هذه الأزمة: 149
III-1 خلفيات الصراع في مالي وبعض مسارات التعبير عنه: 149
III-2 ظهور الحركات الطوارقية المسلحة: 152
III-3 الوساطة الجزائرية في النزاع المالي مع الأزواد: 153
III-4 البعد الثقافي المحدد للسياسة الخارجية في النزاع المالي: 154
III-5 الدبلوماسية الروحية والدينية: 155
III-6 أهمية الدبلوماسية الروحية للجزائر إتجاه إفريقيا: 156

الفصل الرابع: واقع النفوذ السياسي للزوايا التواتية في تسوية نزاع الأزواد شمال مالي

تمهيد: 159
I- مجال اهتمام السلطة السياسية في الجزائر بالزوايا: 159
I-1 الإتحاد الوطني للزوايا الجزائرية: 160
I-2 الجمعية الجزائرية للزوايا والثقافة الصوفية: 160
I-3 اللجنة الوطنية للزوايا والمشايخ والأعيان والعقلاء: 161
I-4 رابطة علماء الجزائر: 161

I-5 إستحداث منصب مستشار رئيس الجمهورية المكلّف بالزوايا: 161
II- الواقع الإجتماعي لحضور الزاوية داخل وخارج إقليم توات: 162
II-1 هل نقول زاوية أم مدرسة قراءنية أم زاوية طرقية؟ 162
II-2 الطريقة الكنتية وامتدادها الروحي للأزواد: 164
III- جهود وساطة الزوايا بين توارق الأزواد والحكومة المالية: 166
III- الرابط الديني بين توات والأزواد وتأثيره السياسي في الوساطة: 167
IV- الشيخ المعروف ايداوعلي وجهود الوساطة في النزاع شمال مالي: 169
V- الشيخ مولاي التهامي غيتاوي رحمه الله وجهود الوساطة في النزاع شمال مالي: 172
الاستنتاج العام: 177
خاتمة: 181
قائمة المراجع: 187
دليل معطيات المقابلة الميدانية: 199
ملخص الدراسة: 200

مقدّمة عامة

مقدمة عامة:

يعتبر الوسط المغاربي مجال ثقافي غني بكل الأنماط الثقافية وخصوصاً ما تعلق منها بالدين والمؤسسات الدينية وما له علاقة بأشكال التدين (الفقهي/الشعبي) وأثر كل هذا على متخيل الجماعة والذي يعكس سلوكاً رمزياً، يستدعي من الباحث وصفه وصفاً مكثفاً، وتأويل هذا الوصف ودلالاته، ولعلّ من أبرز العلوم التي تنبري لدراسة هذه الظواهر هي الأنثروبولوجيا. فقد تعددت الدراسات الأنثروبولوجية التي تهتم بالتدين الشعبي داخل المجال المغاربي خصوصاً الزوايا وما يرتبط بها من وسط روحي ومكانة رمزية داخل هذا الوسط الذي يمتدُّ لنفوذها في كل مناحي التعليم والتربية والفتوى والإطعام وإصلاح ذات البين وغيرها من الأدوار التي تتطلع لها مؤسسة الزوايا مستغلة قداستها في الوسط المغاربي ومرجعيتها التاريخية الدينية داخل هذا الوسط.

وتأتي أهمية دراسة (الزاوية) في البحث عن حضورها القوي داخل النظام الإجتماعي والديني وإبراز مدى مكانتها الروحية والإجتماعية عند أتباعها ومريديها. بل تتطلع أحياناً إلى الحقل الإجتماعي واستغلال ذلك لممارسة عنف رمزي اتجاه جماعاتها يجعل خطابها مستساعاً بينهم وتسعى إلى إعادة إنتاجه باستمرار بما يخيم آليات بقاء نفوذها الديني والسياسي. وحضور الباحث كونه إبن بيئته يجعله قريباً من ملاحظة وتأويل الظواهر الخاصة بالزوايا لذا يدفعه الشغف الشخصي لخوض غمار البحث عن أدوار الزاوية لاسيما السياسي منها، كما أن قراءاته حول الموضوع تجعل من هذا الأخير ذا قيمة علمية، تفرض على الباحث توخي أقصى درجة الموضوعية في تناول الموضوع ومقاومة كل الضغوط الذاتية الآتية من كونه يدرس وسط إجتماعي نشأ فيه وتشبّع بقافته المحلية. «فالموضعية الإجتماعية لأي باحث يدرس مجتمعه ملتبسة، فاختيار موضوع الدراسة كما هو الحال بالنسبة لكل فترات سيرورة البحث يتم في سياق أكاديمي واجتماعي بمصالحه وقيمه المتضاربة سينظر إلى موضوع دراسة ما كقيمة مشروعة أو كظاهرة منبوذة لا تستحق أي

إهتمام أو خطيرة لن تجلب إلاّ المتاعب. فاختيار هذا الموضوع أو ذاك هو بالفعل إلتزام وقرار يمتزج فيه ما هو أكاديمي بما هو إجتماعي وسياسي»[1] وهذا بالتحديد إذا كان الموضوع يثير حساسيات إجتماعية أو كان عبارة عن طابو لا تريد الجماعة تعريته أو دراسته. «فلم يقتصر التدين الشعبي الذي طبع في غالب الأحيان بطابع صوفي على شريحة إجتماعية دون أخرى، فقد إنتشر كفكر وكاعتقاد عند العامة والفئات المحرومة مثلما إنخرط فيه عدد الفقهاء والعلماء إلى حدّ تحول بعضهم إلى لسان دفاع عن هذا التيار، أما أهل السلطة وأعوانهم ففيهم من آثر الصمت والسكوت تجاه إتساع تلك الظاهرة تجنباً للتصادم، وفيهم من عمل على التقرّب من بعض رموز "الصلاح" وتوظيفهم بغاية نشر سلطة الدولة وتأييد حكمهم مقابل التغاضي عن السلطة المعنوية التي إكتسبها بعض ممن نسب إليهم "الصلاح" و"الولاية"»[2] هذا في السياق التاريخي لعلاقة الزاوية بالسياسة، وفي نفس السياق عن علاقة التدين الشعبي بالزاوية، «فالتصوف أو التدين الشعبي يمكن أن يكون ملجأ للفئات المهمشة، من بربر أو سود، أو ملجأ المرأة لتلبية حاجياتها الروحية والإجتماعية، والزاوية هي أيضاً ملجأ للمستجيرين من جور الحكام وأعوانهم وللفقراء المهمشين والجياع، لكن هذا الطرح يجب ألا ينسينا إنتساب ممن وسموا بـ(النخب العالمة) والذين أعلنوا إنتسابهم إلى زاوية أو طريقة معينة. مما يقف دليلاً أن التدين الشعبي لم يستقطب فقط المهمشين والمعدومين، بل تسرّب أيضاً إلى أوساط كانت في أوقات سابقة مناوئة له».[3]

تعددت الدراسات الواردة على الزوايا حيث تناولها الاتجاه الكولونيالي من جانب كونها (بقايا وثنية) وحاول الإتجاه الأنجلوسكسوني الإبتعاد عن هذا الوصف فوضع الزاوية ضمن

[1] حسن رشيق، أولويات البحث السيوسيولوجي في العالم العربي، تحليل موافق ومقترحات، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والإجتماعية، 2022، ص 16.

[2] عادل النفاتي، المجتمع والجغرافية الثقافية لبلاد المغارب، حفريات في أدب الرحلة –القرن 16، إفريقيا الشرق، المغرب، 2015، ص 135.

[3] عادل النفاتي، مرجع سابق، ص 145.

الطرح الإنقسامي أو الوصف المكثف. أما الأطروحة المهتمة بالوسط المغاربي فقد كانت أكثر إلتصاقاً بواقع الزاويا وحضورها الإجتماعي والسياسي على غرار ما تناوله عبد الله حمودي في (الشيخ والمريد) أو الأستاذ عبد الرحمان موساوي. وبالرغم من الطرح الواقعي للأطروحة المهتمة بالوسط المغاربي حول الزوايا إلا أنه لا يمكن تعميم نتائجها نتيجة إختلاف المتخيل الشعبي إتجاه الزاوية من مجال إجتماعي إلى آخر، ولقد خصصنا هذا البحث كما سيأتي لمنطقة الجنوب الغربي الجزائري وبالتحديد ولاية أدرار وإقليمها التواتي وما يحتويه من زوايا دينية صوفية متعددة، محاولين إبراز الدور الأساسي للزاوية التواتية وعلاقتها بصانع القرار السياسي بالجزائر، خاصة ما تعلّق بحل النزاعات المحلية أو السياسية الإقليمية، واخترنا ذلك تحت عنوان التالي: «**الزوايا والنزاعات السياسية الإقليمية، مقاربة أنثروبولوجية لزاوتي، مولاي التوهامي وايداوعلي سيدي إبراهيم بإقليم توات – أدرار**» كما قمنا بتقسيمه إلى مقدمة عامة وخمس فصول نلخصها كما يلي:

- مقدمة عامة: وقد تم إبراز مؤسسة الزاوية داخل الوسط المغاربي، كونها نسق ضمن التدين الشعبي، وواقعها بالجزائر عموماً وإقليم توات بأدرار خصوصاً، ودورها الديني والإجتماعي الذي أهلها تاريخياً لتولي الدور السياسي، إضافة إلى أهمية تناول موضوع الدراسة الذي بين أيدينا والمتمثل في الدور السياسي في حل النزاعات الإقليمية.
- الفصل الأول: وكان بعنوان (إطار البحث النظري والميداني)، وتم تقسيمه إلى جانبين، الجانب الأول يتناول الإطار المنهجي للدراسة ويشمل إشكالية وفرضية البحث، والمقاربة المنهجية في جمع وتحليل المعطيات الميدانية للدراسة. أما الجانب الثاني فيحمل المعطيات المادية الطبيعية والتاريخية، وتضمن عرض مونوغرافي لمكان الدراسة، وهو ما يساعد على تحليل الرموز الثقافية وتأويلها ضمن السياق الديني والسياسي للبحث.

- الفصل الثاني: وجاء بـ (المفاهيم الأساسية للبحث)، وأهمها مصطلح الزاوية، ومدلولها العام والأنثروبولوجي، وهذا للبحث عن أقرب المفاهيم إلى الجانب الإجرائي للبحث، ويساعد على اختبار فرضية الدراسة وتحليل ذلك في السياق العام لإشكاليته.
- الفصل الثالث: وخصص لدراسة الإمتداد الروحي للزاوية خارج مجالها المجتمعي، وكيف أصبحت مرجعية دينية واجتماعية داخل هذا المجال وخارجه حيث تتمتع بنفوذ وسلطة رمزية دينية تجعلها مرجعاً في الفتوى وحل النزاعات الإجتماعية والقبلية، وتحليل كل هذا ضمن المقاربة الأنثروبولوجية وأدواتها إرتباطاً بميدان الدراسة والفاعلين داخله.
- الفصل الرابع: تم التعرض للزاوية كسلطة دينية وعلاقتها بالسلطة السياسية، وإشكالية تنافس السلطتين على النفوذ المجتمعي أو تساندهما في تحقيق أهدافهما بما يخدم كل منهما حيث تتجلبب السياسة بلباس الدين، وتبرر الزاوية تصرفاتها وهذا المظهر يتطوّر إلى اعتماد السياسي على شيخ الزاوية حتى في الأدوار الدبلوماسية والوساطة حيث تنتقل السلطة السياسية من المقاربة الأمنية إلى الروحية والدينية.
- الفصل الخامس: تناول واقع الجهود الإصلاحية للزاوية في توات وحلها للنزاع السياسي الإقليمي في شمال مالي، والمبادرات التي تمت هندستها من طرف شيوخ زوايا المنطقة.

خاتمة عامة: وكانت في شكل حصيلة عامة لنتائج البحث والنتائج المتوصل إليها في ضوء إختيار فرضياته وتحليل كل هذا وتأويله.

I-1 الإشكالية:

تعتبر المؤسسة الدينية من أهم البناءات المكونة للمجتمع الجزائري. ولعلّ الزاوية رمزاً من رموز هذه المؤسسة، والتاريخ الثقافي والديني للجزائر يظهر الدور الكبير للزوايا في تعليم الناس أمور دينهم وموعظتهم لإصلاح ذات البين بينهم. بل حتى إبان الاستعمار الفرنسي، كانت الزاوية ثغوراً للجهاد والحث على بذل النفس والمال لأجل ذلك، والتصدّي لمخططات المستعمر الرامية لضرب ثقافة ودين المجتمع الجزائري، حيث عملت الزاوية على نشر العلم والمعرفة ومنع تجهيل الجزائريين، إضافة إلى إيواء المستضعفين والفقراء وعابري السبيل، وقد قدمت الزوايا دورها التاريخي فترة الإستعمار الفرنسي إلا من تخلّى منها عن هذا الواجب وتماهى مع رغبات المستعمر. ولما استعادت الجزائر عافيتها واصل الجزائريون تمسكهم بمرجعيتهم الدينية والتي تجد في الزاوية ملاذاً روحيا لها، خصوصاً في الجنوب الجزائري الكبير وبالتحديد (إقليم توات بولاية أدرار) وما يشهده من كثرة الزوايا في مجاله الحضري والديني سواء كانت صوفية أو طرقية، وإن كان البحث يتم فيه التركيز على (توات الوسطى) وعلى الزوايا الصوفية دون الطرقية، لأنه يهدف إلى معرفة الأدوار السياسية للزاوية بالإضافة إلى الدينية منها، وما له علاقة بفض النزاعات سواء كان ذلك داخل المجتمع التواتي أو ينسحب على أتباع الزاوية في حدود الجزائر بالجنوب الكبير وشمال مالي.

إن أهمية موضوع الزوايا ودورها في حل النزاعات السياسية الإقليمية وقيمته العلمية تتأكد بالنظر إلى التساؤلات المطروحة عن التناقض أو التوافق بين السلطة الدينية والسلطة السياسية، أو التنافس بين السلطتين، وأي منها يكون له نفوذ أكبر داخل المجتمع وإستقطاب كبير للأتباع والمريدين. خصوصاً وأن السلطة الجزائرية كانت تبدي إلى وقت قريب إهتماماً كبيراً بالزوايا وتوسيع صلاحياتها الدينية وتنظيم ذلك في منظمات وجمعيات ومراكز قانونية وتطرح أهمية الموضوع تساؤلات لا يمكن فهمها إلا من خلال إشكالية هذا البحث. فمجال أي زاوية أو مؤسسة دينية لا يتمدد إلاّ إذا كان له نفوذ روحي وكان متنفساً لأتباعه ومريديه،

إضافة إلى النفوذ المادي الذي يحافظ على زخم هؤلاء الأتباع ويستقطب العديد منهم، لأن إيواء الفقراء والمحتاجين وعابري السبيل وطلبة العلم يتطلب رأس مال مادي من المحسنين والأوقاف والأحباس التابعة لها. ويزيد كل هذا قوة تدخل السلطة السياسية ومساندتها للزوايا بمنحهم أراضي وعقارات وهبات مالية. كما لا تخوض السلطة السياسية تاريخياً صراعاً مع الزوايا خصوصاً في المغرب الكبير، لأنها تخشى قيام هذه الأخيرة بتحريض أتباعها على هذه السلطة ونعتها بالمدنس الواجب عصيانه مقابل المقدس الزاوياتي المطلوب طاعته. لذا تتجلبب السياسية بالزاوية كي تحافظ على بقائها وتواصلها مع المجتمع.

فالمجتمع الجزائري لازال يحمل في مخيلته قداسة نحو الزوايا كونها مرجعية دينية له خصوصاً في الفقه المالكي، وما تحتويه من أضرحة لشيوخها ومؤسسيها تقام لهم الزيارة سنوياً ترحماً عليهم. وحتى الطبقة المثقفة والسياسية تدين بالولاء والقداسة للزوايا والمدارس الدينية والصوفية، بل نجد تاريخياً أن العديد من زعماء وقادة دول إفريقيا الغربية كانت لهم مرجعيات صوفية طرقية. وهذا الكيان الروحي يمارس عنفاً رمزياً على أتباعه ومريديه ويحظى برأسمال ديني ومالي تضيف له السياسة رأسمال سياسي. يجعل من الزاوية أداة للمحافظة على المرجعية الوطنية للجزائر وإستقرارها وتنخرط في الحفاظ على الهوية والدين الإسلامي في الجزائر.

وتأتي الأهمية العلمية للبحث في علاقة الزاوية بالنزاعات السياسية في الأبحاث والقراءات المادية الواردة على هذا البحث، فالمرجعيات الكولونيالية وقوالبها الجاهزة اعتبرت الزاوية نوعاً من (البقايا الوثنية) أما الأنجلوسكسونية فتزعمتها (الأطروحة الإنقسامية) لأرنست غيلنر معتبراً الزوايا وصلحائها وظيفتهم الصلح بين القبائل دون سلطة مركزية. وكليفود غيرتز الذي اعتبر أن الزاوية رمزاً ديني يخضع لوصف مكثف لتحليل جوانبه الثقافية. أما الأطروحات المهتمة بعلاقة السياسي بالديني نجد (عبد الله حمودي) في دراسته (الشيخ والمريد) ينطلق من فكرة قلب أدوار المريد إتجاه شيخه بغية وصوله للمشيخة ويعمّم

أدوار المريد على جميع التنظيمات والأنساق السياسية. إضافة إلى دراسة (العماري الطيب) حول (الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر) وكيفية التحوّل من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي.

وفي هذا الإطار فإن الزوايا في توات الوسطى جنوب الجزائر شهدت نشاطاً وإهتماماً كبيراً من طرف السلطة السياسية خصوصاً إبان فترة حكم المرحوم عبد العزيز بوتفليقة، وتقلّد العديد من مشايخها مناصب في جمعيات وطنية أو لجان العقلاء كما توسّع دورها الديني والإصلاحي وأصبحت مراكز إستقطاب كبرى في الجنوب الكبير بإقامتها للعديد من المؤتمرات والملتقيات المهتمة بالشأن الروحي للزوايا ومرجعيتها الدينية. ولعلّ زاويتي إيداوعلي سيدي إبراهيم ومولاي التهامي من أبرز الزوايا التواتية التي كان لها نشاطاً دينياً ومنفتحة على الأنشطة الثقافية والسياسية بما يصاحب ذلك من مساندة أتباعها سواء عوام أو مثقفين، رغم معارضة البعض منهم أو من لا تجمعهم صلة بإيديولوجية الزوايا، ومن هنا تأتي دراستنا لموضوع الزوايا والنزاعات السياسية الإقليمية محاولين فهم كيفية تحوّل هذه المؤسسة الدينية من الديني إلى السياسي، وذلك من خلال التساؤل التالي:

فيما يتمثل الأثر الذي سيخلفه الحضور القوي للزوايا في الجنوب الغربي على السياسة الجزائرية؟ وما هي أهم مبررات هذا الأثر وتجسيداته على أرض الواقع؟ وما هي الآليات التي تضمن إستمرار الدور الديني والسياسي للزاوية خصوصاً ما تعلّق منه بحل النزاعات الإقليمية بالحدود الجنوبية للجزائر؟ وإلى أي مدى يمكن أن يكون للزاوية دور في السياسة الجزائرية من خلال حل النزاعات الداخلية والإقليمية؟

I-2 الفرضية:

سنحاول في هذا البحث الإنطلاق من فرضية مفادها:

- تلعب الزاوية دوراً دينياً في المجتمع المغاربي عموماً والجزائر خصوصاً إضافة إلى الدور الثقافي المتمثل في زرع ثقافة التسامح والصلح بين الناس مما يعطيها شرعية حل بعض النزاعات بين الناس أو بين الزوايا داخل مجالها الإقليمي.
- الخطاب الديني للزاوية لم يعد مقتصراً على التصوف والإنغلاق على الذات بل أصبح له بعد سياسي أملته عليها السياقات الجديدة للسلطة السياسية.

فاختبار فرضيات الدراسة يظهر في ضوء علاقة الزاوية بالسياسة إمّا بالتوافق أو التناقض، وإذا كان هناك توافق بين السلطتين فهذا يفتح التنافس على مراكز النفوذ داخل المجتمع أو تقاسم هذه المراكز بما يخدم مصلحة السلطتين، مع بيان الآليات التي تعمل على استمرار دور الزاوية تحت عباءة السلطة ومدى إهتمام هذه الأخيرة بجهودها الإصلاحية والإجتماعية.

I-3 منهجية البحث:

نحاول من خلال البحث التطرّق إلى ما هو حاضر في واقع الزاوية في وقتنا المعاصر وإلى ما هو تاريخي يربط الزمن الماضي لها بدورها الحالي وذلك بغية إيجاد العلاقة بينهما، مركزين على دور الفاعلين من شيوخ وأعيان الزوايا ومهندسي عمليات الصلح، وذلك ضمن المجال الروحي الذي تمارس الزاوية نفوذها عليه، وهذا بمقاربة أنثروبولوجية تاريخية، ومقاربة ميدانية إمبريقية، في شكل متكامل بينهما، وما يستدعيه ذلك من أدواة ومناهج حسب ما تمليه طبيعة المقاربتين في الدراسة.

I-3-1 المقاربة الميدانية:

العلوم الإجتماعية هي علوم نقدية تسعى إلى تعرية الواقع وسبر أغواره وتقديم "الواقع" كما هو وربما بشكله الصادم والإهتمام بالتفاصيل المعيشية الدقيقة بوصف كثيف، بحسب تعبير (غيرتز) والإهتمام بالمعرفة المحلّية بحسبه مرة أخرى، إضافة إلى أن أمثال هذه الدراسات تحتاج من ناحية إلى موافقات رسمية ليتمكن بعض الدارسين من القيام

بدراساتهم الميدانية، أو قد يرى البعض أنها تسيء إلى الصورة العامة التي يرغب المسؤولون في تصوير مجتمعهم وتقديمه بها، وتشير جماهير المثقفين أنها وسيلة للإهتمام بالعادي واليومي على حساب الأهم والمصيري من القضايا العامة، وإجمالاً لا تشكل سوى ما يشوّه الصورة "الجميلة" وغالباً ما تنطلق أمثال هذه الدراسات من اهتمامات تجعل الواقع المعيشي "رأس مال رمزياً ومادياً" جديراً بالدراسة والتأمّل والتناول العام. وفي مجتمعنا تعد أمور المسكوت عنه من عورات المجتمع الذي يفضّل عدم دراستها أو مناقشتها.[1] وينتهج الباحث الأنثروبولوجي منهجاً محدّدا في بحثه، ويستخدم مجموعة من الوسائل والأدوات للحصول على بياناته، ويتبع مجموعة من الخطوات قبل القيام بالبحث وفي أثنائه، كما يواجه بعض الصعوبات والمشكلات، عليه أن يتعامل معها ببدائل مناسبة. إن من المميزات الأساسية للمنهج العلمي/الميداني، ذلك الإرتباط الوثيق بين النموذج النظري والنموذج المنهجي، والمنطوي بالتالي على إستخدام التقنيات الكمية في الدراسات الأنثروبولوجية، والذي يشبه إلى حد بعيد– ذلك الإرتباط بين النظرية والمنهج في العلوم الجديدة التي ما زالت موضع نقاشات حادة. ولكن الأسس الهامة في الدراسات الأنثروبولوجية بميادينها المختلفة، تتمثل في إقامة الباحث في مكان دراسته، يعايش الجماعة كما هي في الواقع، ويحصل على كلّ ما يريده من علاقات وقيم وعادات وأنماط حياة، تحدد طبيعة هذا المجتمع وهويته الثقافية.[2] فالمقاربة الميدانية تعتمد أساساً على المنهج الوصفي التحليلي باعتماد أدوات وتقنيات في الدراسة جعلتنا نعتمد على الملاحظة والمقابلة والإعتماد على المخبرين في جميع معطيات الميدان.

- **الملاحظة:**

وتحتاج هذه الطريقة إلى أن يكون الباحث ملمّاً بأهداف بحثه وبطبيعة المجموعة المدروسة وأن يتمتع بقدر كبير من الإهتمام والوعي، بأبعاد الظاهرة التي يقوم بدراستها،

[1] أبو بكر باقادر، حسن رشيق، الأنثروبولوجيا في الوطن العربي، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 2012، ص ص 27–28.

[2] عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان الأنثروبولوجيا –دراسة– إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص 126.

وكيفية رصد هذه الأبعاد بدقة وموضوعية حيث يتوقف على ذلك صدق المعلومات وفائدتها العلمية.[1] فالملاحظة فحص الظواهر وتسجيلها وفحص السلوك وتسجيله وحصر الإنتباه نحو شيء ما لمحاولة فهمه، فالباحث يأخذ بعين الإعتبار المادة التي يجب ملاحظتها وتسجيل هذه المادة والدقة والضبط في المعلومات.[2] والملاحظة الدائمة تسمح بالتعرّف على التحرّي في الحياة اليومية: الأنثروبولوجي وهو يخضع تحريه للضرورات الإجتماعية عن طريق قلب للأمور ذي طبيعة ثقافية خالصة، يعتبر الضرورات الإجتماعية خاضعة لنفاذ نظرته للتحدّي، وفي النهاية هذا التماهي للأنثروبولوجي في موضوعه، لأنه يحيا معه يجعله يفكر في أنه عالم صغير مكشوف، فالأنثروبولوجي هو عبارة عن (إنسان – جوقة) عليه أن يقوم بكل شيء لأنه وحده في الميدان.[3] إن الأداة الرئيسية المستعملة في إنجاز هذا البحث هي الملاحظة لوصف السلوكات والأحداث وتصرفات الفاعلين في جميع المراحل الزمنية للبحث. ففي منهجية الإثنوغرافيا تكون "الملاحظة" «أسلوب المعرفة أو الإدراك المحوري. وبالطبع فإنه من الأمور الجوهرية أيضاً الاستماع والإنصات لمحادثات الممثلين على "خشبة المسرح"، وقراءة الوثائق التي تصدرها الهيئة التي تجري دراستها، وطرح أسئلة على الناس وما إلى ذلك. ولكن أكبر ما يميز الإثنوغرافيا عن غيرها من مناهج البحث هو دور "الفاعل الرئيسي" الذي يقوم بالملاحظة. هذا بالإضافة إلى محادثات عادية عامية، ومقابلات مع الأفراد والجماعات، ومواد كتابية وثائقية»[4] ومن هذه الوجهة ساعدنا الإنتماء للمنطقة إستعمال تقنية الملاحظة وملاحظة الأدوار المختلفة للزاوية التواتية داخل مجالها الإجتماعي،

---

[1] عيسى الشماس، مرجع سابق، ص 130.

[2] رابح درواش، عبد القادر خريبش، الأنثروبولوجيا العامة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2011، ص 135.

[3] جان كوبان، مدخل إلى الإثنولوجيا وإلى الأنثروبولوجيا، ت: عبد الحميد بواريو، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط1، 2018، ص 31.

[4] جيامبيترو جوبر، إجراء البحث الإثنوغرافي، ت: محمد رشدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2014، ص ص 27-28.

وتصرفات وأفعال شيوخ الزوايا باعتبارهم فاعلين وعلاقتهم بالسلطة السياسية للبلاد فيما يخص دورهم داخل مجتمع الدراسة.

- **المقابلة:**

الأداة الثابتة المستعملة في جميع المعطيات من ميدان هذا البحث هي المقابلة، حيث تم إجراؤها مع الفاعلين في عملية الوساطة كشيوخ الزوايا أو ناطقين باسمها أو من ورثو الزاوية عن المؤسسين الأوائل. والمقابلة «من أكثر وسائل الحصول على المعلومات شيوعاً وإن كانت تتفاوت في أهميتها ونوعيتها بحسب المنهج، فالمقابلة الشخصية تعتبر هي الوسيلة الأساسية للحصول على المعلومات في المنهج الأنثروبولوجي، ويمكن عن طريق المقابلة التعرّف على صور النفس البشرية مستعرضة بدرجة تسمح بالإلمام بظروف تنشئة المفحوص الإجتماعية، ومتعمقة بدرجة تسمح للباحث بالكشف عن واقعه ومشاعره واتجاهاته وعقائده وقيمه وهذا ما يصعّب الحصول عليه عن طريق الوسائل الأخرى لجمع البيانات».[1] ولقد تم استعمال المقابلة الحرة، التي تترك للمبحوث المرونة في الإجابة ويشعر بحرية في الأداء بآرائه، لاسيما مع المبحوث الفاعل، وهذا النوع من المقابلة يشبه الحديث الإجتماعي العادي الذي تم الإعتماد عليه للتعمق في الثقافة المحلية للمبحوث وكيف ينظر للمجال الإجتماعي للزاوية ودورها السياسي. وفي الكثير من الأحيان تم الإعتماد على الحوار المفتوح والمباشر وغير المباشر بغية الوصول إلى المعلومات وإستخلاص النتائج، واستغلال عامل الإنتماء لهذا المجتمع وتصيّد الوقت المناسب للحوار وملاحظة الظواهر من زوايا متعددة لاسيما عندما يمتزج الديني بالسياسي، وتحرّي القدر الكبير من الموضوعية في اختيار الحوار أو المقابلة، وقد يتطلب ذلك (الملاحظة عن بعد) قبل الدخول في مقابلة أو محاورة الفاعلين أو الجوقة المرافقة لهم. ثم يتم بعد ذلك تفسير كل هذا في ضوء المقاربة الأنثروبولوجية للبحث. فالمقابلة أجريت مع الفاعلين في هندسة الصلح حصراً لأن طبيعة

[1] رابح درواش، عبد القادر خريبش، مرجع سابق، ص ص 146-147.

البحث تتطلب ذلك، إضافة إلى أن كل فاعل يحتفظ بالمعلومات والأسرار الخاصة بانخراطه في عملية حل النزاع السياسي، خصوصاً وأنه يمثل زاوية دينية بأكملها أو ناطق باسمها أو من ورثة شيخ الزاوية، فلا يمكن الحصول على المعلومة إلا من عنده حصراً. وحتى طريقة مقابلة هؤلاء كان يتخللها حوار مباشر وغير مباشر، نظراً لحساسية موضوع البحث وخلفيته السياسودينية. كما تم إجراء بعض الحوارات التلقائية التي لم يكن مخططاً لها وهذا لتدعيم نتائج البحث. فاختيار المبحوثين كان بشكل مقصود وبمحددات معينة، وغالباً ما كان ينطلق حوار المقابلة بأسئلة عامة حور الدور الديني للزوايا بشكل عام وجهودها في الصلح وإصلاح ذات البين في إقليم توات، ثم يتم بعدها السؤال حول إنخراط شيوخ الزوايا في تنظيمات ومجالس وطنية تحافظ على المرجعية الدينية للزوايا، وكل هذا لكي لا يثار إنتباه شيخ الزاوية أو نائبه أن البحث يسعى للوصول إلى الإتجاه السياسي للزاوية، ونظراً لحساسية الموضوع فقد تم الإلحاح على بعض الفاعلين، حتى أدلوا لنا بآرائهم، فقد كانوا لا يرغبون الخوض في هذه المواضيع أو أنهم يرون أن هناك زوايا أخرى أولى منهم في المساعي السياسية، لذا رفضوا في البداية الإفصاح عن توجههم إلاّ بعدما تأكدوا أن الدراسة تقع عليهم كميدان وأنهم عينة في هذا البحث، ولا علاقة للزوايا الأخرى به.

- **الإستعانة بالإخباريين:**

«ساد الإعتقاد بين الأنثروبولوجيين أن كلام المخبرين خال من التصنيف، وإن هم اعتبروه تنظيراً، فإنهم أخذوه بمأخذ التنظير "الأهلي" الذي لا يصلح إلاّ للنقد والتحليل، قصد الإنتقال إلى وضع المفاهيم العلمية، فإذا بهم يعتمدونه كمادة خام فقط، أي مجموعة وثائق، أو يقصونه تماماً بذريعة التناقضات التي إفترضوها في ما يخصّه».[1] فالباحث يجري حوار مع المخبر كونه يقدّم عوناً كبيراً قبل الوصول إلى الفاعل في الدراسة، كما يمكن للباحث

[1] عبد الله حمودي، المسافة والتحليل في صياغة أنثروبولوجيا عربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2019، ص 83.

ملاحظة سلوكيات المخبر عن بعد، وهذا ليستقي كم كبير عن المعطيات المادية الطبيعية والتاريخية لمجال الدراسة، وكيف ينظر المخبر إلى هذا المجال لاسيما إذا كان عايش تلك الفترة الزمنية وكان مشاركاً في الظاهرة محل الدراسة.

I-3-2 المقاربة الأنثروبولوجية التاريخية:

«تدرس المقاربة الأنثروبولوجية الثقافة في مختلف أنظمتها الرمزية واللغوية، والسياسية، والمجتمعية، والدينية، والأدبية، والفنية، والعلمية، والفكرية».[1] «أما المقاربة التاريخية (فيتزعمها الأمريكي فرانزبواز) وتهتم هذه المقاربة التي تندرج ضمن المدرسة التاريخية بدراسة ثقافة العشائر والقبائل في إطار نطاقها الجغرافي والثقافي، بإعادة بناء هذه الثقافة في الماضي، واستجلاء تاريخها بغية مقارنتها بباقي تواريخ المناطق الثقافية الأخرى المجاورة أو الكائنة في مجال ثقافي واحد بغية رصد القوانين الثقافية الثابتة التي تتحكم في تطور هذه الثقافات».[2] فالمنهج التاريخي في الدراسة الأنثروبولوجية له أهمية بالغة في دراسة الحاضر المجتمعي إستناداً إلى الماضي للتعرف على خصائصه الثقافية التقليدية ومقارنتها بالظاهرة المدروسة في الحاضر وإبراز أهم التغيرات الحاصلة عليها والآليات التي تعمل على إستمرارها. ومن هنا يأتي إستعمال (المقاربة الأنثروبولوجية- التاريخية) لمعرفة الجذور التأسيسية الأولى للزاوية في الوسط المغاربي وكيف ازداد نشاطها عبر المراحل الزمنية التاريخية وصولاً إلى التحولات الراهنة التي فرضت على هذه المؤسسة الدينية أن تلعب أدواراً سوسيو ثقافية أخرى في المجتمع الجزائري. حيث شهدت الزاوية عودة إلى الواجهة الإجتماعية والسياسية، وهنا تظهر التكاملية بين علمي التاريخ والأنثروبولوجيا ضمن منهج أنثروبولوجي يعتمد (نظرية كلية) تربط الماضي بالحاضر ولا تقتصر على وصف الحاضر. فالزاوية شهدت تغيرات تاريخياً في شكلها الهندسي وفي وظيفتها الجهادية والدينية، وكانت

---

[1] جميل حمداوي، الأنثروبولوجيا الثقافية بين النظرية والتطبيق، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، الناظور-تطوان، المملكة المغربية، ط1، 2020، ص 93.

[2] نفس المرجع، ص 95.

على وفاق أو خلاف مع السلطة السياسية تاريخياً حسب توجهاتها في كل حقبة زمنية معينة. فالبناء الإجتماعي يحتوي على نظم وعلاقات إجتماعية متكاملة فيما بينها، وتدخل الزاوية كنسق من أنساقها والذي يتغير دوره بتغير كل مرحلة تاريخية، وهي كمرجعية دينية شهدت ضموراً تارة وبروزاً في أخرى حسب طبيعة كل نظام إجتماعي وسياسي تاريخياً، وهذا ما يعتبر منطلقاً للباحث الراهن ومساعداً له في وصف وتحليل الحاضر. كما تم الإعتماد على المنهج التأويلي في كثير من مفاصل الدراسة لأن المعنى يحمل كثير من الدلالات القابلة للتأويل والتفسير لمجموعة من الظواهر التي يعالجها هذا البحث. وهذا بالإستفادة من تحليلات دراسات أنثروبولوجية تأويلية سابقة خصوصاً أعمال عبد الله حمودي ونور الدين الزاهي، وعبد الرحمان موساوي وغيرهم من الباحثين الذين ركزت أعمالهم على تحليل رموز (مؤسسة الزاوية). كما تم التركيز في التحليل على خصوصية المجتمع المحلي المدروس والذي يقترب بكثير من الشبه مع المجتمع المغاربي عموماً. لكن له فاعلين يمتازون بخصوصية في تحليل سلوكاتهم وما تنتجه من رموز. فالزاوية لا ترتبط بالسياسة وهي بمعزل عن مجتمعها وأتباعها لذا يجب الباحث ضرورة تفسير أدق الأفعال في ضوء نسقها ورموزها، والتي تعكس المتخيل الجمعي للمجتمع وفي سبيل هذا تم الاستعانة (بالمنهج الكيفي) للتركيز على مختلف الجوانب والمظاهر والجزئيات بالوصف والتحليل والمقاربة (القصر/المدينة) (الزاوية الصوفية/الزاوية الطرقية) (زاوية بضريح/زاوية دون ضريح) (زاوية/مدرسة قرءانية) واستقاء هذه المعلومات من الميدان بكل مشاربه بداية من الفاعلين وصولاً إلى المخبرين والأتباع والمحبين بل حتى المعارضين ومن لهم أيديولوجية تخالف منطق الزوايا.

II-1 أصل تسمية إقليم توات

سميت توات خلال سنة (518هـ) أشُتق اسمها من الأتوات، وهي المغارم وقيل من الفواكه والخضر التي دُفعتْ مقابل الأتوات للملوك الموحّدين، وقيل أشتُقَّ اسمها من أحد البطون المنحدرة من سكان الصحراء المُلَثَّمين وهذا رأي الرَّصَّاع، وقيل مشتقة من مرض

الرجلين يسمَّى (توات) وهذا من خلال قصة تنسب الى السلطان (كنكان موسى) أثناء سفره للحج وفي منطقة توات تخلَّف عنه كثير من أصحابه لوَجَع أصابهم يسمَّى تواتاً، فسكنوا فيها فسّمي الموضع باسم المرض وقيل سّميت بذلك لأنها تواتي للعبادة والإستقرار.[1]

وذكر فرج محمود فرج، نقلاً عن مؤرخ محلي هو محمد بن المبارك صاحب (تاريخ توات) من أصل كلمة توات أعجمي، وقد أطلقتها قبائل لمتونة عندما لجأت إلى توات في منتصف القرن السادس الهجري.[2]

ويقول الشيخ مولاي أحمد الطاهري «وإنما سميت بهذا الاسم لأنها تواتي العبادة أي تليق بها، لأن كل من قدِمَ إليها من الأولياء المنقطعين تواتيه للعبادة، فلذلك سكنها كثير من أولياء الله الكُمَّل العارفين».[3]

وإذا ما أتينا الى ترجيح أصل تسمية توات فإن أغلب المؤرخين والدارسين والمهتمين بالشأن التراثي للإقليم يرجحون الأصل البربري للتسمية من خلال الآراء التالية:

يرى الأستاذ (عبد الرحمن باعثمان)[4] (ويبدو أن رواية المؤرخ التواتي، صاحب الكتاب المفقود (تاريخ توات)، هي الأقرب للصحة، على أساس أنَّ أوَّل من نزل المنطقة هم بربر زنانة وهم من اختط قصورها واحتفروا فقاقيرها، ويمكن أن يكونوا هم من أطلقوا هذا الاسم، لأن الأسماء البربرية عادة ما تبتدأ بحرف (التاء) أو تنتهي به، كما أنَّ جل قصور توات تبتدأ اسماؤها بذات الحرف ولها مرادف في اللهجة الزناتية البربرية، (تسابيت: المنعزل)

---

[1] الشيخ محمد باي بلعالم، الرحلة العلمية إلى منطقة توات، لذكر بعض الأحكام والأثار والمخطوطات والعادات، وما يربط توات من الجهات، المجلّد الأول، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر 2011، ص 59.

[2] عبد الرحمن بعثمان، القضاء في منطقة توات خلال القرن 18/17م، رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، كلية العلوم الانسانية والعلوم الإسلامية، 2016،2015، ص50.

[3] الشيخ مولاي التهامي غيتاوي، لفت الأنظار إلى ما وقع من النهب والتخريب والدمار بولاية أدرار إبان احتلال الاستعمار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2011، ص34.

[4] عبد الرحمن باعثمان، مرجع سابق، ص50

(تمنطيط: حاجب العين) (تينيلان: بلد الأحرار)، (أدغاغ، المرتفع)، (تيمادنين: الأمعاء). ولما دخل عرب المعقل على بربر زناتة تعرَّبت توات لكن مع ذلك احتفظت هذه القصور بأسمائها برغم خلوصها للعنصر العربي وخُلُوّها من العنصر الزناتي، فضلا عن قصور أخرى اختطها العرب فأخذت أسماء القبائل التي أسستها مثل: (بني تامر)، (أولاد علي)، (أولاد إبراهيم)، (أولاد الحاج).....الخ).

ويرى الأستاذ (الصديق حاج أحمد آل المغيلي)[1] (وإذا ما حاولنا وضع اسقاطات حول التسمية، فإننا نُبْعدُ التفسير العربي للكلمة كونها تواتي للعبادة، أو جاءت من الأتوات، وبتعبير أقرب فإن الإقليم التواتي قد خطّتْه زناتة وزالت أسماء القصور، والقرى شاهدة على ذلك، وبميزان العقل والمنطق لا يمكن تسمية الفرع بربرياً، وتسمية الأصل عربياً، فما دام الفرع وهو القصور التواتية قد وضع بربرياً، فإن الأصل وهو تسمية الإقليم، وهو الآخر لا بُدَّ أن يكون بربرياً، فضلا أن الرطانة الموجودة في اللهجة التواتية تدُل على بربريتها).

كما يرى الأستاذ (عبد الله بابا)[2] (ومما يمكن استخلاصه هو ترجيح الأصول البربرية لتسمية توات مع استبعاد الأصول العربية وذلك يرجع:

أولا: لكون اغلب تسميات القصور التواتية –وهي فروع– ذات أصول بربرية، وهو ما يدعم بأن يكون الاصل– أي توات– أيضا اسما بربرياً.

ثانيا: معظم القصور تبدأ الفاظها بحرف التاء مثلا: تمنطيط، تماسخت، تسفاوت، تاخفيف، تاوريت، تيطاوين... وهي ذات معاني بربرية، وهو ما ينطبق على توات بأن تكون ذات معنى بربري).

---

[1] الصديق حاج أحمد آل المغيلي، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11هـ إلى القرن 14هـ، منشورات الحبر، الجزائر، ط2، 2011، ص32.

[2] عبد الله بابا، الزاوية البكري ودورها الثقافي والاجتماعي بإقليم توات من 1112– 1421هـ/ 1700–2000م، رسالة ماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبد العصور، الجامعة الإفريقية احمد دراية– أدرار– كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الاسلامية، 2011، 2012، ص05.

وكتعضيد للآراء السابقة يؤكد الأستاذ (مبارك بن الصافي جعفري)[1] على التسمية البربرية لتوات بقوله (ترجَّح الأصول البربرية للاسم واستبعاد الأصول العربية للأسباب التالية:

أولاً: لأن البربر من زناته والملثمين هم أوَّل من سكن الاقليم من الشعوب.

ثانياً: أنَّ أوّل ذكر للاسم عند المؤرخين معروف الآن يعود للقرن 08هـ/ 14م، وهو ما يتزامن مع دخول قبائل زناتة له.

ثالثاً: معظم أسماء القصور والمناطق داخله بربرية، فكيف يكون الفرع بربري بينما الأصل عربي.

رابعاً: تشترك الكثير من الأسماء البربرية في البداية بحرف التاء، مثل: تمنطيط، تيمي، تيميمون، تيلولين، تسفاوت...الخ وهو ما ينطبق على توات).

II-2: التحديد الجغرافي لإقليم توات

بالنسبة للتحديد الجغرافي لإقليم توات تمّ الاقتصار على توات الوسطى وهي قلب توات وهو المعني بالدراسة وتمَّ استبعاد قورارة وتيديكلت.

فمنطقة توات الأصلية أو تسوات (توات الوسطى) تقع ما بين نهايات الهضبة العليا للقرارة التي تُكوّنُ الحافة الشرقية لوادي مسعود* والحافة المقابلة له المسمَّاة العِرْق الغربي. فتوات العليا تبدأ من أعلى مقاطعة بودة في النقطة التي ينحرف فيها وادي مسعود باتجاه الغرب فيأخذ اتجاهه، الأول من الشمال الى الجنوب ليصل إلى رقان وهذا الامتداد ما يسمى

[1] مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي، خلال القرن 12هـ، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، ط1، 2009/ ص29، 30.

* ويتكون هذا الوادي من اتحاد وادي قير مع واد زوزفانة، وعندما يصل الوادي إلى كرزاز يسمى واد الساورة ومنها ينعطف غرباً إلى توات ويسمى وادي مسعود. نقلاً عن عبد الرحمن باعثمان، مرجع سابق، ص 58.

بمقاطعة توات الأصلية[1] وتعتبر تمنطيط العاصمة القديمة للإقليم ثم تحولت عاصمة الاقليم إلى تيمي مع بداية القرن 18م ليُستَبْدل اسم إقليم توات بأدرار–أكبر مقاطعة تيمي– وداخل مع دخول الطلائع الأولى للاستعمار الفرنسي سنة 1900م، ومن أهم قصور المقاطعة: قصور بودة، وقصور تيمي وقصور تمنطيط، وقصور بوفادي (أولاد الحاج) وقصور فنوغيل وقصور زاوية كنتة وقصور رقان.

تعتبر توات الوسطى قلب إقليم توات، وذات مكانة سياسية واقتصادية بين الأقاليم، فقد كانت تمنطيط من أقدم أسواق الاقليم نشاطاً ومحطَّة هامة على طريق القوافل التجارية ومركزاً علمياً نشيطاً من القرن التاسع الهجري، لكن مع حلول القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) تراجع دور تمنطيط لصالح تيمي، لتصبح بذلك– تيمي– عاصمة لإقليم توات الوسطى.[2]

وأهم قصور توات الوسطى ما يلي:

أولا: فصور تسابيت

وهي التي مرَّ بها الرحالة أبو سالم العياشي واعتبرها أوَّل عَمَالة توات من جهة الشرق، وذكرها الحسن الوزان (ت 957هـ/1550م) باسم تسبت، واعتبرها من الأقاليم المأهولة في الصحراء، يشتغل أهلها بالزراعة فينتجون التمر وشيئاً من الشعير[3] وأهم قصور

[1] براهيم بلبالي، وقف زاوية تينيلان بمنطقة توات، رؤية فقهية وقانونية انطلاقا من الوقفية المنشئة له، مجلة دراسات، المجلد 07، العدد01، فبراير2018، ص182.

[2] عبد الله بابا، مرجع سابق، ص08

[3] عبد الرحمن بعثمان، مرجع سابق، ص58.

وقرى تسابيت (عريان الرأس، برينكان، حماد، عمور، الأعياد، وجلان، لمعيز، الهبلة، أسبع، القرارة) والمجموع عشرة قرى (10) وقصور.[1]

ثانياً: قصور بودة.

وقد مرّ الرحالة ابن بطوطة (ت779هـ/1377م) ووصعها بأنها «...من أكبر قرى توات، وأرضها رمال وسباخ وتمرها كثير ليس بطيب وأهلها يأكلون الجراد».[2] وتتركز هذه القصور في وادٍ موازٍ لواد مسعود، تبعد بحوالي أربعين كيلو متراً شرق قصور تيمي، وهي تقع في أقصى قصور توات، تنقسم إلى مقاطعتين بودة الفوقانية (العليا) وبودة التحتانية (السفلى). وتبعد المقاطعتان عن بعضهما بحوالي ثماني كيلوا مترات[3]، وأهم قصور وقرى بودة (القصيبة، الغمارة، أولاد اعيش، أبار، الغماريين، أولاد أنجل، بن ادراعو، زواية بن يلي، ودران، بني وازل، أغرم علي، زاوية سيدي حيدة، المنصور) ومجموعة قصور بودة ثلاثة عشر (13 قصراً)[4].

ثالثاً: قصور تيمي.

تقع جنوب مقاطعة بودة وتتمركز في اتجاه موازٍ لواد مسعود بها كثلة سكانية كبيرة مقارنة بقصور توات[5] وهي تمثل قلب توات، وتعد أغنى قصور توات في القرن12هـ/18م حيث انتقلت إليها رياسة البلاد وكانت بها أسواق يقصدها التجار من كل مكان، للبيع والشراء بجميع السلع المتنوعة.

وعدد قصورها ثمان وعشرين قصراً وهي:

---

[1] الشيخ محمد باي بلعالم، الرحلة الى منطقة توات، لذكر بعض الأحكام والآثار والمخطوطات والعادات، وما يربط توات من الجهات، المجلد الأول، مرجع سابق، ص65.

[2] عبد الرحمن بعثمان، مرجع سابق، ص59.

[3] محمد الصالح حوتية، توات والأزواد، جزء أول، دار الكتاب العربي، الجزائر، د.ط، 2007، ص32.

[4] الشيخ محمد باي بلعالم، الرحلة العلمية إلى منطقة توات، لذكر بعض الأحكام والآثار والمخطوطات والعادات، وما يربط توات من الجهات، المجلد الأول، مرجع سابق، ص61.

[5] محمد الصالح حوتية، توات والأزواد، جزء أول، مرجع سابق، ص33.

أولاد بوحفص، مهدية، المنصورية، أولاد ابراهيم، تاريدان، أولاد أحمد، أولاد عيسى، أولاد علي، أولاد أوشن، أولاد أونقال، بني تامر، أدغاغ، بربع، أوقديم، كوسام، بوزان، ملوكة، ميمون، واينة، تينيلان[1].

رابعاً: قصور تمنطيط.

تقع جنوب قصر تيمي وتبعد عنها بحوالي إثنا عشر كيلو متر، تفصل بينهما سبخة تبعد عن واد مسعود بحوالي خمسة وثلاثين كيلومتر.[2] وتعد عاصمة توات وأقدم مدنها على الإطلاق[3] وأهم قصور وقرى تمنطيط (أولاد الحاج مامون، أنكير، بالحاج، بوفادي، توكي، بنكور، نومناس) والمجموع سبعة (07) قصور.[4]

خامساً: قصور فنوغيل.

ومعناها بالعربية أثار الذراع (فْنو): آثار وأغيل: (الذراع)، وعاصمتها زاوية الولي الصالح عبد القادر بن عومر[5]، وتقع غرب بوفادي وتنتشر في منخفض واسع موازٍ لواد مسعود[6] وأهم قصور وقرى فنوغيل: (تسفاوت، أعباني، العلوشية، ودغة، بنهمي، عزي، المنصور، مكرة، قصبة أولاد مولاي لحسن، أولاد برشيد، قصبة أولاد مولاي بوفارس، زاوية سيدي عبد القادر، سيدي يوسف، أباعمر) والمجموع أربعة عشر (14) قصراً.[7]

---

[1] عبد الرحمن بعثمان، مرجع سابق، ص59.

[2] محمد الصالح حوتية، توات والازواد، جزء أول، مرجع سابق، ص33.

[3] عبد الرحمن بعثمان، المرجع سابق، ص60.

[4] الشيخ محمد باي بلعالم، الرحلة العلمية إلى منطقة توات، لذكر بعض الأحكام والآثار والمخطوطات والعادات، وما يربط توات من الجهات، المجلد الأول، مرجع سابق، ص61.

[5] عبد الرحمن بعثمان، مرجع سابق، ص61.

[6] محمد الصالح حوتية، توات والأزواد، جزء أول، مرجع سابق، ص34.

[7] الشيخ محمد باي بلعالم، الرحلة العلمية الى منطقة توات، لذكر بعض الأحكام والآثار والمخطوطات والعادات، وما يربط توات من الجهات، المجلد الاول، مرجع سابق، ص62.

سادساً: قصور زاوية كنتة.

تقع جنوب قصور تامست الحافة اليسرى لواد مسعود[1] وأهم قصور وقرى زاوية كنتة (مكيد، تيوريرين، أدرار، شباني، زاجلوا، البيض، أولاد الحاج، تتبركان، زاوية كنتة، لمناصير، تاخفيف، آدمر، تاظول، زاوية الشيخ عبد الكريم المغيلي، بوعلي، آظوى، غرماملال) والمجموع سبعة عشر (17) قصراً.[2]

سابعاً: قصور أنزجمير.

تلقب بتوات الحنة لإنتاجها الوفير لهذه المادة وتتواجد في المنخفض الأيسر لواد مسعود تفصلها عنها السبخة[3] وأهم قصور وقرى أنزجمير (تيمادنين، أوغزير، الخلفي، زاوية بلال، تيطاوين الشرفاء، تيلولين المرابطين[4]، بوانجي، أنزجمير، المحفوظ، تيطاوين الخراس) والمجموع عشرة (10) قصور[5].

ثامناً: قصور سالي.

تتموضع قصوره على مجرى وادي مسعود[6] وتظهر جنوب أنزجمير على بعد أربعة عشر كيلومتر وتقع في المنخفض الأيسر لواد مسعود[7] وأهم قصور وقرى سالي (المنصور، برماة، قصبة الجنة، قصبة القائد(أبابلة)، قصبة النجار، قصبة أولاد مولاي علي لمحارزة، القصر الجديد، العلوشية، قصبة سيدي الشريف، قصبة أولاد مولاي عبد الواحد، أولاد مولاي

---

[1] محمد الصالح حوتية ، توات والأزواد، جزء أول، مرجع سابق، 34.

[2] الشيخ محمد باي بلعالم، الرحلة العلمية الى منطقة توات، لذكر بعض الأحكام والآثار والمخطوطات والعادات، وما يربط توات من الجهات، المجلد الاول، مرجع سابق، ص63.

[3] محمد الصالح حوتية ، توات والأزواد، جزء أول، مرجع سابق، 34.

[4]– عبد الرحمن بعثمان، مرجع سابق، ص62.

[5] الشيخ محمد باي بلعالم، الرحلة العلية الى منطقة توات، لذكر بعض الأحكام والآثار والمخطوطات والعادات، وما يربط توات من الجهات، المجلد الاول، مرجع سابق، ص63.

[6] عبد الرحمن بعثمان، مرجع سابق، ص62.

[7] محمد الصالح حوتية، توات والأزواد، جزء أول، مرجع سابق، ص34.

العربي، أتزيرية، تينور، بريش، أولاد باحو، المستور، زاوية لحشف) والمجموع ثمانية عشر (18) قصراً.[1]

تاسعاً: قصور رقان.

آخر قصور توات الوسطى[2] تقع في أقصى جنوب توات وجنوب سالي[3] وأهم قصور وقرى رقان (أنزقلوف، آيت المسعود، النفيس، تاعرابت، القصر الجديد، تنلاف، تيمادنين، تاورير، انتهنت، أزرافيل آغيل) والمجموع إحدى عشر (11) قصراً.[4]

II-3: تضاريس ومناخ إقليم توات:

يقع الإقليم التواتي في مجال صحراوي تجري فيه مياه سطحية وباطنية منذ ما قبل التاريخ من الأطلس حتى النيجر حتى الحوض البحري لتاودني[5]. وهذا المجال الصحراوي فرض نوعا من التضاريس والمناخ على الإقليم التواتي.

أولا: تضاريس إقليم توات

تشكل الأرض القحلاء العارية للإقليم من النباتات في عمومها أشكالا مختلفة من سهول جرداء(الرق) ووديان جافة وبقايا بحيرات (سبخات) كما هو الحال في بودة وتمنطيط.[6]

أ) **العروق:** يطلق العرق على الكثبان الرملية المرتفعة، والتي جلبتها الرياح، ويكثر بالقسم الشمالي لإقليم توات من الشرق إلى الغرب.[1]

---

[1] الشيخ محمد باي بلعالم، الرحلة العلية على منطقة توات، لذكر بعض الأحكام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، المجلد الأول، مرجع سابق، ص64.

[2] عبد الرحمن بعثمان، مرجع سابق، ص، 62.

[3] محمد الصالح حوتية، توات والأزواد، جزء أول، مرجع سابق، ص34.

[4] الشيخ محمد باي بلعالم، الرحلة العلية على منطقة توات، لذكر بعض الأحكام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، المجلد الأول، مرجع سابق، ص64.

[5] الصديق حاج أحمد آل المغيلي، مرجع سابق، ص44.

[6] مبروك مقدم، مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي، الجزء الأول، دار هومة، الجزائر، 2008، ص22.

ب) **الحمادات:** الحمادة أرض يابسة ومرتفعة عبارة عن سطوح متحجرة نتيجة حت الرياح المستمر، غير أنها لا تمثل الطابع العام لتضاريس المنطقة.[2]

ج) **الرق:** هو سهل مغطى بالحصى الجافة تنثر منها الرمال لتكون ما يسمى بالعرق.[3] واوسع رق في توات هو رق تنزروفت جنوب منطقة رقان.[4]

د) **السبخة:** هي بحيرة تتبخر مياهها في الصيف لتستحيل إلى ضاية من الملح تسمى الشط أو السبخة، أو زاغر، والسبخات في الأصل عبارة عن منخفضات ناتجة عن هزات أرضية.[5] وتنتشر السباخ في توات بالماكن العالية الانخفاض التي مثلت في ما مضى أحواض تجمع مياه الأودية التي كانت شديدة الجريان، فتكونت بفعل ذلك سباخ شديدة الملوحة، ومن أهمها سباخ: تيمي، تمنطيط ، سالي، تيمادنين حيث منتهى وادي مسعود.[6] إذ يتكون إقليم توات من ناحية تضاريسه من الحمادة والرق والعرق والسبخة وبعض السلاسل الجبلية المنخفضة وهضبة تادميت.[7] إضافة الى الأرض الجرداء وتسمى (البور) والأودية التي من أهمها وادي مسعود.

ثانياً: مناخ اقليم توات

قال الشيخ "مولاي أحمد الطاهري" (توات أرض ذات سباخ كثيرة الرمال والرياح لا تحيط بها جبال ولا أشجار شديدة الحرارة المفرطة لا يكاد ينبت فيها إلا النخيل وبعض الأشجار القليلة لفرط حرارتها، والماء يستخرجونه من بطن الأرض بالفقاقير بواسطة الآبار

---

[1] الصديق حاج احمد آل المغيلي، مرجع سابق، ص43.

[2] عبد الرحمن بعثمان، مرجع سابق، ص71.

[3] الصديق حاج أحمد آل المغيلي، مرجع سابق، ص43

[4] عبد الرحمن بعثمان، مرجع سابق، ص71

[5] الصديق حاج أحمد آل المغيلي، مرجع سابق، ص43

[6] عبد الرحمن بعثمان، مرجع سابق، ص72

[7] عبد الله كروم، الرحلات بإقليم توات، دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات، دار حلب للنشر، 2007، ص23.

بكيفية عجيبة ويقسمونه على الحقول بكيفية أعجب من ذلك).[1] فمناخ توات هو مناخ صحراوي بارد شتاء وحار صيفا.[2]

أ) **الأمطار**: بالرغم من ظاهرة الجفاف التي يتسم بها مناخ الصحراء[3]، إلا أن الأمطار قليلة وتقل كمية التساقط عن 50ملم سنويا ولكنها فجائية في بعض الأحيان وقليلة الفعالية لشدة التبخر وكثيرا ما يترتب عنها فيضانات تسببت في هدم المساكن[4]، خاصة وأن هذه المساكن مبنية بالطين.

ب)**الرياح**: تعصف بالإقليم رياح جنوبية تسمى الشهيلي، أما الرياح التي تنجر عنها الزوابع الرملية فهي الرياح الجنوبية الشرقية.

ج) **الغطاء النباتي**: تكثر بالإقاليم النباتات الشوكية مثل أشجار النخيل وغيرها.

د) **الثروة الحيوانية**: تكثر بالإقليم الجمال والماعز والأغنام[5].

إذن يتميز مناخ إقليم المنطقة كله بمناخ صحراوي قاري جاف وشديد البرودة شتاء، وشديد الحرارة صيفاً، وهي ميزة تختص بها كل الصحراء الغربية، لأنها منطقة سفلى مليئة بالكثبان الرملية التي تمتص كمية كبيرة من الحرارة في ساعات قلائل.[6]

II-4 أصول المجتمع التواتي

يرجع تاريخ عمارة توات إلى ما قبل الاسلام وكانت تسمَّى بالصحراء القبلية -بكاف معقودة- ثم كثرت عمارتها بعد جفاف (نهر جير) في غضون القرن الرابع للهجرة وهي

---

[1] الشيخ مولاي التهامي غيتاوي، لفت الأنظار إلى ما وقع من النهب والتخريب والدمار بولاية أدرار ابان احتلال الاستعمار، مرجع سابق، ص34.

[2] عاشور سرقمة، الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات، مدخل الذهنيات الشعبية، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2004، ص13.

[3] مبروك مقدم، مرجع سابق، ص26.

[4] عاشور سرقمة، مرجع سابق، ص13.

[5] الصديق حاج أحمد آل المغيلي، مرجع سابق، ص45.

[6] عبد الله كروم، مرجع سابق، ص، 25.

أرض ذات سباخ كثيرة الرمال والرياح لا تحيط بها جبال ولا أشجار.[1] ظل إقليم توات مفتوحاً أمام هجرات القبائل المختلفة، وهذه القبائل وفدت إليه على فترات متعاقبة وفي ظروف مختلفة منذ الفتح الاسلامي للمغرب العربي، وحتى القرن الثامن عشر الميلادي، وبعد أن استقرت هذه القبائل في المدن والقصور التي بنوها، بدأ المجتمع التواتي يتشْكَّل ببطء.[2] وأهم العناصر السكانية التي بنت تركيبيته الاجتماعية نجد:

أولا: البربر: وهم السكان الأصليون في شمال أفريقيا، والصحراء موطن رحالهم، كانوا أوَّل الوافدين على الإقليم والساكنين به.[3]

ثانياً: العرب: تواجدت في الاقليم إلى جانب البربر قبائل عربية كثيرة، قدمت هي الأخرى من مختلف الجهات، خلال فترات مختلفة، شكَّلت تجمُّعات سكانية لابأس بها[4] وكان وصول العرب إلى الإقليم في فترات متقطعة ومتأخرة، خاصة بعد تفاقم الخلافات والنزاعات بين القبائل العربية في الشمال.

ثالثاً: الأفارقة أو الزنوج: ويعتبرهم الباحثون من أقدم العناصر، وترجع في أصولها إلى تلك الشعوب التي عاشت في فترات فجر التاريخ.[5]

رابعاً: اليهود: ضمَّ اقليم توات جالية كبيرة من اليهود، يرى البعض أن وصولهم للإقليم كان سنة 50 قبل الميلاد، والبعض الآخر يرى أنهم دخلوا شمال إفريقيا منذ عهد الفينقين والرومان، فرَّ البعض منهم إلى الصحراء نتيجة للإضطهاد الديني، الذي تعرضوا له، لكن

---

[1] الشيخ محمد باي بلعالم، الرحلة العلية الى منطقة توات، لذكر بعض الأحكام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، المجلَّد الأول، مرجع سابق، ص59

[2] فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص22.

[3] مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، مرجع سابق، ص37.

[4] مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، مرجع سابق، ص41

[5] عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، معجم أعلام توات، وزارة الثقافة الجزائر، ص18.

بأعداد قليلة، وبعد مجيء الاسلام إلى شمال إفريقيا لم يبق أمامهم من خيار غير التأقلم أو الذوبان في المجتمعات الإسلامية غير أن البعض منهم فضل الهجرة نحو الجنوب خاصة إلى منطقة توات.[1]

وبعد امتزاج هذه العناصر على مرَّ الزمن أصبحت الجماعة التواتية تمثّل جماعة موحَّدة في العادات والتقاليد وذات قيم اجتماعية وخُلُقية ثابتة وهذه القيم نابعة من أصول إسلامية صافية نظرا لوجودها بعيدة في قلب الصحراء.[2]

وتشير بعض المصادر إلى فرضية وصول الفراعنة والبربر الجيتول إلى توات قديما كما أشار إلى ذلك (هير ودوت)، ويؤكد الرَّحالة (ابن حوقل) في كتابه (صورة الأرض) أن البربر هم سكان الاقليم القدامى.[3]

وبهذا فإن الإقليم جذب إليه خليطاً من الأجناس أسْهم في إثراء ثقافة الاقليم وجعله مكاناً امناً للاجئين والمضطهدين، وكلٌ من هذه القبائل الوافدة مارست نشاطاً ساهم في تطور البلاد كما ساهموا في النمط المعماري فالقبائل الأمازيغية نشطت في ميدانيْ الزراعة والتجارة. واهتمت الجالية اليهودية بتطوير الحِرَف كصناعة الحُلي الفضية، ومارس العرب المنتسبون لآل البيت شرفاء التعليم، أما القبائل الهلالية فاشتغلت بالتجارة مع السودان الغربي، كما كان للزنوج دوراً كبيراً إذ مثلوا الطبقة العاملة في المجتمع، وبهذا تعايشت القبائل مع بعضها وشكلت مجتمعا منسجماً ومتحالفا على الرغم من بعض النزاعات والمناوشات.[4]

---

[1] مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، مرجع سابق، ص ص47، 48.

[2] فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص22.

[3] عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري معجم اعلام توات، مرجع سابق، ص18

[4] حليمة كحلاوي، الحياة الثقافية بتوات الوسطى خلال القرنين (12هـ 14هـ،/ 18م- 20م)، مذكرة ماجستير، تخصص التاريخ الثقافي والاجتماعي المغاربي عبر العصور، جامعة العقيد أحمد دراية- ادرار- كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، 2015، 2016، ص ص36، 37

II-05 تراتبية المجتمع التواتي:

تتعايش في توات العديد من أخلاط المجتمع، حيث حلت بتوات على فترات العديد من المكونات الاجتماعية تراتبت هرمياً،[1] ولم يكن تقسيم المجتمع التواتي يخضع لعامل اقتصادي، بل كان العامل الديني هو الأساس،[2] وأهم الطبقات في المجتمع التواتي نجد:

أولاً: طبقة الأشراف.

وهم الذين ورثوا هذا اللقب بدعوى انحدارهم من أصلاب أجدادهم الأوائل الذين ينتسبون للأسرة العلوية، ومعظمهم قدم من المغرب الأقصى.[3] وهم من آل البيت المنحدرين من نسل الحسن والحسين أبناء علي رضي الله عنهم، ويحملون لقب الشريف أو (مولاي)[4] وينتسب الشرفاء أو الشرفة بالمنطوق المحلّي إلى العترة النبوية الشريفة، يحتفي بهم أهل توات ويحيطونهم بكثير من الإحترام والتَّجِلَّة والتقديس، إنطلاقاً من حبهم لآل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم.[5] وباعتبارهم من أهل البيت فهم حماة الدين وأصحاب الحدائق والبساتين، والكل يلبّي رضاهم،[6] حيث كانت تمنح لهم الأعطيات والهدايا ويقدّم الكبير منهم في الأعراس ومختلف المناسبات للتبّرك بهم، كما كانوا يوكَّلون في الزواج والبيوع لمكانتهم.[7]

ويحظى الأشراف في توات برأس مال رمزي ومعنوي مكّنهم من إعتلاء رأس هرم التراتب الاجتماعي في المنطقة.[8]

---

[1] عبد الرحمن بعثمان، مرجع سابق، ص 75.

[2] مبارك جعفري، مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، مرجع سابق، ص 184.

[3] فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص 22.

[4] مبارك جعفري، مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، مرجع سابق، ص 185.

[5] عبد الرحمن بعثمان، مرجع سابق، ص 83.

[6] فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص 22.

[7] مبارك جعفري، مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، مرجع سابق، ص 185.

[8] عبد الرحمن بعثمان، مرجع سابق، ص 83.

ثانياً: المرابطون.

يمثلون الدرجة الثانية من سلم التراتب الاجتماعي التواتي وينتهي نسبهم لكبار الصحابة. ويعظّم أهل توات هؤلاء المرابطين تعظيماً كبيراً وينزلونهم منزلة رفيعة، حيث يدعونهم بلفظ "سيدي فلان" تكريماً لهم وتبجيلاً، ويزداد هذا التعظيم في حق المرابط الذي يمتاز بالعلم والورع والتواضع وغيرها من الصفات الحميدة، فيقدّم أهل توات المرابطين في الأفراح والأتراح وجميع المناسبات الدينية والاجتماعية الأخرى طلباً للبركة وبحثاً عن الشريعة.[1]

ثالثاً: الأحرار.

وينحدرون من آباء من البربر والعرب الخلَّص[2] وهم الذين وضعهم أحمد المنصور الذهبي في بذل الخراج وإبعادهم على سلك الجندية[3] وغالبية هذه الطبقة تعمل في التجارة وتمتلك الجواري.[4] مغ ذلك فإن هذه الطبقة تمثّل أعضائها أهل الشوكة في توات لما لها من ثقل اقتصادي ومالي كبير.[5]

رابعاً: الحراطين.

وهم من العبيد الذين تمّ تحريرهم[6] وذكر صاحب مَعْلَمَة الصحراء أنهم سُمرُ الوجوه، نُقل الكثير منهم إلى الشمال من بلاد السودان في العهد الإسماعيلي.[7] وأصل كلمة حرطاني هي حُرٌّ ثاني، تميزاً له عن الحر الأول الذي ينتمي إلى الطبقة السابقة، أي أنّه نال حريته

---

[1] عبد الرحمن بعثمان، نفس المرجع، ص ص 87-88.

[2] فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص 22.

[3] الصديق حاج أحمد آل المغيلي، مرجع سابق، ص 56.

[4] فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص 22.

[5] عبد الرحمن بعثمان، مرجع سابق، ص 89.

[6] مبارك جعفري، مقالات وأبحاث خول تاريخ وتراث منطقة توات، مرجع سابق، ص 186.

[7] الصديق حاج أحمد آل المغيلي، مرجع سابق، ص 56.

بسبل العتق السارية في الشرع فأصبح حرٌ ثاني، وتُعدُّ الطبقة الأكثر حركية من الطبقات الأخرى فهي كثيرة العدد متقدة النشاط حيث على أكتاف هذه الفئة حفرت فقاقير توات وعُمرت بساتينها[1] واستغلوا في مختلف الحرف.[2]

خامساً: العبيد.

وهم الذين أوتي بهم من السودان بواسطة القوافل، حيث كانت تجارة العبيد متداولة، وجُلبوا لخدمة الأعمال الشاقة، كالفقاقير وأعمال البناء والغراسة.[3]

II- 06 الحياة الاجتماعية بتوات:

يعتبر المجتمع التواتي من أفضل المجتمعات من حيث متانة العلاقات العامة، والتي كان يسودُها الودُّ والتراحم، والعطف والتآخي، وهذا أمرٌ استوحاه أهل توات من دينهم الإسلام، فهو يحثُّ على الصدق في التعامل والمحبّة والصفاء للمسلمين.[4] ونظراً لأن الجماعة التواتية جماعة محافظة على تقاليدها، فقد كان لأماكن العبادة ورجال الدين جانب هام من التقديس والإحترام عندهم، ولا يخلوا قصر من قصورهم من جامع أو زاوية أو ضريح لأحد الأولياء، كما كانوا حريصين على الاحتفال بالمناسبات الدينية وذكرى أوليائهم في كل عام. ومن الطباع التي امتاز بها الرجل التواتي، بجانب تديُّنه، الطيبة وكرم الضيافة.[5] واهتم أهل توات بزيارة الأقارب والنظر لأحوالهم والإجتهاد في طلباتهم وكانت اللقاءات بينهم متواصلة بهدف تزكية الروابط، وتنقية أجواء علاقاتهم، وزرع الخير والمحبة فيما بينهم.[6]

---

[1] عبد الرحمن بعثمان، مرجع سابق، ص 90.

[2] مبارك جعفري، مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، مرجع سابق، ص 186.

[3] الصديق حاج أحمد آل المغيلي، مرجع سابق، ص 57.

[4] عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، الطباعة العصرية، الجزائر، 2010، ص 20.

[5] فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص 23.

[6] عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، مرجع سابق، ص 20.

II- 07 الزاوية التواتية:

أصبحت توات تتميز بحركة ثقافية عالية فقد وفد إليها العلماء والمشايخ من جميع الجهات، فأنشأو بها المدارس والزوايا وعلّموا الناس أمور دينهم ودنياهم، فنشطت من حينها بتوات حركة العلم والعلوم سواء منها ما تعلق بالعلوم الشرعية، أو الذي تعلّق بالعلوم العقلية.[1]

أولاً- تأسيس الزاوية التواتية:

من أهم الأسس التي قامت عليها الزاوية التواتية وجود وقف تابع لكل زاوية[2] إلا أن الشيخ محمد باي بلعالم يرى أن تاريخ الزوايا يرجع إلى نشأة المنطقة التواتية... فتوات هي الزاوية والزاوية هي توات والأدلة على ذلك كثيرة ويتجلّى في أن اسم الزاوية وقد أُطلق على كثير من قرى البلديات وما ذاك إلاّ أكبر دليل على العناية التي كان يوليها سلفنا الصالح لهذه المؤسسة التي أسّسها رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر. وبالجملة فإن تواتاً كلها زاوية تفيض بالجود والكرم والعلم وبمقابر العلماء والصالحين[3] بينما يرى الأستاذ مبارك بن الصافي جعفري أن تاريخ نشأة الزوايا في الإقليم، إرتبط بتاريخ عمارته ونشأته، كمكان لإطعام الضيوف، وعابري السبيل، في الصحراء القاحلة خاصة ركب الحجيج، والقوافل التجارية ممن كانوا يقصدونه، فلا يكاد يخلوا قصراً من دار الضيافة، وعابري السبيل، غير أن الزوايا بمفهومها الحالي، عرفت طريقها إلى الإقليم ابتدءاً من القرن السادس الهجري.[4] وحسب الأستاذ (مبارك جعفري) اشتهرت منطقة توات بكثرة

---

[1] عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، مرجع سابق، ص 46.

[2] محمد دباغ، مرجع سابق، ص 123.

[3] الشيخ محمد بلعالم، الرحلة العليّة إلى منطقة توات، لذكر بعض الأحكام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، المجلّد الأول، مرجع سابق، ص ص 343-344.

[4] مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، مرجع سابق، ص 162.

الزوايا من القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي[1] وعلى أي حال قد عرف إقليم توات الزوايا منذ تاريخ بعيد وقرون خلت حيث أنّ جل المخطوطات تؤكد السبق للولي الصالح (سيدي مولاي سليمان بن علي)* في تأسيس الزوايا بمنطقة توات، وأول زواية، زاوية أنشأت للعلْم وإن كانت هناك زوايا أخرى أسست قبله بالمنطقة فلم تُعرف، ولم نجد لها أي ذكر أو أثر يدلاّن على ذلك.[2] فقد قدم سيدي سليمان بن علي من فاس سنة 580هـ/1184م ونزل بتيليلان، ثم استقلّ بالقصر الذي يُعرفُ باسمه (أولاد أوشن) سنة (595هـ/1199م)، حيث أسّس زاويته التي أصبحت مقصداً للطلبة من كل مكان وملجأ للفقراء وعابري السبيل، ومنذ ذلك الوقت بدأت الزوايا تظهر هنا وهناك مثل زاوية: الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي* المتوفي عام 909هـ/1504م بقصر بوعلي، والزاوية الكنتية التي أسسها الشيخ أحمد بن محمد الرقاد الكنتي* سنة 999هـ/1590م، وزاوية تينيلان أسسها الشيخ أحمد بن يوسف الونقالي*

---

[1] مبارك جعفري، مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، مرجع سابق، ص ص 114-115.

* هو العالم الكبير والصوفي العارف سيدي مولاي سليمان بن علي الشريف بن عمر بن أحمد. درس رحمه الله وتعلّم على عدد من الفقهاء، كان من بينهم الشيخ الفاضل والصوفي العابد الزاهد، سيدنا ومولانا صاحب المناقب والفضائل، علي بن حرزهم، وهو من أمَرَهُ بالرحلة نحو توات.

قصد الشيخ توات سنة (580هـ-1184م) فنزل بتيليلان ثم انتقل بعدها إلى أولاد عيسى فسكن بها في سنة (593هـ - 1197م) فظل رحمه الله بزاويته مُعلّماً ومدرّساً ومفتياً، نفع الله به العباد والبلاد ثم انتقل في آخر عمره لقرية (أولادوشن) وتوفي بها سنة (670هـ - 1271م). منقول عن عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، مرجع سابق، ص ص 67-68.

[2] بكراوي محمد عبد الحق، مرجع سابق، ص 302.

* هو محمد بن عبد الكريم المغيلي من قرية المغيلة بتلمسان، ويرجع نسب أجداده إلى الحسن المثنّى سِبط الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، واختلف المؤرخون في ميلاده غير أن أرجح الروايات ما ذكره العلامة ابن القاضي في تاريخ الوفيات وهو (820هـ/1417م) واتفق على وفاته فقد كانت سنة (909هـ/1503م)، منقول عن عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، مرجع سابق، ص ص 70-71.

* هو العالم أحمد بن الشيخ محمد الرقاد الكنتي (ت 1063هـ/1653م) وهو أحمد بن الشيخ محمد المعروف بالرقاد ابن الشيخ أحمد المعروف بالفيرم، ابن عمر الشيخ ابن الشيخ سيدي أحمد البكاي، ينتهي نسبه إلى عقبة بن نافع الفهري، ولد سنة 968هـ/1561م بواد نون، جنوب المغرب وبه نشأ وترعرع في بيت بدوي بين أبوين سهرا على تربيته إلى أن بلغ رشده، حفظ القرآن برواي الإمام ورش على قراءة نافع على يد أبيه محمد الرقاد، أسس زاويته بتوات سنة 999هـ/1590م والمعروفة بالزاوية الكنتية الرقادية تحولت إلى منارة للعلم يقصدها الطلبة من كل الآفاق، توفي بالزاوية الكنتية عام 1060هـ/1652م، عن عمر ناهز مائة سنة. منقول عن عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري معجم أعلام توات، مرجع سابق، ص ص 79-81.

سنة 1058هـ/1648م، والزاوية البكرية التي تأسست سنة 1117هـ/1705م على يد الشيخ البكري بن عبد الكريم* وزاوية الشيخ محمد بن الكبير* التي تأسست سنة 1370هـ/1950م بأدرار، وقد صارت هذه الزوايا في المنطقة مراكز إشعاع فكري وحضاري، وساهمت في نشر الإسلام واللغة العربية، وفي بناء المجتمع التواتي وفق القيم الإسلامية على مر العصور، كما ساهمت في المقاومة الثقافية والشعبية إبان الاستعمار الفرنسي للجزائر، وبعد الاستقلال أضحى لها دور أساسي متعدد الجوانب وفي مجالات متفرقة، واستمرت تلعبه حتى هذا الوقت.[1]

---

* ولد بأولاد ونقال سنة 1002هـ/1593م، درس على يد الشيخ عبد الكريم بن محمد بن أبي محمّد، عرف بعلمه، وزهده وصبره، أسس زاوية تنلان سنة 1058هـ/1648م وتوفي سنة 1078هـ/1667م، وله تأليف عديد منها: كتاب في أصول توات وأشعار لم يصلنا شيئاً منها عدى بعض الأشعار. منقول عن عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، معجم أعلام توات، مرجع سابق، ص ص 92-93.

* ولد يوم الثاني عشر من رمضان المعظم سنة 1042هـ، وأخذ العلم عن شيخه العلامة سيدي محمد بن علي النحوي الوقروتي وعن والده الشيخ سيدي عبد الكريم بن محمد، أسس الزاوية البكراوية سنة 1117هـ/1705م، وجعل ابنه محمّد وصياً عليها بأمره، ورضا إخوته، وببركة شيخه سيدي علي بن حنيني الذي وضع لبنتها الأولى، وقال أسميتها (المحبوبة)، أمّا مكان تأسيسها فكان بين تيمي وتمنطيط، أصبحت الزاوية ملاذاً للطلبة وعابري السبيل، اشتهرت وذاع صيتها في ربوع توات، توفي يوم الأحد 02 ذي القعدة عام 1133هـ/ 25 أوت 1721م. منقول عن عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، معجم أعلام توات، مرجع سابق، ص ص 128-131.

* هو سيدي أبو محمد بن عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الكبير، يتّصل نسبهُ بالجد الأكبر الحاج عبد الله دفين لغمارة ببودة، والذي يرجع نسبه إلى إبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين، إن المتداول والمعروف والمشهور أنّه ولد في الثالث والثلاثين وثلاث مائة وألف، من هجرة السول صلى الله عليه وسلم 1333هـ/1911م بالغمارة ببودة الواقعة في الجنوب الغربي من ولاية أدرار على بعد خمسة وعشرين كيلومتر عن ولاية أدرار، توفي رحمة الله عليه في يوم الجمعة 16 من جمادى الثانية وعشرون أربع مئة وألف (1421هـ) الموافق لـ 15 سبتمبر ألفين (2000م). منقول عن محمد الطاهر بن النواتي السايحي شيخنا الإمام كما عرفته، سيدي محمد بن الكبير رحمه الله، دار بن خلدون للطبع، تلمسان، ص 40 وص 122.

[1] مبارك جعفري، مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، مرجع سابق، ص ص 114-115.

ثانياً: تمويل الزاوية التواتية.

الزوايا في المدن والقصور التواتية كانت تستمد مواردها المالية من مصدرين:

أ) ربع الأحباس المالية والعينية الموقوفة على الزاوية بجانب الأراضي الزراعية التي تمتلكها الزاوية.[1] فمن الموارد التي تموّل منها الزوايا فيما مضى المحصولات الزراعية وما يلحق بها من ثمار النخيل في بعض البلدان وفي بعضها يكون عن طريق الأوقاف الكثيرة التي كانت توقف عليها من طرف المحسنين.[2] وعند الحديث عن الزوايا لابُدّ من الحديث عن الأوقاف التي كانت بكثرة في المنطقة، حتى لا يكاد يخلو قصراً أو بلدة إلا وتجد بها بساتين ومياه أوقاف على المسجد والزوايا والسبيل وقد وجد فيها العلماء والطلبة ما يعينهم على أعباء الحياة، والتفرغ لطلب العلم وعدم الإشتغال بأمور أخرى.[3] وتعتبر الزوايا في منطقة توات شديدة الصلة بالوقف، ذلك أن هذه الزوايا كانت ولا يزال البعض منها تموّل عن طريق الوقف، فلا تقوم الزاوية إلاّ إذا وُجد بجانبها وقف استثماري يصرف ريعه على أغراضها، بل إن هاته الزوايا في حدّ ذاتها هي وقف إذا ما لوحظ فيها أن الهدف من إنشائها تلك الخدمات الإحسانية التي كانت تقدمها لفئات كثيرة من المجتمع.[4]

ب) الهبات والمنح التي يقدمها أتباع الزاوية،[5] ولقد كان أرباب الزوايا في بعض الجهات يعملون جاهدين على تفجير الفقاقير وغرس النخيل وزارعة البساتين التي ساعدهم على أداء مهمتهم النبيلة كما كانت لبعضهم قوافل التجار تجوب القفار وتربط ما بين داخل الوطن وخارجه لجلب السلع واللحوم والمواد الغذائية وسائر ما يحتاجونه فكلّ اعتمادهم على

---

[1] فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص 122.

[2] الشيخ محمد باي بلعالم، الرحلة العلمية إلى منطقة توات، لذكر بعض الأحكام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، المجلد الأول، مرجع سابق، ص 346.

[3] مبارك جعفري، مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، مرجع سابق، ص 210.

[4] براهيم بلبالي، مرجع سابق، ص 182.

[5] فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص 122.

المحصولات الزراعية والتجارة الخارجية وعلى بعض الإعانات الضئيلة التي يقدّمها لهم ذوي البر والإحسان هذا بالنسبة لما مضى. وأما في هذه الآونة فلم تعد الزوايا تنتفع بالبساتين ومحصولاتها نظراً لضعف النخيل وقلة المياه مع ما تتطلبه الفلاحة من عمل شاق ومع ذلك فإن الزوايا لا زالت تواصل رسالتها بفضل المسيرين الرشداء الذين هم على رأسها ينظرون إليها على أنها أمانة في أعناقهم تجب رعايتها والمحافظة عليها.[1]

ثالثاً: أنواع الزاوية التواتية.

أصبحت الزوايا مراكز إشعاع للحياة الدينية والعلمية والزوايا في توات مقسّمة إلى عدّة أنواع حسب الأدوار والمهام التي تقوم بها كل واحدة وحسب طريقة النشأة:

أ- زوايا حسب النشأة:

وهي تلك الزوايا التي تم بناؤها على أرض أشتريت من طرف مؤسس الزاوية خارج القرى أو القصور كما هو الحال بالنسبة للزاوية البكرية التي بنيت قرب تمنطيط وزاوية تينيلان التي أسست عام (1058هـ/1613م) من طرف سيدي أحمد بن يوسف بعد انتقاله من تيمي إلى تيليلان.

[1] الشيخ محمد باي بلعالم، الرحلة العلمية إلى منطقة توات، لذكر بعض الأحكام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، المجلّد الأول، مرجع سابق، ص 347.

ب- زوايا حسب الوظيفة:

ويمكن هي الأخرى تصنيفها إلى ما يلي:

1/ زوايا العلوم:

ووظيفتها مقتصرة على التعليم لكل الأعمار مثل زاوية الحاج أحمد ديدي والزاوية الكنتية للحاج محمد الكنتي، وزاوية الحاج الشيخ الحبيب الطاهري بسالي.[1] وهي زوايا وظيفتها تعليم القرءان الكريم للأطفال بمختلف الأعمار وتكون عادة بقرب المسجد وهي عبارة عن مجموعة من الأبنية منتشرة في سائر قصور توات، وقد لعبت هذه الزوايا دوراً بارزاً في تحفيظ القرءان الكريم وتعليم العلوم الشرعية واللغوية،[2] وقد لعبت هذه الزوايا دوراً كبيراً في الحركة العلمية بتوات، وساهمت في تنشيطها خلال القرن الثاني عشر، وشكلت مركز إشعاع علمي وحضاري كما يقصدها الطلبة من كلّ مكان لتلقّي العلم إلى جانب توفير الإطعام والمبيت للوافدين، وذلك بفضل الأوقاف والحبوس التي حازت عليها، ثم تأسيس العديد منها خلال هذه الفترة أمّا ما كانت منها موجودة فقد واصلت دورها العلمي والدراسي.[3]

2/ زوايا الضيافة:

ومهمتها إكرام الضيف وإطعامه مع إيواء عابري السبيل ومن ليس لهم مأوى[4] وكانت تقام لاستقبال الضيوف وعابري السبيل، ويقصدها المسافرون الغرباء، التّجار، الحجيج للراحة وتناول الطعام، فرضت طبيعة المنطقة هذا النوع من الزوايا بسبب انتشار القصور وبُعد المسافات، مع إزدهار التجارة وتزايد أهمية الطرق المارة بتوات، بالإضافة إلى عدم

---

[1] خير الدين شترة، البعد الثوري للزوايا العلمية بالجزائر خلال المرحلة الاستعمارية، أعمال الندوة السنوية السابعة حول "الزوايا الجزائرية ودورها في مكافحة الاستعمار"، جمعية زاوية مولاي سليمان بن علي بأولاد وشن أدرار، 14 ماي 2012م، ص 99.

[2] محمد الصالح حوتية، توات والأزواد، جزء أول، ص 233.

[3] مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، مرجع سابق، ص 165.

[4] خير الدين شترة، مرجع سابق، ص 99.

توفرها على أماكن حضرية كبرى تضم مرافق وأماكن للمبيت كالحمامات، الفنادق، المطاعم ووجدوا في هذا النوع من الزوايا ما يعوضهم عن كل ذلك، خاصة أن أغلبها كانت تقام على قارعة الطرق التجارية عرفت نشاطاً كبيراً خلال القرن الثاني عشر، وحتى القصور التي لم تكن بها زوايا، دأبت على إكرام الضيف. ومن الأمثلة على زوايا الإطعام، زاوية الشيخ عبد القادر بن عومر بفنوغيل وزاوية الشيخ سيدي على بن حنيني بقصر زاقلوا.[1]

3/ زوايا العلم والضيافة:

ومهمتها أن تقوم بالدورين معاً فهي من جهة تتولى التعليم ومن جهة أخرى توفّر المسكن والمطعم للزوار وعابري السبيل والمعوزين وإلى هذا النوع تنتمي الزاوية البكرية،[2] وقصور توات بها زوايا للعلم أو للإطعام، ومن عادة سكان قصور توات، أنّ الضيف الذي ينزل في أي قصر من قصورها فإنه يستضاف بزاويته التي يعمل سكان القصر على تموينها،[3] فزوايا العلم عادة وحسب ما تتواجد عليه في مناطق توات وتجمع في آن واحد (العلم والإطعام) فليس هناك زوايا خاصة بالعلم دون الإطعام، ويتمّ تدريس السّنة والأحاديث النبوية ودروس الأخلاق والآداب العامة، كما تُدرّسُ فيها الدروس الفقهية وهي استظهار بعض المتون الفقهية، كما تتوفر جل زوايا منطقة توات على أملاك خاصة بها تتمثل في الأراضي والبساتين والحيوانات ومختلف أنواع العقّار محبسة وقفاً على الزاوية كما تمتلك بعض الزوايا مقادير محددة من مياه الفقارة التابعة للقصر.[4]

---

[1] مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، مرجع سابق، ص ص 163-164.

[2] خير الدين شترة، مرجع سابق، ص 100.

[3] محمد الصالح حوتيه، توات والأزواد، جزء أوّل، ص 235.

[4] سالمي زينب، الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08-10 هجرية، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، 2011-2012، ص 51.

جـ/ زوايا بإسم مؤسسيها:

هي مرتبطة بنشأة قصورها أو العائلات التي ساهمت في تكوينها:

- حيث يوجد بقصر بودة زاوية الشيخ بن عومر وزاوية سيدي حيدة.
- وفي تيمي توجد زاوية سيدي سليمان بن علي وزاوية سيدي أحمد بن يوسف وزاوية الشيخ البكري وزاوية مهدية.

أما في فنوغيل فنوجد زاوية سيدي عبد القادر، وفي زاجلوا توجد زاوية سيدي على بن حنيني، وفي زاوية كنتة توجد الزاوية الكنتية.

وفي زاوية الشيخ توجد زاوية الشيخ بن عبد الكريم المغيلي، وفي أنزجمير زاوية بلال، وبرقان توجد زاوية الشيخ مولاي عبد الله الرقاني.[1]

فأغلبية الزوايا التواتية أسّس لأجل التعليم من طرف مؤسسها الأول، لأن مؤسسها الأول كان من كبار العلماء العاملين ولعجز الأحفاد والأجيال المتلاحقة عن حمل رسالة ذلك الرجل فبقيت تلك الزاوية على شكل طُلَلْ تُذكر دائماً بشخصية الرجل الأول فيأوي لها الوارد والبادي، فيجد فيها الراحة والأمن والاطمئنان والأكل والشرب والنوم، وتقوم تلك الزاوية بأعمال أخرى كالشفاعة والصُّلح لمكانها عند الناس واحترامهم وعدالتهم الشاملة بين أفراد المجتمع حتى يحافظ على سُمعة زاويته وهيبتها ومكانتها في الوسط الاجتماعي، ولأجل هذا سُميت عدة قصور وقرى باسم الزاوية.[2]

---

[1] محمد العالم حوتية، توات والأزواد، جزء أول، مرجع سابق، ص 234.

[2] الشيخ مولاي التهامي بن سيدي محمد غيتاوي، سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، العالمية للطباعة والخدمات، الجزائر، 2013، ص ص 309-310.

II- 08 الزاوية الايداوعلية بتوات:

أولاً: ترجمة الشيخ سيدي ايداوعلي الشيخ سيدي محمد بن أحمد العلوي.

هو الشيخ الفاضل والعالم بن الجليل سيدي محمد العلوي بن أحمد بن يحي، ويصل نسبه إلى إدريس محمد بن سليمان بن عبد الله بن سليمان بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني. ولد رحمه الله بشنقيط بموريتانيا في النصف الثاني من القرن 11م، وقد بدأ دراسته الأولى بمسقط رأسه حيث حفظ القرءان ثم درس باقي العلوم السائدة في ذلك العصر، ولمّا بلغ في العلْم درجة رفيعة أراد أن يؤدي فريضة الحج، فخرج من شنقيط متجهاً صوب البقاع المقدّسة على رأس وفد بلغ عدد رجاله حوالي 800 رجلاً من مناطق متعددة من المغرب وموريتانيا والسنغال ومالي ومن باقي دول الجنوب الجزائري، وفي إحدى مناطق العبور إلى الأراضي المقدّسة وبالضبط في (عين صالح) (تيديكلت) منطقة في جنوب الجزائر، توقف الشيخ سيدي محمد بن أحمد الايداوعلي ولم يواصل السير نحو البقاع المقدّسة لأسباب يطول ذكرها، وحينها ودّع القافلة بأبيات من الشعر الملحون يقول فيها:

بالركب الماشي ليه عندك بلّغ سلامي ليه **** أنا ناوي ليه كان جاد الله عليا.

نجاور ونعود من أهل الهاشمي قرة عينيا.

ثم رجع الشيخ إلى "أقبلي" بلدية بدائرة أولف فاستقبله عالمها الجليل (سيدي بونعامة) وألحّ هذا الأخير على الشيخ للبقاء عنده، لكن الشيخ سيدي ايداوعلي لم يطب له المقام هناك وعزم على الرحيل، فأذِنَ له الشيخ سيدي بونعامة فتوجّه حينها إلى توات[1] وبالضبط إلى تمنطيط عند عالمها سيدي البكري بن عبد الكريم، وقيل أنّهُ حلّ بتمنطيط، أرسل بقصيدة شعرية يطلب فيها الجوار من سيدي البكري، وردّ عليه عالم تمنطيط بقصيدة مثلها، فكانت هذه الأخيرة كلّها ترحيباً بقدوم الشيخ الايداوعلي وبذلك اجتمع العالمان مدة زمنية، ولاستكمال

[1] الشيخ مولاي التهامي بن سيدي محمد غيتاوي، سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، مرجع سابق، ص 135.

القصد للشيخ ايداوعلي اتجه بإشارة من سيدي البكري إلى تفيلالت بالمغرب قاصداً أبناء سيدي الغازي وفي مقامهم الشريف، تلقّي ايداوعلي مبادئ التصوف، واستكمل مرغوبه وأقبل بعدها راجعاً إلى تمنطيط مرة أخرى.[1] استقرّ به المقام بقصر أعباني بمنطقة فنوغيل حيث أسّس هناك مسجداً ومدرسة قرءانية وزاوية.[2] ولمّا استقر شأن الزاوية خرج من عباني عائداً إلى الجنوب، ولكن هذه المرة إلى تمبوكتو (مدينة مالية) حيث تزوّج وواصل رحلته في نشر العلم والمعرفة ثم عاد وواصل جهاده إلى أن انتقل إلى جوار ربّه في القرن 12م عن عمر يناهز 88 سنة[3] وبالتحديد توفي أواخر القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي[4] أي توفي قبل سنة 1198هـ/1784م في أرض التكرور[5] وصلى عليه محمد بن المبروك البوداوي في جنازة لم تشهد المدينة مثلها أبداً. وخلّف ثلاث أبناء منهم الولي الصالح سيدي إبراهيم والذي تقام سنوياً بمناسبة وفاته تظاهرات دينية بعباني حيث يسهر على إحيائها ابن الولي الصالح سيدي إبراهيم وهو (الحاج معروف) وذلك في (24 أوت من كل سنة). يعدّ الشيخ الايداوعلي من أشهر علماء وأدباء عصره، وشعرُه يضاهي الشعر الجاهلي من الناحية الأدبية، ومن أشهر مؤلفاته (العسلة والنونية) الأولى في التوحيد والثانية في ذكر الأولياء وكراماتهم، وكذلك الورشاني والمترنّم والغوثية، وغيرها من القصائد التي ما تزال محفوظة ولم تطبعْ بعدُ، فرحم الله الشيخ وحشره في زمرة النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين والحمد لله رب العالمين.[6]

---

[1] نفس مرجع، ص 136.

[2] عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، معجم أعلام توات، مرجع سابق، ص 293.

[3] الشيخ مولاي التهامي بن سيدي محمد غيتاوي، سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، مرجع سابق، ص 136.

[4] عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، معجم أعلام توات، مرجع سابق، ص 293.

[5] مبارك بن الصافي جعفري، مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، مرجع سابق، ص 204.

[6] الشيخ مولاي التهامي بن سيدي محمد غيتاوي، سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، مرجع سابق، ص ص 136-137.

ثانياً- تأسيس الزاوية الايداوعلية:

لمّا عاد الشيخ الايداوعلي من المغرب إلى جوار سيدي البكري بتمنطيط، اشتغل بتعاليم العلم والمعرفة، ولمكانة عالمنا وشهرته ونضج أفكاره وغزارة معارفه ذاع صيته وانتشر خبره بين قصور المنطقة حتى اجتمع إليه أعيان هذه القصور طالبين سيدي البكري أن يسمح لسيدي محمد الايداوعلي بالذهاب معهم لأجل تعليم العلم لهم ولأبنائهم، وبعد أن حاولت كل جماعة الظفر به استقّر هذا الأمر لجماعة قصر عباني (قصر ببلدية فنوغيل) فخرج من تمنطيط إلى القصر المذكور، وتزوّج وأسّس زاويته المعروفة وظلّ يشتغل بتعليم العلْم ونشر المعرفة في المنطقة،[1] وحالياً القائم على زاويته هو حفيده (الحاج معروف) أطال الله في عمره.

II- 09 زاوية مولاي التهامي غيتاوي بتوات:

أولاً- ترجمة الشيخ مولاي التهامي غيتاوي:

الشيخ مولاي التهامي بن المرحوم سيدي محمد المزداد خلال 1954 بأوقديم أدرار، نسبه الشريف ينحدر من سلالة سيدنا الحسن علي بن فاطمة الزهراء رضي الله عنها، بدأ دراسته بالكتاتيب عن شيوخ عدة، ثم انتقل إلى مدرسة الشيخ سيدي محمد بن الكبير وبقي فيها سبع سنوات[2] وبعد وفاة والده رحمه الله أحتضنه جدّه الشيخ سيدي مولاي العربي بن مولاي علي بقصر أولاد إبراهيم بلدية تيمي، وقرأ عليه وعلى يد خاله سيدي محمد بن سيدي مولاي العربي، وقبل هذا على يد السيد مولاي الطاهر بن مولاي العربي والسيد الحاج الحسين بن علي والسيد مولاي أعلي بن مولاي المهدي.[3] وفي سنة 1979 عيّن إماماً بمسجد الجمعة

---

[1] الشيخ مولاي التهامي بن سيدي محمد غيتاوي، سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، مرجع سابق، ص 135.

[2] الشيخ مولاي التهامي بن سيدي محمد غيتاوي، سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، مرجع سابق، ص 03.

[3] الشيخ مولاي التهامي غيتاوي، الإشراق الكبير، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007م، ص 03.

بأوقديم، ثمّ عيّن مراقباً لسير الأعمال في المساجد والكتاتيب[1] ثم عيّن عضواً في المجلس الإسلامي الأعلى سنة 1998 وساهم في إنشاء الجمعية الوطنية للزوايا سنة 2001[2] وبعدها عين عضواً في الأمانة العامة للجمعية الوطنية للزوايا في نفس السنة، كما عيّن رئيساً لرابطة علماء الجزائر سنة 2014، ثم انتقل إلى رحمة الله فجر الخميس 26 مارس 2015، وله العديد من المؤلفات أبرزها:

- سلسلة التوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات.
- الإشراق الكبير.
- الضوء المستنير في تعريف من جهل فضل الشيخ سيدي محمد بلكبير.
- لفت الأنظار إلى ما وقع من النهب والتخريب والدمار بولاية أدرار إبان احتلال الاستعمار.

ثانياً- تأسيس زاوية مولاي التهامي غيتاوي:

وبعد أكثر من عشرين سنة من الجد والكد في تحصيل العلم على أيدي كبار شيوخ المنطقة، قام بفتح مدرسته الدينية مالك بن أنس رضي الله عنه بقصر أوقديم مسقط رأسه سنة 1990 بعد أن إستأذن شيخه سيدي الحاج محمد بن الكبير رحمة الله عليه.[3]

II- 10 الدور الثقافي والاجتماعي للزاوية التواتية:

للزاويا دور كبير وهام في صيرورة الحياة الثقافية والإجتماعية بتوات فقد اعتبرت ركيزة أساسية وأداة هامة لتنمية المجتمع التواتي، فنشأت بها العديد والكثير من الزوايا التي

[1] الشيخ مولاي التهامي بن سيدي محمد غيتاوي، سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، مرجع سابق، ص 310.

[2] عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، معجم أعلام توات، مرجع سابق، ص 142.

[3] الشيخ مولاي التهامي غيتاوي، الإشراق الكبير، مرجع سابق، ص 03.

اهتمت بفعل الخير والاعتناء بعابر السبيل فاعتبرت بذلك مرفأ للراحة والأمان ومطلباً للسلامة.[1]

أولاً- الحياة العلمية في توات:

كان لوجود الزوايا والأوقاف دوراً بارزاً في الحركة العلمية لمَا وفرّته لطلبة العلم من مأوى ومسكن قار وبلغة، أعانتهم على التحصيل وطلب العلم وبفضلها انتشر التعليم في المنطقة، خاصة بين العائلات الفقيرة، وكان المشايخ والعلماء يتنافسون في إقامة الزوايا لما فيها من الأجر والثواب، ولا يرضى أحدهم إلا بزاويته.[2] كانت مراحل التعليم تبدأ عادة بالكتّاب ثم الزاوية[3] والتي يتولى التعليم فيها فقيه الزاوية وإمام المسجد، ونظام العمل الدراسي اليومي يسير سهلاً ميسوراً، فالفقيه أو الإمام هو الأساس ولا يشاركه أو يعاونه أحد في تعليم الطلبة، حيث يتلقى الطلبة كافة علومهم على يديه في صحن الزاوية أو المسجد، وهناك يجلسون على هيئة دائرة وشيخهم في وسطها ومع كل منهم لوحة وكتبه، وتستمر الحلقة غالباً من صبح كل يوم حتى منتصف النهار، بعدها ينصرف الطلبة لتناول الغذاء، وتبدأ الفترة اليومية الثانية بعد صلاة العصر وتستمر غالباً حتى يحين وقت صلاة المغرب، وهكذا باقي أيام الأسبوع، ماعدا يوم الجمعة والأعياد والمواسيم الدينية. وكان يلحق ببعض الزوايا أماكن لإقامة الطلبة الذين يأتون من هنا وهناك لتلقي العلم.[4] ولقد كان المتخرجون من هذه المدارس قديماً وحديثاً هم الذين يتولّون الإمامة والتعليم وهم الذين يوجّهون إلى الجهات العديدة من داخل الوطن وخارجه لنشر العلم وتحفيظ القرءان كما أن الكثير من المعلّمين في

[1] عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وعلامئها، مرجع سابق، ص 61.

[2] مبارك جعفري، مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، مرجع سابق، ص 210.

[3] فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص 28.

[4] فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص 99.

التربية حديثاً تخرّجوا من هذه المدارس فهي التي تلقوا منها العلوم التي أهلتهم للمشاركة في التعليم التربوي في سائر مراحلها.[1]

ثانياً- الحياة الاجتماعية في توات:

كانت الزوايا في المنطقة تقوم بإطعام الطعام للضيوف والزائرين الوافدين من سائر النواحي على تباين أجناسهم واختلاف أغراضهم وتقوم كذلك بإصلاح بين المتشاحنين وتقرب بين المتباعدين، لعب أهلها دوراً بالغ الأهمية فيما ذكرو وكانوا أهل احترام وحرمة فتنقاد الخاصة والعامة لأوامرهم وتعمل بنصائحهم، ومن بين هذه الزوايا: المغيلي، سالي، بودة. هذا وقد جرت عادة أهل توات وخصوصاً مقدّمي الزوايا أنهم يقيمون زيارة للأولياء الصالحين والذين بذلوا في سبيل الله أموالهم وقطعوا في عبادة الله أعمارهم، كانت هذه التظاهرة فيما مضى تقتصر فيها على الفاتحة وبعض الرقصات، أما الآن فإنها قد تحسّنت وأصبحت ملتقى للعلماء وتُلقى فيها المحاضرات وتعقد الندوات.[2]

II- 11 الزاوية التواتية إبان الإستعمار الفرنسي:

بعد تعرض القطر الجزائري للإحتلال الفرنسي، عادت الزوايا إلى أصلها كرباطات للجهاد ونصرة المسلمين حتى قبل دخول المستعمر إلى الإقليم حيث أصبح هذا الأخير ملاذاً للمقهورين من القبائل الثائرة في الشمال، وذلك لبُعده وصعوبة وصول القوات الفرنسية إليه. وبعد المقاومة العنيفة التي قادتها الزوايا، راح المستعمر يستهدفها مباشرة فاستولى على أموال الأوقاف، وقطع عنها كل موارد الرزق ووضع قيود على أنشطتها وشجّع على قيام زوايا موالية لهُ تكرّس ثقافة الرضوخ والاستسلام، مما أدخل المنطقة في حالة عزلة صاحبها جذب ثقافي وفكري مع انتشار كبير للبدع والخرفات، نتج عن كل ذلك وقف كثير من الزوايا

[1] الشيخ محمد باي بلعالم، الرحلة العليّة إلى منطقة توات لذكر بعض الأحكام والآثار والمخطوطات والعادات، وما يربط توات من الجهات المجلّد الأول، مرجع سابق، ص 349.

[2] الشيخ محمد باي بلعالم، الرحلة العليّة إلى منطقة توات لذكر بعض الأحكام والآثار والمخطوطات والعادات، وما يربط توات من الجهات المجلّد الثاني، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص 274.

لأنشطتها لكن ما تبقى منها واصل عملهُ الاجتماعي والثقافي وأعمال البر والإحسان وحمل لواء المقاومة الثقافية والحفاظ على الثوابت الوطنية.[1]

[1] حليمة كحلاوي، مرجع سابق، ص ص 234-235.

الفصل الأول:

بين مجالي الزاوية والسياسة

تمهيد:

تم في هذا الفصل تحديد المفاهيم الأساسية التي يرتكز عليها هذا البحث، وشرحها وتفسيرها، وذكر أيها أقرب للمحور الإمبريقي للبحث، كمصطلح الزاوية والنزاع السياسي، والإقليم، والدبلوماسية، وهي مصطلحات مفتاحية تساعد في دراسة البحث والإلمام بموضوعه، وتجعل القارئ يأخذ فكرة واضحة على العديد من المصطلحات والمفاهيم قبل الربط بينها في فصول البحث اللاحقة، وهذا ما سنتعرض إليه بالتفصيل في هذا الفصل.

I/ الزاوية:

لقد تعددت الدراسات المهتمة بالزوايا وكان لكل دارس تعريف للزاوية يقترب من متغيرات دراسته في سياقها الإجرائي لذلك فمصطلح الزوايا يخضع للصيرورة التاريخية والوظيفية حيث تعددت تسميات الزوايا تاريخيا ووظيفياً حسب الدور الذي كانت تلعبه الزاوية سواء كان إجتماعيا أو دينيا أو سياسيا بالإضافة إلى مكوناتها وهندستها المعمارية الذي كان يختلف حسب كل حقبة تاريخية، لذا فمصطلح الزاوية تتجاذبه تعاريف لغوية وإصطلاحية عامة إضافة إلى التعاريف الصوفية والأنتروبولوجية.

I/1- الزاوية في اللغة وإصطلاح:

أطلقت العديد من التسميات على مصطلح الزاوية تاريخيا أو بحسب الأمكنة التي تواجدت بها، أو الأدوار التي كانت تقوم بها وهذا ما يتضمنه تعريفها اللغوي والاصطلاحي.

I/1-1 الزاوية في اللغة:

الزاوية في الأصل مأخوذة من الإنزواء بقصد العكوف على العبادة أو تلقي العلم بعيدا عن دنيا الناس ومشاغلهم اليومية.[1]

[1] عبد العزيز شبهي، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص13.

والزاوية في الأصل ركن البناء، وفي اللغة «الزاوية» ومن الإنزواء والإنطواء والإنعزال والبعد عن الحياة العامة والأسواق. ولعل هذا ما يفسر وجود أغلب الزوايا في البراري والجهات المهجورة بعيدا عن العُمار.

وزوي الشيء أو زواه بمعنى قبضه معه مما يفيد التركيز والتمكين من الشيء أيضا، وزوى الشيء أي نحاه، وانزوى القوم بعضهم إلى بعض أي تدانواْ وتضامنوا، ويقال أيضا إنزوت الجلدة في النار: إذا انقبضت واجتمعت.

وفي حديث ابن عمر «كان له أرض زوتها أرض أخرى: أي قربت منها، وقيل أحاطت بها، مما يفيد معنى الإحاطة والقرب كما يعني التهيؤ أيضاً. زويت الكلام أي حبسته وأسررته في نفسي[1].

ومصطلح الزوايا مفرد زاوية، مصدر زوى، إنزواء: إشارة إلى مكان العزلة والخلوة، وهو المكان المعد للعبادة والتعليم، من طرف شيخ يسهر على تعليم الناس وإرشادهم وفك الخصومات بينهم، ومنح عهد الطريقة وميثاقها.[2]

والجدر اللغوي (زوى) من معاينة الإنضمام والتجمع،[3] وفعل (إنزوى): أي إرتكن من أركان المسجد من أجل الإعتكاف والعبادة،[4] وزوى الشيء يزويه زياً جمعه وقبضه وزوى مابين عينيه أي جمعهما، حيث جاء في ديوان الأعشى قوله:

يزيد يغص الطرف دوني كأنما ** زوى بين عينيه علي المحاجم**

وفي بيت آخر

[1] العماري الطيب، الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر، التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي، دراسة أنثروبولوجية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد15-جوان2014، ص27.

[2] قارة مبروك بن صالح، الصورة الحقيقية للزوايا والطرق الصوفية، دار علي بن زيد للطباعة والنشر والتوزيع، بسكرة، الجزائر،2013، ص08.

[3] رشيد الأركو، الزوايا المغربية في الفترة المعاصرة وعلاقتها بالدولة، زاوية الطريقة القادرية البودشيشية أنموذجاً، مركز جيل البحث العلمي، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب، العدد 54، يونيو 2019، ص 131.

[4] دحماني لحسن، البركة والتبرك والزواية، مقاربة سوسيولوجية لواقع التدين بالمغرب، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدراسات الدينية،16 أبريل2019، ص5.

فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى ** ولا تلقني إلا وأنفك راغم**[1]

من خلال هذه التعاريف يتبين أن المصطلح اللغوي للزاوية مأخوذة من عدة معان فتطلق هندسياً على ركن البناء كما تفيد معنى العكوف، الإنزواء، الانعزال، القبض والضّم، الخلوة، وكلها معان تفيد معنى البعد عن الحياة الدنيا وملذاتها والتفرغ للعبادة في مكان لا سوق فيه ولا تجارة، سوى التجارة مع الله.

I/1-2 الزاوية في الإصطلاح العام.

لفظ الزاويا اليوم يعني مراكز تحفيظ القران وتعليم أصول الدين والعلم الشرعي ونشر الأخلاق والفضائل الإسلامية.

وهي بذلك حصون العقيدة والإيمان وأماكن تختزن في صناديقها ورفوفها ذخائر التراث الإسلامي بآدابه وسجاياه الحميدة وملامحه التاريخية والوطنية.[2]

الزاوية ركن من أركان المسجد أُتخذت للعبادة والإعتكاف والتعبد ثم تطورت الزوايا فيما بعد إلى أبنية صغيرة يقيم فيها المسلمون الصلوات ويتعبدون فيها ويعقدون بها حلقات دراسية في علوم الدين، وما يتصل بالدين من العلوم النقلية والعقلية، كما يعقد فيها مشايخ الطرق الصوفية حلقات الذكر. وهذا ما يذهب إليه أيضا «عبد الحكيم عبد الغني قاسم» الذي يرى أن الزاوية كانت في البداية تعني جُزء أو ركن من المسجد يخصص للعبادة لكنها مع مرور الوقت إتخذت شكلا جديدا في هيئة دور-جمع دار- تقام للدراسات العلمية والدينية، وقد إتخذتها الصوفية مكاناً لإقامة حلقات الذكر فيها، وهوبذلك يصنفها (الكاتب) بوصفها من المؤسسات التربوية الصوفية.

والزاوية عبارة عن مكان معد للعبادة وإيواء الواردين المحتاجين وإطعامهم وتسمى في الشرق (خناقاة) وجمعها (خانقات) أو (خانقوات) أو (خوارق).

[1] مبارك الجعفري، مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2016، ص212.

[2] عبد العزيز شهبي، مرجع سبق ذكره، ص13.

كما تعرف الزاوية بأنها «مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة وهي بهذين الوصفين تشبه كثيراً (الدير) في العصور الوسطى، ولعل هذا ما يفسر أن هذه المؤسسات عرفت في بداية تأسيسها ببلاد المغرب خاصة على العهد الموحدي بدار الكرامة، أو دار الضيوف في العهد المريني. ويعرف أبو القاسم سعد الله الزوايا بقوله «عبارة عن مؤسسات دينية ومراكز ثقافية ونواد إجتماعية وخلايا سياسية يتعلم الناس فيها مبادئ دينهم وتعاليم شريعتهم وفيما يتلقون مختلف العلوم والمعارف ويقيمون العلاقات الإجتماعية والعسكرية والسياسية».

وهو التعريف الذي يتوافق مع ذلك الذي يقدمه (عبد القادر عثماني) شيخ الزاوية العثمانية بطولقة بقوله «إن لفظ الزاوية بالتعريف العرفي أو الإصطلاحي هي عبارة عن مسجد ومدرسة أو معهد للتعليم القرءاني ومأوى لطلبة داخلين يعيشون في تلك الزاوية بلا مقابل، ويضاف إلى ذلك ضريح مؤسسها الذي تسمى باسمه غالباً، ولها طريقة تنتمي إليها... وأن أي مكان آخر أعطي له إسم زاوية وليس به مسجد ولا تعليم ولا مأوى لمن يتعلمون فيها فإنها تسمية مزورة للتغليط والتضليل والتدجيل والإبتزاز.[1]

كما يطلق لفظ الزاوية على موضع أعد للعبادة وتعليم القرآن الكريم يشمل مرافق لإيواء الطلبة وعابري السبيل، ويطلق عليها (ثعمرث) التي تفيده معنى العُمار (ما ينافي الدمار) وقد ظهرت هذه المؤسسة الدينية والاجتماعية في القرن الثامن الهجري أسسها علماء ومصلحون لأداء رسالتها الدينية والاجتماعية والحضارية.[2]

وورد عن إبن مرزوق الخطيب في تعريفه الزاوية ما يلي هي: «المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين.[3]

ويعرفها عبد الله التليذي بأنها مدارس علمية وأخلاقية تهذيبية، تتخرج منها جماعات إثر جماعات من المؤمنين الصادقين المخلصين المحبين.[1]

---

[1] العماري الطيب، مرجع سبق ذكره، ص129.

[2] قارة مبروك بن صالح، مرجع سبق ذكره، ص08.

[3] نفس المرجع، ص09.

ومع أن الزوايا تأسست أول ما تأسست بقصد تلقين المريدين القيام بشعائر الصوفية، فإنها لم تلبث أن تحولت إلى مدارس دينية، لم تقتصر على تلقين الأوراد، والتفرغ للخلوة والعبادة بل تعدت ذلك إلى تلقين العلوم الإسلامية بكامل فروعها. وأقيمت حولها المدارس والأبنية لسكنى الطلبة، فأصبحت الزاوية تقصد لأخذ التصوف والعلم معا.

كما أصبحت مقصودة للضيافة والإيواء الغرباء والمسافرين حتى قيل في تعريفها «إنها مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة»[2] والزواية مؤسسة إسلامية ذات طابع علمي واجتماعي وروحي إقترنت في كثير من الأحيان بالطرق الصوفية، وكانت مكانا يلتقي فيه المريد مع الشيخ لتلقي الأوراد والذكر.[3]

مصطلح الزاوية إذا أطلق يراد به في الإصطلاح مؤسسة روحية إجتماعية وإسلامية أنشأها أهل الخير والصلاح والعلم في منطقة توات لأجل نشر العلم وإيصال النفع للفقراء والمعوزين في سبيل الله[4].

فالزاوية هي دور علم وإقامة على نمط المدارس الداخلية تخضع لنظام يلزم الطلبة والمريدين التخلي بالإنضباط والطاعة، والتقيد بنظام الدراسة والمأكل والملبس، لكنها تختلف عنها في مسألة التحرر حيث لا تخضع للحكام في تعيين الأساتذة ومنح العلاوات للمدرسين والطلبة،[5] فهي مؤسسة دينية إجتماعية وثقافية ذات مهام ووظائف مختلفة،[6] فقد كانت الزاوية مركز للحياة الروحية، في الوقت نفسه كانت مركز للحياة الزراعية والتجارية والسياسية

---

[1] دحماني لحسن، مرجع سبق ذكره، ص05.

[2] محمد علي الصديق، إطلالة على التصوف المغربي وتاريخه، مجلة دعوة الحق، العدد285 محرم1412، غشت1991، ص14.

[3] . مبارك جعفري، مرجع سابق ذكره، ص113.

[4]بكراوي محمد عبد الحق، جهود الزوايا والمدارس القرآنية في جنوب الصحراء الجزائرية في المحافظة على الموروث الديني، دراسة نماذج، مجلة الحقوق والعلوم السياسية، جامعة عباس لغرور خنشلة، العدد08، ج01/جوان 2017، ص301.

[5] محمد محمدي، المساجد والزوايا ببجاية ودورها في حفظ الدين والفكر الصوفي، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد2013/13، ص110.

[6] محمد دباغ، دراسات في التراث دار الغرب للنشر والتوزيع، ص19.

والإدارية والقضائية، وهي تتألق من مجموعة من الأبية كالمسجد والمدرسة والمَضَافَة تحيط بها مزرعة يعمل فيها الأتباع في الزراعة كما يعملون في التجارة ويستقبلون الضيوف ورجال القوافل ويستضيفوهم.[1]

الزاوية هي المجال الحيوي الذي أريد له أن يكون أداة لإعادة صياغة المنزوين فيها، علميا وتربويا وروحيا ونفسيا وإجتماعيا، وأهم ما يميزها ذلك الشيخ الصوفي الذي يترأس تلك المؤسسة الدينية الإجتماعية والثقافية والسياسية في نفس الوقت، الذي يمثل القداسة عند المريدين والمترددين إليه بسبب أفعاله وممارساته التي تحصّل عليها من أصله الشريف ومن مبايعته ليتقيد منصه.[2]

والزاوية تحتوي عادة على مصلى، وغرفة قَصُرت على تلاوة القرآن ومدرسة لتحفيظ القرآن، وتلقين علوم الدين وقواعد اللغة العربية، كما تضم غرف أو مراقد لإيواء الطلبة وضيوف الزاوية والحجاج والمسافرين، ويلحق بها أيضا ضريح الولي الصالح ويكون هذا الولي في الغالب مؤسس الزاوية، أو أحد المرابطين بها ممن سطعت شهرته بالناحية وتجاوزت شهرة المؤسس نفسه.[3]

ولقد صمم هذا المعهد الديني بشكل يستجيب لوظائفه من تعليم وعبادة وايواء واطعام، فقد احتوى على غرفة للصلاة بها محراب وضريح لأحد المرابطين تعلوه قبة، وكُتّاب للتدريس تحفيظ القرءان، وغرف مخصصة للطلبة وضيوف الزاوية من حجاج ومسافرين.

---

[1] محمد عبد المجيد محمد، الصوفية والجهاد في سبيل الله، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، الأسكندرية،2004، ص56.

[2] بن حدو فاطمة الزهراء، دور الزاوية في المدينة، مقاربة سوسيوأنثروبولوجية لزاوية سيدي الجازولي بولهاصة ولاية عين تموشنت، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران السانيا، الجزائر، 2011-2012، ص19.

[3] عبد العزيز شهبي، مرجع سابق ذكره، ص14.

وفيما يخص هندستها المعمارية فقد جمعت ما بين هندسة المسجد والمنزل، فيها حيطان قصيرة منخفضة القباب وقليلة النوافذ، ولكن اختلفت عن بناء المسجد فهي نوع من الأبنية لا مئذنة لها ولا منبر، أما المدرسة فتتفق معها من حيث نظامها وإدارتها.[1]

فالزاوية في شمال إفريقيا مجموعة من الأبنية ذات طابع ديني: كغرفة الصلاة، وضريح لأحد المرابطين أو ولي من الأشراف تعلوه قبة، غرفة قصرت على تلاوة القرءان، ومدرسة لتحفيظ القرءان، غرفة مخصصة لضيوف الزاوية والحجاج والمسافرين، وغُرف للطلبة، ويلحق بالزاوية عادة مقبرة لأولئك الذين أوصوا في حياتهم أن يدفنوا بها.[2]

كما تعتبر الزوايا في الجزائر من بين المنظمات الدينية الأولى والرئيسية، فهي تطبق وتدرس العلوم الإسلامية السنية، وتتواجد داخل الذاكرة الاجتماعية من خلال وضعها الروحي ووزنها المادي المرتبط بوظائفها الفكرية، ومهامها التربوية التكوينية والاجتماعية، وهي غالبا ما تكون مرتبطة بمدرسة أو جامع فهي مؤسسة من طرف شيخ صوفي مشهور منذ قرون مضت، وعبر الزمن وتم التكفل بالزوايا من طرف التلاميذ المتبعين لطرق شيوخهم.[3]

ومن خلال هذه التعريفات وتعريفات أخرى مشابهة لها من حيث الدلالة يتبين لنا أن الزاوية سواء على مستواها اللفظي أو المفهومي، تنحوا نحوا انعزاليا عن الأخر المتمثل في الناس، وفي ملذات الحياة، وكما هو معلوم فإن ثنائية الأنا والآخر إذا طبقناها على مصطلح الزاوية في مستوى اللغة، يظهر أن الزاوية والفكر الصوفي على العموم يجعل من هذه الثنائية أساس لتضخيم الذات وتحقير الأخر المتمثل أساسا في الإنسان المنغمس في ملذات الحياة، وفي تحقير الملذات نفسها، وتوحي مصطلحات الزاوية /الركن/ البعد/ الابتعاد/ الإنعزال/ الإنزواء / الانطواء... ومصطلحات أخرى لها الدلالة نفسها في حدود مستوى اللغة

[1] محمد محمدي، مرجع سبق ذكره، ص110.

[2] قارة مبروك بن صالح، مرجع سبق ذكره، ص9.

[3] قارة مبروك بن صالح، مرجع سبق ذكره، ص8.

عن ابتعادها عن المركز الذي يمثل قطب الحركة ومحور النشاط، وأساس التفكير وتفضيلها للهامش الذي يظل أبدا خارج المحور.[1]

يتضح من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي للزاوية أن كل تعريف اهتم بناحية من نواحي الزاوية فإذا كانت التعاريف اللغوية تصب في معنى الإنزواء والركن فإن التعاريف الاصطلاحية فسرت هذا الركن بركن البناء أو ركن التعبد الصوفي أو ركن دار الضياف وغير ذلك من التفسيرات التي يمكن إجمالها بما يلي:

أولاً: ركزت بعض التعاريف على الجانب الهندسي والمعماري للزاوية بوصفها بناء ذو طابع ديني يشبه المدرسة ويحتوي على مصلى وغرفة لتلاوة القرءان ومدرسة لتحفيظ القرءان وما يتصل به من علوم. إضافة الى إقامة حلقات الذكر والأوراد ذخلها. إضافة الى مقر سكن الولي أو مؤسس الزاوية وقد يحتوي هذا السكن على ضريح الولي تعلوه قبة. وقد يتصل الضريح بمقبرة يدفن فيها من لهم علاقة بالزاوية كالمريدين وأتباع الطريقة. كما تحتوي الزاوية على حجرات ينزل فيها الضيف والحجاج والمسافرين، فهذه الهندسة التي تميزت بها الزاوية في المغرب العربي تجمع بين كونها مسجد ومنزل في آن واحد.

وبالعودة الى مدينة أدرار وبالتحديد إقليم توات نجد الزوايا بنيت بطابع ديني وتحتوي على مسجد أو مصلى ومدرسة قرآنية لتحفيظ القرءان والفقه والسيرة وعلوم الدين.

وبعضها يحتوي على مسجد به مئذنة كزاوية الشيخ محمد بن الكبير بمدينة أدرار، والبعض يحتوي على مصلى تابعة للزاوية فقط كزاوية الشيخ مولاي الحاج بقصر تاسفاوت فنوغيل.

أما بالنسبة لمقر سكن الولي وهو مؤسس الزاوية فبعض الزوايا تجد ضريح وليها مؤسسها متصل بمقبرة من لهم علاقة بالزاوية أو من أوصوا بالدفن فيها كضريح زاوية الشيخ بن عبد الكريم المغيلي بزاوية الشيخ، وهناك زوايا يقع ضريح مؤسسها ووليها بمقر سكناه

[1] رشيد الاركو، مرجع سبق ذكره، ص131.

التابع لزاوية كضريح الشيخ محمد بن الكبير وضريح الشيخ سالم بن براهيم وكلاهما بمدينة أدرار.

أما بالنسبة لتحفيظ القرءان وعلومه فهناك زوايا في إقليم توات بالإضافة إلى هذه الوظيفة تقوم بإطعام المحتاج وعابر السبيل والزائر الضيف، ويتبرك الحجاج بها عند قدومهم من أداء فريضة الحج. وهناك زوايا تقتصر على الإطعام فقط تبركاً بكرامات وليها ومؤسسها.

فمثلا نجد غالبية حجاج ولاية أدرار عند قدومهم يزورون ضريح سيدي محمد بن الكبير رحمه الله بزاويته تبركاً به وبكراماته وهناك من يزيد على ذلك بالذهاب نحو إقليم توات حيث تكون هناك فاتحة جماعية عند القائمين على الزوايا، كمولاي الحاج القائم على زاوية سيد الحبيب بقصر تسفاوت أو الشيخ الحسن الأنصاري القائم على زاوية أنزجمير.

وبالعودة إلى مكان الدراسة فإن الزاوية الايداوعلية بقصر عباني ببلدية فنوغيل، فتحتوي على ضريح مؤسسها وهو الشيخ (ايداوعلي سيدي ابراهيم)، وهذا الضريح متصل بالمقبرة حيث تحتوي على مصلى من غير مئذنة ومدرسة لتلقين القرءان وعلومه إضافة إلى غرف لاستقبال الضيوف والحجاج والمسافرين والوافدين إلى الزيارة السنوية التي تقيمها الزاوية ترحما على مؤسسها في نهاية شهر أوت من كل سنة.

أما زاوية الشيخ مولاي التهامي تحتوي على ضريح مؤسسها وهو الشيخ مولاي التوهامي وذلك بقر سكناه (أوقديم أدرار) كما تضم مدرسة قرآنية وغرف لاستقبال الضيوف والمسافرين والحجاج ومن يأتون إلى الزيارة الموسمية التي قام كل سنة ترحما على روح مؤسس الزاوية وهو الشيخ مولاي التوهامي.

ثانياً: بالمقابل تركز بعض التعاريف الأخرى على الجانب الروحي للزاوية لاسيما الصوفي منه من خلال التركيز على الانزواء والعكوف على العبادة وتلقي العلم بعيدا عن الناس سواء

العلم الشرعي المتمثل في القرءان وعلومه أو العلم الصوفي المتمثل في الأوراد والأذكار التي تتبعها كل طريقة صوفية.

حيث يداوم في الزوايا طلبة ومريدين داخلين أي يسكنون داخل الزاوية ويتعلمون داخلها بل وقد يقومون ببعض الأنشطة الزراعية في الأوقاف التابعة للزاوية وما يتصل بخدمة شيخ الزاوية وخدمة الضيوف والزوار، بل نجد بعض الزوايا توكل مهمة طهي الطعام للطلبة والمريدين لبعض الطلبة المحبين والمسخرين لخدمة الشيخ والطلبة في تحضير والطهي الطعام لهم داخل الزاوية.

وبالعودة لإقليم توات نجد أغلبية الزوايا تتخذ نظاما داخليا للطلبة ينقطعون بذلك عن العالم الخارجي فيتفرغون للعبادة وطلبة العلم وخدمة الزاوية وشيخها وزوار الزاوية وضيوفها وحتى إن كان مؤسس الزاوية متوفي فتقام له السلكة «أي ختم القرءان» كل جمعة، وما يتصل بذلك من أوراد تضم مناقب الشيخ وتترحم عليه بجاه سيد الأنام صلى الله عليه وسلم.

وهو ما يقوم به الطلبة في زاوية مولاي التهامي أو الزاوية الايداوعلية حيث يترحم الطلبة على شيخ الزاوية وتختم له السلكة كل جمعة ويتبعها أوراد تذكرهم بشيخهم ويترحمون بأبياتها عليه.

إلا أن ما تجدر الإشارة اليه أن الزوايا في إقليم توات لا تقتصر على الطلبة الداخلين فقط بل قد يسمح للطلبة الخارجيين بدخولها بعد انتهاء موسمهم الدراسي، وهو الوقت الذي يسمح فيه الشيخ الزاوية لبعض طلبة الزاوية الداخلين بأخذ إجازة لتفقد ذويهم وأناسهم.

كما ركزت بعض التعاريف على الجانب الخيري للزوايا المتمثل في فك الخصومات بين الناس واستقبال الضيوف والمحتاجين وإطعامهم واستقبال الحجاج الوافدين من أداء شعيرة الحج، وتعليم الطلبة العلم الشرعي مجانا وبدون مقابل وكلها أعمال خيرية تضطلع الزاوية بها.

فزاوية سيدي الشيخ محمد بن الكبير بأدرار مثلا تقوم بتلقين العلم الشرعي مجانا كما يأوي إليها الضيوف والمحتاجين وزائري ضريح سيدي محمد بن الكبير الملتصق بالزاوية.

كما يقرا فيها الحجاج الفاتحة عند قدومهم على ضريح الشيخ سيدي محمد بن الكبير تبركا به.

كما تقوم بعض الزوايا توات بالإضافة إلى ما تقدم –بالنسبة لزاوية سيدي محمد بن الكبير– بحل النزاعات والخلافات بين الناس سواء في إقليم توات أو الأقاليم التابعة لها روحيا لأن هذه الزوايا لها امتدادات روحية حتى في شمال دولة مالي ونجد هذا مثلا بالنسبة (للزاوية الكنتية بزاوية كنتة)، (وزاوية مولاي عبد الله الرقاني برقان) (وزاوية مولاي التوهامي بقصر أوقديم)، (وزاوية الشيخ إيداوعلي سيدي إبراهيم بقصر عباني فنوغيل)، فهذه الزوايا لها امتدادات إفريقية تتصل ببعض دول إفريقيا روحياً ما يجعل لها نفوذ إقليمي ويرجع إليها في حل النزاعات والخلافات، بل حتى في الأقضية والخلافات الزوجية والفتاوي المتعلقة بالأحوال.

I– 2– الزاوية: بالمنظور الصوفي:

I– 2–1: الفضاء الصوفي للزاوية:

إن دور الصوفية في الدعوة إلى الله كان من الأماكن التي شهدت وارتبطت بهذه الدعوة والجهاد في سبيل الله وخاصة الأماكن التي تلقو فيها تربيتهم الروحية والعسكرية، والتي كانوا يضعون فيها خططهم ويصدون منها أوامرهم،[1] والزاوية تنظيم قائم بذاته أفرزه الحقل الصوفي بالمغرب العربي وهو من أرقى أشكال الممارسة والتنظيم على مستوى الحقل الديني الذي عرفه المغرب العربي منذ وصول الإسلام إلى هذه البلاد، وقد تحكمت أيضا في ظهور الزاوية كتنظيم عدة شروط تاريخية وبنيوية أعطت للزاوية دور الفعل والتأثير في

[1] محمد عبد المحيد محمد، مرجع سابق، ص49.

مجرى الحياة العامة للبلاد، بفعل تعدد وتداخل أدوار الزوايا ووظائفها المختلفة (الدينية، والاجتماعية، والعلمية، والاقتصادية، والعسكرية والسياسية).[1]

حيث ظل مصطلح الزاوية محتفظا بمعنى أكثر شمولا خاصة في شمال إفريقيا، إذ يطلق على بناء عدو طابع ديني، وأحيانا يطلق عليها المدرسة القرآنية، يوجد بها غرفة للصلاة بها محراب وضريح لأحد المرابطين أو ولي من الأشراف تعلوه قبة مخصصة لضيوف الزاوية والمسافرين والطلبة، ويلحق بالزاوية مقبرة تشمل أولئك الذين أوصواْ في حياتهم بأن يدفنواْ فيها.[2]

وأستطاعت الزوايا أن تكسب ثقة الأوساط الشعبية المغاربية بفضل دورها الإيجابي في نشر التعليم بجميع مستوياته وبفضل شيخها الذي كان من أولياء الله المباركين، هذا وقد قامت بنشر التصوف في المدن والأرياف كما مهدت لظهور الطرق الصوفية،[3] إن الزاوية تنظيم صوفي يمتاز ببناء خاص وبهيكل تنظيمي تراتبي متعدد الجوانب وهذا منذ القرن16م. تمتاز الزاوية أيضا بوجود قبة وضريح للشيخ المؤسس، وبجواره مقبرة، أو (روضة) لعائلته وذويه ولبعض المقربين من خدام الشيخ ومريديه،[4] فلم تكن نشأة التصوف في بلاد إفريقية نتيجة مباشرة لأزمات السياسة، ولهزات الواقع الاجتماعي، أو أن التصوف ظاهر في كليته ضمن حياة الرباطات والزوايا، إذ يبدو أن إرتباط تجارب الزهد والتصوف الأول بالرباطات قد

[1] منصور مرقومة، القبيلة والسلطة في المغرب العربي، مقاربة أنثروبولوجية، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2015م، ص99.

[2] أحمد عاشوري، الأصول السوسيوثقافية للزاويا في الجنوب الغربي للجزائر، زاوية سيدي أحمد المجدوب بولاية النعامة أنموذجاً، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، تخصص علم الاجتماع، السنة الجامعية 2017/2016، ص72.

[3] طواهري ميلود، المقدس الشعبي، تمثلات، مرجعيات، وممارسات، دار الروافد الثقافية ناشرون، ط1، 2016، ص167.

[4] منصور مرقومة، مرجع سابق، ص100.

دفع بعض الدارسين إلى اعتبار العهد المرابطي بما عرفه من أزمات يمثل عصر النشأة الحقيقية للتصوف في بلاد المغرب وإفريقية.[1]

إن كل من يتحدث عن المؤسسات الثقافية بالجزائر خلال العهد العثماني لابد أن يخصص جزء كبير من هذا الحديث عن مؤسسة الزاوية التي تنام دورها بشكل كبير بالجزائر خلال الفترة العثمانية فقد كانت الزاوية مكان للعبادة وايواء للفقراء والمساكين وتعلم مبادئ الدين الإسلامي، وتقدم خدمات اجتماعية من إطعام وإسكان للفقراء وعابري السبيل وإصلاح ذات البين ورغم أن الزاوية كانت موجودة بالجزائر قبل الوجود العثماني، إلا أن تميزت في هذه المرحلة بعدة خصائص منها: ارتباطها الوثيق بالطرقية والحركة الصوفية التي ازدهرت منذ المجئ العثماني للجزائر، وهو ما شجع على بناء هذا النوع من المؤسسات.[2]

فالزاوية مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية يجتمع فيها المؤيد للذكر والأوراء واسماعها للآخرين. وقد إتخذتها الصوفية مكان لإقامة حلقات الذكر فيها ولذا يصنفها «عبد الحكيم عبد الغني قاسم» من المؤسسات التربوية الصوفية،[3] فالزاوية بالمعنى الصوفي هي الخلوة للعبادة، وقد كانت أساسا رباطا للجهاد.[4]

فالزاوية فضاء للمارسة الدور الصوفي فهي المكان الذي تنثبق منه تجربة تستمد بعدها الروحي من تجربة سابقة أو تمثيل حلقة جديدة لنهج معين ولكنها تشترك مع غيرها في القيام بأدوار التلقين والتربية وتنظيم العلاقات البشرية، كما تجمعها بها أبعاد التأثير في حياة الأفراد اليومية. وإن كانت شعارتها حاملة لنفس الأهداف فإنها لا تمثل بالضرورة نفس

[1] محمد الكحلاوي، الفكر الصوفي في إفريقية والغرب الإسلامي «القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي» دار الطليعة، بيروت، ط1، 2009، ص48.

[2] عبد الباسط شرقي، التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغرب، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2019، ص251.

[3] نفس المرجع، ص254.

[4] نفس المرجع، ص، 256.

التوجيهات، إذ يبقى لكل شيخ أسلوبه في التربية، ودوره في التأثير داخل محيطه الحضري أو البدوي.[1]

والزاوية هي مؤسسة دينية ومقراً للطريقة أو في الوقت نفسه هي جامعة دينية وإقامة بالمجان. وأهم ما يميز الزاوية هو الشيخ الصوفي الذي أسسها والذي يجسد مفهوم القداسة عند المريدين، ذلك بسبب ما يميزه من الحضور الإلهي في أفعاله والبركة الربانية التي تحصل عليها ومن ثم تتكامل الروح مع الجسد ويسيران إلى الله.[2]

ولعل التحول المهم في الفكر الصوفي يتمثل في بداية مأسسته منذ أن أصبح التصوف مجموعة من الطقوس المكونة من الأذكار والأوراد الدورية تقام في الزوايا، أي عندما أصبحت الزواية المؤسسة الثقافية الاجتماعية الوحيدة التي تعبر عن التصوف حينها تشكل لون ثقافي جديد في الحقل الثقافي الإسلامي أكتسب إستقلاليته عن التصوف الفلسفي من ناحية، وعن الدين الرسمي من ناحية أخرى.[3]

فالزاوية مؤسسة دينية ثقافية إعتمدها مذهب الطائفة الصوفية لنشر ثقافة الإسلام الطرقي[4].

I/ 2-2: المجسم الصوفي للزاوية:

يحتوي المجسم الصوفي للزاوية من أركان يقوم عليها والمتمثلة في (الرباط، الطريقة، الشيخ، المريد، الولي).

---

[1] نفيسة الذهبي، الزوايا المغربية في القرن11ه/17م، قراءة تركيبية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، ص48.

[2] بن الحاج جلول لزرق، الممارسات الطقوسية في «طعم سيدي أمحمد بن عودة»-بغيليزان- مقارنة أنثروبولوجية، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجيا، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، كلية العلوم الاجتماعية قسم علم الاجتماع، السنة الجامعية 2011/2010، ص30.

[3] بوطية عبد الغني، المدينة الصوفية، مدينة مستغانم نموذجاً، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في علم الإجتماع، تخصص علم الإجتماع الحضري، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، السنة الجامعية 2019/2020، ص95.

[4] سراج جيلالي، زيارة الأضرحة وأثرها في المعتقدات الشعبية، ضريح سيدي يوسف الشريف نموذجاً، رسالة ماجستير في الأنثروبولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية السنة الجامعية 2015/2014، ص56.

أولاً: الرباط.

أ- الرباط الصوفي:

هو رباط المجاهد في سبيل الله وحافظ الثغور[1] وتطلق الزاوية على المعهد والرباط الذي تنشئه إحدى الفرق الصوفية كالقادرية والتجانية والسنوسية والشاذلية والخلواتية.[2]

ولم تظهر الزاوية في تاريخ المسلمين، كمركز ديني وعلمي إلا بعد الرباط والرابطة، ومعلوم أن: الرباط لغة: مصدر رابط يرابط، بمعنى: أقام ولازم المكان.

ويطلق في إصطلاح الصوفية والفقهاء على شيئين هما:

الأول: البقعة التي يجتمع فيها المجاهدون من أجل الدفاع عن البلاد والعباد. أما الثاني: عبارة عن المكان الذي يلتقي فيه الصالحون لعبادة الله وذكره والتفقه في أمور الدين، بيد أن كلمة رباط فقدت معناها لتربط بالزاوية عبارة عن مكان معد للعبادة وإيواء المحتاجين وعابري السبيل وإطعامهم فإسم الزاوية برز كخلف لإسم (الرباط) مع ما كان له دور في الدفاع عن ثغور العالم الإسلامي وتكوين المجاهدين[3].

يقول الذكتور (إبراهيم حركات) عن الرباط وأدوارها المختلفة بأنها المكان الذي يتم فيه الإعتزال قصد العبادة رفضاً لكل مذهب مخالف للسنة أو من أجل التهيئ لمحاربة المذاهب الضالة[4]. ويرى البعض أن الزاوية مرادفها لكلمة رباط، وهي تلك الحصون والقلاع التي كانت تقام على الثغور للجهاد في سبيل الله وفي أوقات السلم كانت تقوم بأنشطة تعليمية واجتماعية. ومع مرور الوقت تختلف عن دورها الأول للتفرغ الثاني،[5] فالزاوية عند الصوفيين هي مكان إلتقاء التقاء الشريعة بالحقيقة[6]. إن غالباً ما يكون العالم القروي نقطة البداية

[1] عبد العزيز شهمي، مرجع سابق، ص13.

[2] العماري الطيب، مرجع سابق، ص129.

[3] أحمد الغزالي، مساهمة في البحث عن زوايا بني يزناسن القادرية البودشيشية نموذجاً، ص12.

[4] أحمد الغزالي، مرجع سابق، ص13.

[5] مبارك الجعفري، مقالات وأبحاث تحويل وتراث منطقة توات، مرجع سابق، ص112.

[6] نفس المرجع، ص113.

للزاوية فيعتزل الشيخ الصوفي في الجبل للتعبد والزهد كمرحلة أولى لكي يعمل فيما بعد على نشر تعاليمه وتأسيس بطريقة تابعة له.[1]

الرباطات، والرباط من رابط مرابطة ورباطاً: لازم الثغر وموضع المخالفة: يقال: رابط الجيش وواضب على الأمر ولازمة.

والرباط دار يسكنها أهل طريقة الله، والرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو، ثم صار لزوم الثغر رباط، والرباط المواضبة على الأمر وقبل لكل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم رباط، فالمجاهد المرابط يدفع عمن وراءه، والمقيم في الرباط على طاعة الله ويدفع عمن وراءه، والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع بدعائه البلاء عن العباد والبلاد، فالرباط بيت الصوفية ومنزلهم، ولكل قوم دار والرباط دارهم.[2]

إن الرباط يسكنه من يدافع عن البلاد ضد كل بلاء سواء كان هذا الدفاع بالدعاء أو بالجهاد المسلح «فالرباط هو بناء يجتمع فيه من تفرغ للعبادة من الزهاد والصالحين إستعداداً للجهاد في سبيل الله ضد أعداء الدين، فهو بناء يجتمع بين الصفتين الدينية والحربية.

وقد أطلق على الرباط أكثر من مسمى «فالرباط يقال له التكية بالتركية، وكذلك قال الأميري: والخانقات بالكاف يعني الخانقاة وهي بالعجمية دار الصوفية.

والخانقاة أطلقت على الرباط إذ (الرباطات وهي قلاع حرية حصينة كانت في أصلها وتطورها خناقهات الصوفية المرابطين فيها للجتهاد ضد أعداء الإسلام إذا كانت حصوناً حربية وخانقاهات صوفية في وقت واحد معاً.

والخانقاة كلمة فارسية قيل أصلها «خونكاه» أي الموضع الذي يأكل فيه الملك وهي زاويا الصوفية.

---

[1] رحمة بورقية، الدولة والسلطة والمجتمع، دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل بالمغرب، دار الطليعة بيروت، ط1، 1991، ص40.

[2] محمد عبد الحميد محمد، مرجع سابق، ص49.

وتسمى كذلك المحاريس: فبالإسكندرية رباطات مع الساحل يضرب ماء البحر حيطانها تسمى المحاريس، كذلك كانت سواحل الشام مزودة بالمحاريس والأربطة المشحونة المقاتلة.

كذلك الزوايا في المغرب إتخذت معنى الرباط والزاوية: مأوى للمتصوفين والفقراء وهذا الإسمان هما الأشهر في مجال سبيل الله ضد الأعداء.[1] ومعظم الأربطة تنسب إلى طرق صوفية لها أثرها في الجهاد في سبيل الله.[2]

لقد إكتسى الرباط إبتداءاً من القرن الحادي عشر الميلادي في كثير من الحالات معنى المكان الذي يرابط فيه الصوفية للعبادة والمجهدات النفسية. كما صار مأوى للفقراء واليتامى وتحولت مهمة الرباط العسكرية إلى نوع من المؤسسة الغربية بالمفهوم الحديث لتأدية خدمات إجتماعية ودينية.[3]

وبعد غزو بلاد الإسلام إنصرف كثير من الزاهدين والمتصوفين إلى الرباطات المختلفة يلقنون أتباعهم الأذكار والأوراد مؤثرين العزلة عن العالم المادي فإذا اشتهر أحدهم بين الناس أسس له مركز فيه الزوار والغرباء والأتباع ويتبرعون له فيزداد قاصدوه ومريدوه ويصبح إسم المتصوف (مُرَابط) علماً على المكان، فإذا مات دفن في الرباط فيصير الضريح علامة على الرباط وتزداد قداسته. بين أهل الناحية وتنشر سمعته ونفوذه إلى نواح أخرى. ولعل هذا الإنتشار مرجعه إلى عوامل منها ما بقي من معتقدات قديمة ظلت سائدة في ظل الإسلام.

وأدى إقبال الناس على المرابطين واعتقاد ولايتهم إلى رفع مكانتهم مما جعل الكثير من الدجالين يستغلون سذاجة الناس فأدعواْ الولاية وتظاهرواْ بالزهد فأطلقوا على أنفسهم أو أُطلق على دعاتهم إسم «مُرَابط» وبذلك كثر عدد الزوايا والمرابطين، ليس هذا وحسب بل

[1] محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص50.

[2] نفس المرجع، ص،53.

[3] طواهري ميلود، مرجع سابق، ص16.

هناك سبب آخر يتمثل في كثرة ذرية المرابطين أنفسهم حيث يدعى كل واحد منهم بأنه وارث للولاية ومن هنا كانت الفكرة القائلة بأن البركة الإلهية تفيض على الولي ثم تنتقل إلى ذريته فيصبحون جميعا مرابطين يلتمس منهم الناس البركة.

ومما ساعد على ظهور الأولياء ببلاد المغرب الزاويا، ويقال أيضاً «الزوي» بتسكين الزين، وهي مؤسسة دينية وثقافية واجتماعية وعسكرية، وهي عبارة عن فضاء واسع تحيط به مرافق منها مسكن الشيخ ومسجد وحجرات لسكن الطلاب وغيرها.[1]

وقد لعبت هذه الراباطات دوراً مهما وإيجابياً في الأرياف أكثر منها بالمدن فكانوا يقودون أتباعهم في الحروب الجهادية وينصرونهم ويطعمونهم في مراكزهم وعلى هذا النحو تحالف بعض المرابطين مع العثمانيين فجندواْ من ورائهم الشعب، لكن بعد زوال الخطر الخارجي عاد المرابطون لمراكزهم وكانت صلتهم بالشعب أكثر وأصبح تأثيرهم بهم أكثر.

وكانت النتيجة أن لاقت هذه المؤسسات نجاحاً كبيراً في نشر التصوف الإسلامي وسائر العلوم العقلية والنقلية إلا أن هذا المصطلح بدأ يضمحل ويختفي منذ النصف الثاني من القرن (14م) وحل محله مصطلح الزاوية، حيث ساهم الحفصيون والزيانيون في نشر هذه الزاويا على مستوى المغرب الإسلامي، ذلك لأن فكرة وراثة الرابطة من أبناء وأقرباء الصوفي لم تكن معروفة بالمرة، كما أنها لم تكن مؤيدة سياسياً ولا مدعمة مادياً.[2]

فالزاويا في الأصل كانت رباطاً وتحولت مع مرور الوقت إلى زاوية، فقد ظل إستعمالها مرتبطاً بالرباط[3]. لقد كانت الرباطات عبارة عن حصون أو قلاع مبنية على أطراف الدول والإمبراطوريات الإسلامية، حيث تدافع حامية من المتطوعين على أرض الإسلام في وجهة أي هجومات خارجية، إنها نوع من أنواع الجهاد المفروض عند المسلمين،

[1] طواهري ميلود، مرجع سابق، ص165.

[2] عبد الباسط شرقي، مرجع سابق، ص253.

[3] نفس المرجع، ص254.

حيث كان يقصد إلى الرباط أملا في الحصول على الدرجات في مملكة الله.[1] ثم أصبح الرباط القوي مؤسسة دينية حقيقية أي: زاوية.[2] وهكذا أصبح المرابط في القرن السادس عشر قد تحول من دوره العسكري إلى دور المصلح والداعية وأصبحت مهمته سلمية شيئا فشيئا وسيصبح المرابط شيئا فشيئا ولياً إلى درجة أن الناس لم يجدواْ تسمية تعني الرجل الزاهد إلا هاته،[3] لكن كلمة «صالح» أصبح لها عند الناس مفهوم أكثر توسعاً وعموماً فهي تعني اليوم كل أنواع الأولياء و«البلهاء» والأغبياء والحمقى والصرعى، وكل من له معتقدات كونية، ومن له إشراقات علوية، وأكوام الحجارة، وبقايا زيارات الأضرحة، والأشجار، وكل بقايا الأشجار القديمة فكل هذه الأشياء تسمى الآن صلحاء.

وورد كلمة «صالح» في مقابل ولي يبدواْ أمراً خاصاً بالمغرب الكبيرة.[4]

ومع إنتشار مصطلح الزاوية وازدياد البناءات العرانية التي أنشأت لها، خفت صيت الرباطات الجهانية، حيث صار لفظ الزاوية دلالة على جميع المؤسسات الصوفية صغيرة كانت أو كبيرة وعنواناً للطريقة الصوفية[5].

ولم تظهر الزاوية في تاريخ المغرب كمركز ديني وعلمي إلا بعد الرباط فالرباط يطلق في إصطلاح الصوفية على شيئين أولهما: البقعة التي يجتمع فيها المجاهدون لحراسة البلاد ورد ةهجومات العدو عنها. والثاني: هو المكان الذي يلتقي فيه صالح المؤمنين لعبادة الله

[1] إدموند دوني، الصلحاء، مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر، ت: محمد ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص51.

[2] نفس المرجع، ص53.

[3] نفس المرجع، ص53.

[4] إدموند دوني، مرجع سابق، ص 54.

[5] بومدين أولاجي، التصوف والمتصوفة، قراءة تحليلية للواقع الاجتماعي بالجزائر، عهد الدايات (1671م/1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، السنة الجامعية 2021/2020، ص62.

وذكره والتفقه في أمور الدين.[1] إن مفهوم الرباط لم يشق أصوله دائماً من هدف التصدي للعدو من صنف أهل الحرب فحسب، بل تحولت في فترات –لاحقة حين دخلت الدولة الإسلامية مرحلة الحضارة الترفية– إلى مفهوم آخر يراد به التصدي لبعض الإنحرافات الأخلاقية الجارفة، أو معارضة بعض المذاهب الداخيلة على الإسلام، أو مقاومة شطط السلطة التي أمعنت في الظلم والجور، فتمخض من ذلك ظهور حركات إصلاحية تبنتها ثلة من العلماء والفقهاء والرواة والمحدثين، الذين سعواْ إلى التصدي للتيارات المذهبية المنحرفة عن جادة الإسلام، ومواجهة مفاسد الحضارة والترفيه التي إنغمس فيها بعض الحكام فأصبحواْ يدعون الناس إلى الزهد والإبتعاد عن ملاذ الحياة والتقشف في المأكل والملبس، ويصرفونهم عن اللهو ومباهج الدنيا[2].

ب– وظائف الرباط

يمكن اختزال وظائف الرباط في ثلاث:

1/ وظيفة دفاعية:

الرباط في هاته الحالة يكون دائماً على حدود الدولة (ثغر) وبالتالي لا يكون الموقع قاراً ما دام أن حدود الدولة في التصور الغسلامي غير قارة.

2/ وظيفة جهادية:

في هاته الحالة يعلن «الرباط» جهاداً داخلياً يتمثل في نشر المذهب السني ولو اقتضى الحال بالسيف «التجربة المرابطية».

3/ وظيفة سياسية:

في هاته الحالة يعمل (الرباط) على تأسيس دولة.

---

[1] قاسم الحادك، الزوايا والطرق الصوفية في المغرب: من خدمة المخزن وتكريس شريعته إلى مسالمة المستعمر ومهادنته، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد الأول، سبتمبر 2013، ص 60.

[2] محمد العمراني، تاريخ المؤسسات الدينية بالمغرب، الرباطات والزوايا نموذجا، المناهل، أبحاث ودراسات، ص142.

إن الشيء الذي ينبغي التركيز عليه، هو أن مؤسسة ((الرباط)) هي مؤسسة مرتبطة بالمغرب الخلدوني، حيث فقدت كثيراً من فاعليتها السياسية/ الدينية في المغرب «الشرفاوي» لصالح مؤسسات أخرى.[1]

ج- الرباط والزاوية:

إن مؤسسة الرباط كانت ذات وظيفتين:

«جهاد الكافر وجهاد النفس أي «الجهاد الأكبر» و«الجهاد الأصغر» وسر الجمع بينهما أن كلا منهما يمثل نوعاً من «المرابطة»: رباط الخيل بالثغور لتحصينها ورباط الإرادة والعزيمة لحماية النفس من طوارق الغفلة وأخطارها. كما أن كلا منهما يمثل الطريق إلى الله وسبيل الروح إلى خلاصها، وكلا منهما يؤدي إلى «الشهادة» فإحداها تحققها عن طريق الإستشهاد بينما تحققها الأخرى عن طريق الفناء في المشاهدة أو الشهود»[2]. وهكذا يتضح أن المصطلحات الصوفية لم تكن غريبة في صياغتها عن المصطلحات الجهادية إذا كانت الوظيفتان في تداخل أو تكامل واضح، وقد اضطلع بهما صوفية الأربطة في مراحل مختلفة من التاريخ، وإن كانت تلك الأربطة في أول نشأتها مؤسسات دفاعية وحمائية ثم اختص بعضها بمرور الزمن بوظيفة العبادة. أما بالنسبة إلى الزاوية فمن المرجع أنها كانت متمخصة منذ نشأتها للعبادة، وإن حدث أن طلعت في بعض العصور وبصفة ظريفة وثانوية بوظيفة جهادية. فالمؤسسات الصوفية قد كانت كلها ودون إستثناء إستجابة لتلك الحاجة الماسة إلى فضاء خاص تتحقق فيه «الخلوة» العامة.[3]

فنشوء فضاء الخانقاه والرباط والزواية لم تكن إستجابة للحالة النفسية والروحية التي إقتضاها النشاط الصوفي فقط، بل كانت إستجابة أيضاً للحاجات الإجتماعية التي أفرزت

[1] محمد ضريف، مؤسسة الزاويا بالمغرب، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، ط1، 1992، ص34.

[2] توفيق بن عامر، التجربة الدينية بين الوحدة والتنوع، المركز الثقافي العربي، ط1، 2013، ص147.

[3] توفيق بن عامر، مرجع سابق، ص148.

ذلك النشاط واتخذت منه شكلاً من أشكال التعبير الديني،[1] فإنها ما فتئت أن تبلوره وتطورت على مر الأيام وأصبحت قادرة على الإضطلاع بدورها على مختلف الأصعدة العلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية وكذلك السياسية.[2]

ولم تظهر الزاوية في تاريخ المسلمين كمركز ديني وعلمي إلا بعد الرباط والرابطة[3]. وتأتي الرباطة بمعنى الرباط سواء في الإطلاق على مكان الجهاد أو مكان العبادة، وإن كان بعضهم يسمي الجيش المقيم في الربط رابطة. [4]

ظهر الرباط في البدء مكاناً جامعاً بين العبادة والجهاد بحراسة الثغور ثم تمخطت الزاوية لتكون المكان الذي يختص المؤسسة الصوفية الطرقية.[5]

وقد تصدى الأستاذ محمد مفتاح في أطروحة[6] لمناقشة وتحليل مسألة الرباط والزاوية من حيث التعريف والتوزيع والوظائف بحيث نجده يدمج كل الأمكدة المعدة للعبادة أو للجهاد في مفهوم واسع لتشمل الرباط والرابطة والزاوية والحصن والمحرس والقصر والمنظرة والمسجد، وما انضاف إلى ذلك من الأمكنة المبنية أو غير المبنية مثل الكهف والغار والنوالة والعريش والخيمة والقيطون. كما يناقش المفاهيم اللغوية والإصطلاحية للزاوية والرباط، ليلاحظ إستعمال اللفظين متلازمين أو مفترقين للدلالة على المكان المعد لإحتباس النفس للجهاد والحراسة والعبادة، ويرى أن اختلاف معنييهما راجع إلى إختلاف التعاريف الملحقة بهما

[1] نفس المرجع، ص149

[2] نفس المرجع، ص150.

[3] محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية بالرباط، 1964، ص23.

[4] نفس المرجع، 24.

[5] محمد بن الطيب، إسلام المتصوفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2007، ص 153.

[6] محمد مفتاح، التيار الصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب، اثناء القرن الثامن الهجري/ ق 14م، أطروحة جامعية لنيل دكتوراه الدولة في الأدب العربي، طبعة مرقونة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1981.

بحكم اختلاف الظروف ويلمح إلى تطور هذه الأمكنة تاريخياً، مشيراً إلى أن الربط ترجع كلها إلى العصر المرابطي والموحدي، ثم أضيفت إليها الزوايا في العصر المريني.[1]

ثانياً/ الطريقة.

قد تطلق كلمة الزاوية على مسجد خاص بطائفة صوفية أو ضريح لأحد الأولياء تتصل به غالياً مقبرة يدفن فيها بعض من لهم علاقة بالطريقة أو قرابة بالولي وكثيراً ما تلحق بالزاوية حجرات ينزل فيها الضيوف والمنقطعين للعلم والعبادة.[2]

والطريقة الصوفية هي عهد بين المريد والشيخ يحاولا أن يجسد فيها توبتهما من المعاصي وترك الكبائر، والبحث في الذات النفسية عن الطهارة الداخلية والإرتقاء الروحي والكثير من الصفاء الداخلي، ولذلك عدت بالعموم مجموعة أفراد من الصوفية يتبعون شيخ الطريقة ويخضعون لنظام دقيق في السلوك الروحي، ويحيون حياة جماعية يتخللها إجتماعات دورية في مناسبات معينة ويعقدون المجالس في الزوايا والرباط بصورة تكون منتظمة، ويعد البعض ملجأ عاماً للجماهير، بينما تمثل للمريد المنهج الذي عليه أن يتبعه لتحقيق الكمال الديني الذي هو ثمرة من ثمار الجانب الأخلاقي في الإنسان.[3]

فالطريقة تعني المسلك الروحي الخاص بهذا الشيخ أو ذلك. وعندما أراد شيوخ الطرق الصوفية تلخيص التعاليم المتعلقة بمسالكهم التربوية جمعواْ تحت لفظ «الطريقة» بعض المبادئ الأساسية الموجهة لسلوك مريدهم والمميزة لطائفتهم[4] وترتبط الزاوية إرتباطاً عضوياً بالطريقة التي أسستها، فهي مركز إشعاعها الثقافي ومقصد الزائرين للقائم عليها طلباً للعلم والبركة وصالح الدعوات إنها تجسد بحق وجود الطريقة، وترمز إلى المدى الذي يستمر شأنها لدى العامة والخاصة من الناس، فالطريقة الصوفية لا يتبلور كيانها في غياب المنشأة

[1] محمد العمراني، مرجع سابق، ص143.

[2] العماري الطيب، مرجع سبق ذكره، ص129.

[3] أحمد عاشوري، مرجع سابق، ص60.

[4] محمد بن الطيب، مرجع سابق، ص130.

العمرانية للزاوية، فلا يمكن للطريقة الصوفية أن تستمر في وجودها، ما لم تكن لها زاوية تجذب إليها الأتباع، وتجمعهم في المواسم، وتوثق عرى الإخاء والمودة بينهم، وتتجدد فيها البيعة كلما خلف شيخ سلمه.

فمن دون الزاوية، لا تتمكن طريقة ما من أن تحضر واقعيا ومادياً، وأن تتمكن طائفة ما من أن تحقق وجودها. لذلك تشكل الزاوية المؤسسة والإطار المركب من طريقة منظمة ومجسدة في الواقع وفي مجال هذا التجسيد، تظهر مدى قوة أو ضعف الطريقة ثم مدى فعاليتها أو ضعف مستواها التنظيمي، وكذلك مدى قوة أو ضعف شيخها ومستوى إحترام وطاعة أو عقوق مريديها، وأخيراً مدى نفوذ واتساع حقلها أو ضعفه.[1]

ثالثاً: الشيخ (شيخ الطريقة أو المركز).

إن قاعدة «من لا شيخ له فشيخه الشيطان» هي قاعدة كل طريقة صوفية، التي لا تخلو من شيخ –مركز– يمثل صمام الأمان بالنسبة لها وأهم دعاماتها، وبدونه لا يستقيم أمر المريد والطريقة، ولا يمكن أن تقتصر مهمة الشيخ في أدوار تلقينية بل هناك أدوار إجتماعية نذكر منها معاونة المحتاجين ومعالجة المرضى، ناهيك عن التنشئة الإجتماعية للمريدين أو حتى الأتباع من خلال تعليمهم أمور دينهم ودنياهم، فهو بمثابة الملقن والناصح والمرشد والأستاذ لدرايته بالحاجات النفسية التي يحتاجها المريد، قال ابن عطا الله السكندري «من لم يكن له شيخ يوصله إلى سلسلة المتابعة فهو في الطريق لقيط لا أ له، وفي المعرفة دعى لا نسب له»[2] وللفظة الشيخ عدة دلالات يمكن تصنيفها إلى:

–دلالة حقيقة تشير إلى أنه ذلك الإنسان المتقدم في السن الهرم الذي ضعفت قوته الجسمية وذهبت عنه حيوية الشباب ونشاطه.

–دلالة مجازية تشير في أحد معانيها إلى المربي والمعلم وسمي على هذا الأساس نتيجة حملة لواء الطريقة والتكفل بالدعوة إليها والتربية على أساسها الصوفي، وعلى هذا فإن الشيخ

[1] نور الدين الزاهي، بركة السلطان، دفاتر، وجهة نظر، الرباط، ص126.

[2] أحمد عاشوري، مرجع سابق، ص60.

في المعرفة الصوفية هو العارف والمرشد الروحي للزاوية وهو أيضاً المربي الذي يأخذ بيده المريد خطوة خطوة فنون التصوف[1].

فشيخ الطريقة يسمى أيضاً خليفة الورد، ومولى الطريقة، وهو يمثل رئيس في إطار هذه المؤسسة من خلال الإشراف عليها والإخلاص كذلك لها، وهي تعطيه بالمقابل سلطة دينية وروحية مقدسة، يضمن بها أو من خلالها «الشرعية» أمام الأتباع والمريدين وحتى أمام الطرق الصوفية الأخرى، فالشيخ هو الذي يشرف على التعاليم في الطريقة أو الزاوية وتصدر منه كل المعارف والقرارات، هو قطب الراحة في الحقل الطرقي بل ويعتبر نشاط ضروري في هذا الجسم الإجتماعي من خلال دوره المتمثل في الضبط، فإذا كان على المستوى الإجتماعي يمثل علاقة طالب علم بشيخه، فإنه على المستوى الإيديولوجي تختلف هذه العلاقة وتصبح علاقة تابع بزعيم على الشاكلة الحزبية أو الطائفية[2]. فالشيخ هو قطب المؤسسة الصوفية، ولذلك أجمع المتصوفة على أن من لم يصح له نسب في القوم فهو لقيط لا أب له في الطريق وأن من لا شيخ له فالشيطان شيخه، وأن من لم يمت على بيعة شيخ مات في ترهات الظلال.

ولذلك نجد في كتب المناقب ثناء على الشيوخ مستيقظاً وذكراً لمحامدهم كثيراً، وتتبعاً لأخبار كرامتهم، حيث تطلق عليهم مجموعة من الصفات منها: الشيخ، وولي الله، والزاهد والورع والصالح وصاحب الكرامة وصاحب الخلوة، وصاحب الزاوية والمتجرد والبركة والعابد وشيخ المشايخ والقطب وصاحب الحال وصاحب الفيض[3].

فالشيخ ضروري للمريد ليس فقط كمعلم بل أيضا كقائد تجب طاعته بشكل مطلق، طاعة ظاهرة بالجوارح وطاعة باطنة في القلب، حيث إرادة الشيخ الحرة هي التي تملي على المريد القواعد الخاصة التي يجب عليه إتباعها، فضلاً عن تقرير مبادئ الطريقة وتعاليمها

[1] بن حدو فاطمة الزهراء، مرجع سابق، ص21.

[2] أحمد عاشوري، مرجع سابق، ص61.

[3] محمد بن الطيب، مرجع سابق، ص133.

وطقوسها ناهيك عن المسؤولية المباشرة التي يملكها في تسيير الطريقة أو الزاوية فهو باختصار شديد صاحب الحل والربط بطيفتها[1].

فشيخ الطريقة أو مولى الطريقة يكون في الأغلب حامل البركة التي يقول فيها بعضهم بأنها ليست مفهوما دينيا وإنما عقيدة دينية بأكملها، فالشيخ هو وريث شرعي لإمام الطريقة أو المؤسس كما قد يكون الشيخ وليا صالحا أو عالما مشهورا كالشيخ عبد الرحمان الثعالبي في الجزائر وأبي مدين في تلمسان وغيرهم.[2]

رابعاً: المريد.

هو كل متأدب بآداب الصوفية، ولا يجوز له أن ينتسب لغير مذهب التصوف.[3] فالمريد هو ذلك الشخص الذي منح لنفسه فرصة التوبة واختيار شيخا ما ليتتلمذ على يده من كل النواحي الأخلاقية والدينية ثم الاجتماعية ليصير بعده المساعد الذي يتكل عليه شيخه في أمور عدة.[4] فالمريد تلميذ نجيب في رحاب المدرسة الصوفية والطرقية لأنه يتقيد بنظامها الداخلي وضوابطها بطواعية تامة.[5] ويركز المريد في التصوف العملي على بعض الممارسات الفردية والجماعية مثل حلقات الذكر والإنشاد والمدح وغيرها. بل في حرصه على هذه الممارسات ليثبت لشيخه ولأصحابه مدى تمسكه بالزاوية أو الطريقة التي ينتمي إليها، هذا الولاء والانتماء لا يمكن النظر إليه على أنه أمر عادي وفقط بل إنه يعطي الاستمرارية والإشعاع لهذه الطريقة خاصة ذلك الجهد الذي يبدله المريدون في مواسمها الاحتفالية أين يجتمع فيها شرائح دينية وثقافية واسعة.[6]

---

[1] أحمد عاشوري، المرجع سابق، ص62.

[2] أحمد عاشوري، مرجع سابق، ص64.

[3] نفس المرجع، ص65.

[4] بن حدو فاطمة الزهراء، مرجع سابق، ص23.

[5] أحمد عاشوري، مرجع سابق، ص66.

[6] نفس المرجع ، ص67.

ولكن لا يطلب من المريد في رحاب زاويته أو طريقته وحضرة شيخه إلا الطاعة العمياء، بمعنى أن يكون مستسلما منقاداً راضيا بتصرفات شيخه، وأن يوقره ويعظمه ظاهرا وباطناً ولا يعترض على فعله.[1] كما لا يطلب من المريد شيئا ماديا مقابل تعلمه وأكله وإيوائه فالزاوية هي التي تتكفل بجميع النفقات ما عدا كسوته.[2]

العلاقة بين الشيخ والمريد:

تظهر نوعا من التعاقد بين فردين، يقدم أحد الطرفين فيها وسيلة الوصول إلى الله، بينما يقدم الطرف الثاني وهو المريد تبعيته وخدمته وأشياء أخرى كثيرة. وأول شروط هذا التعاقد الالتزام الدائم به. أما ثمرة صحبة المريد للشيخ وطاعته والإمتثال لتربيته فهي تحول المريد إلى صوفي عارف.[3]

فأصل الزوايا ايديولوجي معرفي تربوي في تنظيم مؤسساتي يعتمد على ثنائية الشيخ والمريد ويعتبر الشيخ مؤسس الزاوية والأصل الأول في الطرق الصوفية فلكل طريقة صوفية شيخ الطريقة، هو بمثابة أستاذ ومربي للمريد والأب الروحي «يُسَطّر حياة مريده تبعا لنسق من الأفكار والممارسات تزاوج تلك التي يستعملها رب الأسرة وسط أسرته ونسبه» يسلك المريد الطريقة كما يرسمها له شيخه ويسير وفق إرشاده كون الإلتزام بالأحكام المتعلقة بالشيوخ هو أساس الإنتماء، يلزم للمريد بالطاعة والولاء لشيخه، وعليه «أن يتأدب بشيخ فإن لم يكن أستاذ لا يفلح أبدا».[4]

بعد مراح التربية الروحية وتهيأ المرد لقبول ما يلقيه عليه الشيخ، يأخذ العهد منه وتتم المبايعة على المشيخة، ويصبح شيخا يؤسس مركزا مستقلا به، يعود الى قريته التي جاء

[1] نفس المرجع، ص68.

[2] نفس المرجع ، ص 69.

[3] محمد بن الطيب، مرجع سابق، ص 138.

[4] سراج جيلالي، مرجع سابق، ص57.

منها ويتخذ منها مكانا خاصا به فيؤسس زاويته ليصبح إسمه علما على المكان يدعى بين الناس المرابط أو زاوية سيدي فلان، سمات المرابط وضعه الإعتباري مكنت من جعله عامل وفاق وفصل النزاعات بين أفراد المجتمع بالإضافة إلى الوظائف السامية ولعلها أكثر حساسية وأفيدها لسلطة الزاوية، أعطتها رمزية قدسية تستحق الزيارة والتبرك بها سواء في حياة الشيخ أو بعد وفاته، وغالبا ما يدفن الشيخ بعد وفاته في الزاوية التي أسسها ويصبح ضريح كنصب تذكاري في شكل مكان مقدس للزيارة والتبرك به، ويرث الأبناء والأحفاد الزاوية وتتحول سلطة الزاوية الى الابن الأكبر، تمارس في الزاوية الطقوس والشعائر والاحتفالات تعظيما للشيخ، هكذا انتشرت الأضرحة والمزارات في المدن والأرياف وكونت ايديولوجية شعبية تجلت فيها التمثلات والقيم والاعتقادات والممارسات والطقوس.[1]

خامساً: الولي.

يمكن اعتبار الزاوية مقر لسكن الولي، ومكان يجتمع فيه عليه.[2] فهي مسجد خاص بطائفة من الصوفية، يدفن فيها بعض من لهم علاقة بالطريقة أو قرابة بالولي وغرف تخصص لاستقبال الضيوف والمنقطعين للعبادة.[3]

فالولي جمع أولياء «يقال الوَلية» فقد يعني القريب المحب الصديق، وكذا التابع.

واصطلاحا هو الرجل الصالح الذي أدى أوامر الله وتقرب إليه بشتى العبادات حتى أصبح مثلا يحتذى بطريقته من أراد الكمال الصوري والمعنوي.

وعرفته بعض الدراسات الاجتماعية لتي تناولت المفهوم، بأنه ذلك الوسيط بين الله والمؤمنين والحكم الذي يصلح بين الناس، كما يعني عند البعض الأخر ممثل الله في

[1] نفس المرجع، ص58.

[2] العماري الطيب، مرجع سابق، ص68.

[3] قارة مبروك بن صالح، مرجع سابق، ص9

الأرض يعبر عن قوته فوق الانسانية بقدرته على منح البركات وصنع الكرامات، ويعرفه فريق آخر بأنه الشخص الذي يحمي المدينة من الغارات ومن نكبات الطبيعية.[1]

ومن الملاحظ أن الأولياء يكثرون في الريف عادة، ولعل ذلك راجع الى اختيار المرابطين للريف مجالاً لنشاطاتهم حيث ساعدهم على بسط نفوذهم وانتشارهم حاجة الناس إلى من يعلمهم ويوجههم ويستمدون منه القوة على متاعب الحياة[2] والولي هو الشخص التقي الصالح، وتدل كلمة ولي على تلك الفئة من الشخصيات الدينية التي تحضى بتكريم خاص من جانب الناس وغالبا ما يكون الولي الصالح المقرب إلى الله «من مشايخ الصوفية أو معلمي القرءان، أو بعض الدعاة من الزهاد المتنقلين وما شابه ذلك».[3]

والولي الصالح هو المتجرد من جميع فات البشرية والمتصف بالأخلاق الإلهية ظاهرها وباطنها. حيث يعتقد الصوفية أن الولي له القدرة على إنزال الغيث وشفاء المرضى والتنبؤ بالمستقبل وإحياء الموتى، ومن هنا تصبح مسألة تقديس هؤلاء مسألة إنسانية سهلة الحركة وذلك إيمانا من الصوفية بأن هؤلاء الأولياء قادرون على العودة بعد مماتهم لتفقد مريديهم، كما يرتبط مفهوم الولاية بالكرامات والخوارق، التي تظهر على يد الولي الصالح في حياته أو بعد مماته، ومظاهر التقديس للأولياء الصالحين تظهر على مريديهم والمعتقدين فيهم من حمل أسمائهم والقسم بهم وبناء المقامات والقباب على أضرحتهم.[4]

- الولي والمرابط والصالح:

وسمي كل ملازم لثغر من الثغور مرابطا. وهو مصطلح عند المتصوفة للأمكنة التي تنشأ في المواقع الحربية لحماية البلاد وحراستها، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن المرابط

[1] طواهري مولود، مرجع سابق، ص157.
[2] نفس المرجع، ص163.
[3] سراج جيلالي، مرجع سابق، ص57.
[4] بن الحاج جلول لزرق، مرجع سابق، ص20.

هو ذلك الفقيه التقي، الذي يبقى خالداً بعد مماته ويدفن في زاويته أو في رباطه. ويتشابه الولي بالمرابط في الزهد والتعبد والكرامة، إلا أن المرابط ظهر في فترة معينة نتيجة للحروب، بينما الولي يمكن أن يظهر في أي زمن وفي أي مكان.[1] وانسحبت هذه الصفة مع مرور الوقت في المغرب العربي على كل ناسك أو عالم جليل أو زاهد صوفي لظهور الكرامات على يده.[2]

فالولي هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن المواظبة على الطاعات، المتجنب عن المعاصي المعرض عن الإنهماك في اللذات والشهوات، إنه تغليب للجانب المعرفي الديني- الصوفي- على الجانب العملي- الحركي- الاجتماعي.

أما تغليب بعد وجانب المرابط، فإنه يحيلنا الى البعد التاريخي والجهادي المتمثل في المرابطة في الثغور المستعمرة ويلغي من حقل الصالح الجانب الفكري والإيديولوجي والصوفي.

ونظرا لهذه الاصطلاحات الأكثر اقترابا من حقيقة هذه الظاهرة باعتبارها ظاهرة تحتضن العملي والحركي والاجتماعي والفكري والإيديولوجي-الصوفي- في غياب أي توحد مذهبي أو تجانس إيديولوجي بين عناصرها.[3]

وعبارة زاوية مثلا لها عدة مدلولات فهي تدل على ضريح ولي صالح أو على زاوية عادية أي زاوية بدون ضريح ولي، كما أننا وجدنا عبارتي «ضريح» الشيخ الفلاني أو قبة الشيخ الفلاني، وكذا «جامع أو مسجد» الشيخ الفلاني، أو المصادر الأجنبية فتكاد كلها

[1] نفس المرجع، ص34.

[2] نفس المرجع، ص35

[3] نور الدين الزاهي، بركة السلطان، مرجع سلطان، ص8.

تشير الى كلمة مرابط «marabout» وهذا للدلالة في كثير من الأحيان على ضريح، كما أنها تدل على الإنسان التقي أو الإمام أو المدرس وغيرهم.[1]

فالولي الصالح أو المرابط: هو الرجل المؤمن التقي المواظب على الطاعات المتقيد بأوامر الله ونواهيه العارف بالله على حسب الإمكان المعرض عن الأمهات في الشهوة، قال تعالى: ﴿اَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾.[2] والولي على العموم القريب من الله وأصل هذه الكلمة فعل ولي ومعناه النصير، وهو أحد أسماء الله الحسنى، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[3] والولي أيضا هو الصالح والظاهر والصديق، حيث يرى المتصوفة أن الولي هو العارف بالله الذي تصدر عنه الكرامات.[4]

يجب التمييز بين الولي والصالح[5] إذ يبدو الأول كشخص يرفض السياسي ليتفرغ فقط «للمقدس» بينما الثاني يحاول أن يزاوج بينهما. إضافة إلى كونهما يختلفان في مسألة مجال الممارسة السياسية/ الدينية، فإذا كان نشاط «الولي» يمتد ليشمل حتى الحاضرة، فإن «الصالح» يقتصر نشاطه على البادية.

إن «حركة الصلحاء» مرتبطة أساسا «بالقبيلة» تحافظ على عاداتها وتقاليدها. لذلك نفهم لماذا سيصنفها أحد الباحثين بكونها «التدبير المبتدل للأشكال المنحطة من التصوف القروي».

---

[1] ياسين بودريعة، أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني، من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بين المال والبايلك، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ حديث، جامعة بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، السنة الجامعية 2006-2007، ص16.

[2] سورة يونس الآية 62-63

[3] سورة البقرة الآية 257.

[4] ياسين بودريعة، مرجع سابق، ص21

[5] محمد ظريف، مرجع سابق، ص34

هل يمكن اعتبار «حركة الصلحاء» هي التأطير السياسي/ الديني للقبيلة في المغرب الخلدوني؟. ممكن لا سيما إذا علمنا أن هاته «الحركة» بدأت تترسخ منذ ظهور الرغبة الأولى في تجاوز النظام القبلي مع الموحدين. ولئن كان هذا التأطير فاعلا في هاته المرحلة، فإن «القبيلة» ستستبدله بتأطير آخر أكثر فاعلية مع بداية «الحكم الشرفاوي» ألا وهو الزاوية.[1]

من هذا المنظور تعد «حركة الصلحاء» ممرا ومرحلة ضروريتين لنشأة أية زاوية وتصبح وظيفتها في المرحلة الشرفاوية في حل «النزاعات» بين «المخزن» وبين «الزاوية» المؤسسة التي تفرعت عنها.[2]

I/ 2-3 المرتكزات الأساسية للزوايا والطرق الصوفية:

يستطيع القارئ لسير شيوخ الزوايا ومريديها وطرائقهم أن يتبين أن الأسس الكبرى التي انبنت عليها الطرق الصوفية والزوايا في العالم الإسلامي عامة وفي المغرب خاصة في ما مضى من الزمان تدور في فلك العوارض الأتية:

- العزلة[3]
- التجرد من العلائق
- شدة التعبد والتأمل
- الارتباط بالمتصوفين خاصة
- الاهتمام باللغة العربية، وتعليم علومها من نحو وصرف وبلاغة
- الزهد في الحياة وملذاتها
- الاشتغال بالخالق والانشغال عن الخلق

[1] نفس المرجع، ص35

[2] نفس المرجع، ص36

[3] رشيد الأركو، مرجع سابق، ص31.

- تربية المريدين على تطهير النفس للوصول إلى طريق الله
- إيواء واطعام المحتاجين
- التحكيم والوساطة والشفاعة
- التقشف والفقر
- تفضيل القيم الروحية عن القيم المادية
- طاعة المريد اللامشروطة لشيخ الزاوية أو الطريقة
- تقديم العلم الباطن على العلم الظاهر
- تربية المريدين على التضحية والجهاد من أجل نشر الإسلام والذوذ عن الوطن.[1]

لعبت تلك الزوايا دورا هاما في تحفيظ القرءان الكريم وتدريس علوم الدين ومركز لإيواء الطلبة، وملجأ للفقراء والمساكين والأيتام ومصدرا للإنتفاضات الشعبية ومراكز ثورية للدفاع.

وتبعا لتراجع الحركة الفكرية وانتشار الجهل والخرافات في بلاد المغرب إبتداءا من القرن الخامس عشرا فإن الناس أصبحوا يعتقدون أن الإنسان لا قدرة له في هذا العالم ولا طاقة له في تغيير ما قدر له من الحوادث إلا إذا استعان بالأولياء الصالحين الذين تربطهم صلة وثيقة بالله، ومن هنا أخذ الاستنجاد بالأولياء يشكل الوسيلة الطبيعية التي يلجأ الشخص في سلوكه أمام المصائب والأخطار أو يحتاج لمساعدة لتحقيق رغباته.

كان يشرف على إدارة الزوايا إما (المرابط) أو (المقدم) الذي هو شيخها، فيراقب أعمال الطلبة وهو الذي يسجل عليهم كل المخالفات والأخطاء التي يرتكبونها. كما كان يتولى الفصل في الخصومات بين أهلها بعدما يتعذر الأمر في إيجاد الحل المناسب لمشكلة مستعصية ويقرأ معهم الأوراد الخاصة بطريقته، وكانت الزاوية بمثابة دار يسكنها الطلبة

[1] نفس المرجع، ص132.

ويتلقون بها بعض الدروس فهي حينئذ شبيهة بالمدرسة ولذلك تلتقي جميع الزوايا في الهدف وتختلف كونها تابعة لطريقة معينة.

يساعد في إدارة الزاوية «المقدم» وكيل عدد من الخدم المتطوعين، أما موارد الزاوية فتتمثل في دخل الأوقاف والأحباس وفي الزكاة والهدايا العينية التي يتلقونها من أفراد القبيلة والنذور «الوعدة» وما يجمعه تلاميذ الزاوية في حالة عجز مواردها من المناطق التي تخضع لنفوذها وكذلك وتبرعات المسافرين الذين ينزلون بها وما يحمله كل تلميذ للزاوية حين يحضر للدراسة.[1]

وتطور العمران الصوفي، إلى أن تحركت الفاعليات الدينية والسياسية، وترافق هذا التحرك ظهور أصناف من الزوايا على شاكلة مجتمع ديني، يضم المدرسة والمسجد مرفقا بالزاوية وملتفتة في مبناها حول الضريح الصوفي المشهور، مما ساعد على تنوع وظائفها وزاد من الإعتراف الرسمي بها، الاقتناع الشعبي بدورها الاجتماعي، وإلى اعتبارها فضاءاً حرما لا يجوز اقتحامه أو انتهاكه. بملاحقة الفارين والفازعين إليها، لذلك أصحت الزاوية تتصف بالحُرم وقد أصبحت الفكرة، عرفاً في الضمير الشعبي.[2]

ونظرا للظروف السياسية والتاريخية التي مرت بها الزاوية «ستجد هذه الأخيرة نفسها في ظل هذه الشروط –بما تعنيه من اكراهات سياسية واجتماعية– مطالبة بالانخراط وبعمق في طلب العمل التأطيري –والتجذر أكثر من داخل وسطها لقبلي لتأمين حاجيات هذا الوسط دينيا وثقافيا واجتماعيا. وتصبح الزاوية كتنظيم بمثابة إسقاط مجالي لمشروع ديني واجتماعي واقتصادية وسياسي على مستوى الواقع.[3]

[1] ميلود طواهري، مرجع سابق، ص166.

[2] بومدين أولاحي، مرجع سابق، ص64.

[3] منصور مرقومة، مرجع سابق، ص100.

I/ 2-4 البنية التنظيمية للزوايا (نوعية الحضور المنظم داخل الحقل الديني):

يفترض تناول البنية التنظيمية للزوايا أي الحضور المتراتب والذي تطل الزوايا من خلاله الزوايا على الإسلام الكوني، والمعتقدات المحلية. يتخذ هذا الشكل التنظيمي التراتبي مستويات ثلاثة: المستوى المذهبي «الطريقة» أو المستوى التنظيمي «الطائفة» ثم المستوى الميداني «الزاوية»[1].

أولا: المستوى المذهبي أو الطريقة:

يشكل المستوى المذهبي العنصر المؤطر دينيا ونظريا وإيديولوجيا لسير الأتباع. إنه عبارة عن ضوابط مرجعية تميز طريقة عن أخرى. وتحدد لأفرادها الطريق المؤدي إلى الله وبذلك يفترض في الطريقة تحديد سلوكات وطقوس، وشعائر تجسد عملية المرور هذه باتجاه الله.

تتحدد الطريقة من طرف الشيخ الصوفي المؤسس الأول، ويرتبط بها الشيوخ من بعده عبر ما يعرف بالسلسلة الصوفية التي تسير تصاعديا إلى الوراء لتصل إلى النبي ثم الله.[2]

ثانياً: المستوى التنظيمي أو الطائفة:

يعتبر الخلط في التميز بين الطائفة والطريقة حاصلا عند الكير من المهتمين بهذا المجال، فالطائفة تجسد المستوى التنظيمي وتجسد الطائفة الثوابت التنظيمية الخاصة بالطريقة، أي بالعلاقات المنظمة للتواصل بين المريدين فيما بينهم وبين شيوخهم كما ستحدد مهمة هذه الضوابط في توحيد مريدي الطريقة على أسس وعلاقات تميزهم داخل حقل الزوايا بشكل خاص والمجتمع بشكل عام.[3]

---

[1] نور الدين الزاهي، بركة السلطان، مرجع سابق، ص118.

[2] نور الدين الزاهي، بركة السلطان، مرجع سابق،ص118.

[3] نفس المرجع، ص120.

ثالثاً: المستوى الميداني أو الزاوية:

«إن الوجود المادي للطريقة والمتجسد ميدانيا هو ما نسميه بالزاوية» ولذلك تغلب هذه التسمية على الاصطلاحات الأخرى، أي على الطريقة والطائفة.[1]

وحتى لو اعتبرت الزاوية ذات طابع ديني وثقافي كما يصفها (خالد العربي)، فهي ظاهرة لها أهميتها وأصالتها التي تستمدها من عمق تجذرها في بنيات هذا المجتمع، وفي تاريخه الديني والسياسي خاصة وأنها ارتبطت بظواهر تكون قد سبقتها، إذ لم تكن مهدت لظهورها نقصد بذلك التصوف والطرق الصوفية، لكل طريقة صوفية زاوية، والزاوية بالمعنى الصوفي هي خلوة للعبادة، وقد كانت أساسا رباط للجهاد وبه أُعتبرت وقتها القوة السياسية الوحيدة مستندة في ذلك إلى فكرة الانتساب الى آل البيت الانتماء الشرفاوي.

فكل من السلطان والشيخ «شيخ الزاوية» يعتبر شريفاً، تربطه قرابة دموية بنبي الأمة.

ومهما أخذت الزاوية من مفاهيم ومصلحات إلا أنها لا يمكن إلا أن كون داخل إطار النسق الديني، مما يجعلنا على اتفاق تام بأنها –مدرسة دينية– ومصدر لإشعاع الروحانية العالية كما أنها لازالت تحافظ على ضرورتها داخل النسق القبلي، فتجربت الزاوية كمؤسسة دينية عاشت فصار التحول واستطاعت بنيتها الداخلية أن تعكس لنا مجتمعا ككل يعيش غمار التحول، كما أنها اعتبرت أو عبرت عن الوجود المادي للطريقة فمن دون زاوية لا يمكن لطريقة ما أن تحضر لا واقعيا ومادياً، ولن تتمكن طائفة ما من أن تحقق وجودها.[2]

[1] نفس المرجع، ص125.

[2] أحمد عاشوري، مرجع سابق، ص72.

I/ 2-5 تأسيس الزاوية الصوفية:

تؤسس الزاوية بمبادرة شخصية من ولي صالح أو متعبد أو من فاعل خير يدين بالولاء لشيخ صوفي فبنائها يرتبط برجال التصوف ويتدخل الشيوخ في تحديد موقع البناء ويبرز دورهم أيضا في قرار توسعة الزاوية.[1]

ويخضع تسير مرافقها لتوجيهات الشيخ الذي يكون على رأس مجموعة من الأعوان يشرفون عليها ويسعون في حوائجها وتدبير شؤونها. وعادة ما تبدأ الزاوية بمساحة متواضعة سرعان ما تتحول إلى مركب سكني عريض يحتوي على مقر إقامة الشيخ وأسرته وعلى غرف التلاميذ ودار الوضوء وعلى بئر ومطبخ وفرن.

وتنتشر الزوايا داخل المجال الحضري وخارجه إذا كانت رغبة المؤسس في الخلوة والإنزواء عن الناس جامحة ولكن بعض الزوايا تبنى في الأماكن النائية سرعان ما تجتذب السكان إليها فتبدأ في الإتساع العمراني حتى تصبح قرية أو تجمعا سكنيا مهما، وإذا بالوافدين على زوايا الصلحاء يتكاثرون رغبة في التبرك بأصحابها. وهكذا يستقر بهم المقام الى جوار الولي الصالح نهائيا، فينجم عن ذلك تلقائيا ما يستدعيه الاجتماع البشري من استقرار يساعد الناس على تدبير شؤون معاشهم ويكفل صالحهم ويقدم الخدمات الضرورية لهم من أرباب التجارة والصناعة وغيرهم.[2]

ومن ثم تصبح الزاوية عنصرا في غاية من الأهمية في المؤسسة الصوفية بما توفره من سبيل الإتصال بين أقضاب التصوف وباعتبارها قاعدة العمل الصوفي للنها ميدان تلاقي بين شيوخ التصوف ومريديهم ومنطلق الراغب في دخول التصوف[3] رغم كثرة الزوايا فإن

[1] محمد بن الطيب، المرجع سابق، ص155.

[2] محمد بن الطيب، المرجع سابق، ص156.

[3] نفس المرجع، ص157.

بعضها قد اتسعت ونمت بأتباعها ووظائفها وبعضها الأخر بقي محدوداً، لذا يمكن تقسيم الزوايا إلى ثلاثة أنواع:

أولا: الزوايا البسيطة:

تبنى بمبادرة شخصية الهدف قد لا يتعدى الإطار العلمي والديني[1] وهي التي لم تبنى على ضريح ولي. ولا نسبت إلى ولي أو إلى طريقة صوفية.[2]

ثانياً: الزاوية ذات ولي:

تبنى عادة بمبادرة شخصية أو جماعية ونجدها في الغالب حول ضريح وسرعان ما تتحول إلى مركز عمراني كبير.[3] أو هي ما أنشئت حول ضريح وتكتسب سمعة عظيمة من أجل ذلك وسرعان ما تتحول إلى مركز عمراني كبير.[4]

ثالثاً: الزوايا الصوفية:

وهي في معظم الأحيان تبنى بمبادرة حكومية وتنسب في نفس الوقت إلى طريقة من الطرق الصوفية[5] أو هي التي تنتسب إلى طريقة من الطرق الصوفية.[6] وهي عبارة عن أكواخ يتعلم الطلبة بجوارها في الهواء الطلق، وهي زوايا للاجتماع الدوري لأصحاب الطرقية.

---

[1] بوشاقور علي عمر أمينة، الطرق الصوفية والصراع السياسي في المغرب الاسلامي، أحمد بن يوسف الملياني نموذجاً، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية، المدرسة الدكتورالية الدين والمجتمع، لسنة الجامعية 2013/2012، ص52-53.

[2] محمد العمراني، مرجع سابق، ص144.

[3] بوشاقور علي عمر أمينة، مرجع سابق، ص52-53.

[4] محمد العمراني، مرجع سابق، ص144.

[5] بوشاقور علي عمر أمينة، مرجع سابق، ص52-53.

[6] محمد العمراني، مرجع سابق، ص 145.

رابعاً: زوايا المرابطين:

وهي خصيصا للطلبة ونشر العلم واستقبال الغرباء والبؤساء، وهي مكان للزوار يأتون لتقديم التبرعات والهدايا والصدقات.[1]وهي الزوايا القديمة[2] وبسبب هذا التنوع والتعدد، تعددت مهمات الزاوية.[3]

وقد ارتبط مفهوم الزوايا بمصطلحات متعددة فالشيخ والمريد والفقير والطريقة وجميع هذه المفاهيم تستمد وجودها من مفهوم واحد جامع هو التصوف.[4]

تتأسس الزوايا في الغالب وفق نمط عقلاني حيث كانت تتأسس وتفتح بناء على أمر يصدر من شيخ الطريقة لتلاميذته، كتتويج لعملية مسارية للحفاظ على الطريقة ونشرها وبعد مرحلة التدرج في طريقة الشيخ التي قوامها العبادة والمجاهدة والجوع. وهذا ما يوضح لنا اتجاه الزاوية الى الارتباط بالطريقة والعمل على نشر أفكارها وهذا واضح من خلال النشاط الصوفي للزاوية في تربية المريدين والتلاميذ وتنظيم مجالس الذكر والتدريس، أي تحول الزاوية الى مؤسسة صوفية بكل معنى الكلمة، أي أن الزاوية تصبح فضاء لتربية المريدين على طريقة الشيخ ومسالكه في التصوف «حيث يتعلم فيها المريدون مسالك الطريق الصوفي وقواعده ويمارسون فيها خلوتهم، وتردد أذكارهم» وقد يرشحون أو يؤمرون بعد مباركة الشيخ لبعضهم بالرحيل إلى قراهم ومناطقهم لفتح زوايا أخرى للطريقة « أي كفروع لزاوية الأم».[5]

أولاً: فالنمط العقلاني لتأسيس الزاوية يتجسد بمساهمة الشيخ مع الجمعيات الدينية لاسيما إذا كان أفراد هذه الجمعيات من أتباع طريقة الشيخ الصوفي للزاوية.

[1] بن الحاج جلول لزرق، مرجع سابق، ص33

[2] عبد الباسط شرقي، مرجع سابق، ص34

[3] بوشاقور علي عمر أمينة، مرجع سابق، ص52-53

[4] محمد العمراني، مرجع سابق، ص145.

[5] العماري الطيب، مرجع سابق، ص 129.

ثانياً: وهذا النمط من التأسيس ينطبق غالباً على الزوايا الصوفية الطرقية، إلا أن معظم زوايا إقليم توات بأدرار ليست على هذا النمط، فهي إما زوايا علم أو زوايا إطعام، أو تجمع بين النمطين، لأنها تركز على الجانب العلمي أكثر من الجانب الصوفي المعتمد على الأوراد اليومية الواجب على المريد تعلمها وتكرارها.

كما تتأسس الزاوية على «نمط لا عقلاني» بل غيبي حيث يتدخل الخارق، أي أن تأسس لزاوية ما في مكان ما إنما يكون نتيجة عوامل غيبية، أي أن الشيخ تدفعه قدرة إلهية «نوع من الوحي من غير علم» أو «منام/ رؤية» الى تأسيس هذه الزاوية أو اختيار مكانها، وهذا ما سيضفي عليها البركة ليس فقط على مستوى الطعام أو التّحرم بالمكان، لكن أيضا على مستوى قدسية الموضع نفسه حرما لا يجوز إنتهاكه أو يحرم ذلك ارتكاب الكبائر فيه، كما تنعكس أيضا على مستوى الموارد القارة التي ستحظى بها الزاوية تلمسا لبركة الشيخ، وفي زيادة عدد سكانها وفي جميع الوظائف الاجتماعية التي ليست سوى أشكال متعددة لتوظيف البركة، من شفاء عليل، وجلب الغيث، وإطلاق أسير وحماية زرع ومعاقبة ظالم.

كما قد يشارك الأمراء في تشيد الزوايا، وتظهر فيها بوادر التوكل وانفتاح الزوايا على المجتمع وعلى الفتوح والطاعات وترك الأولياء تدريجيا لنمط الكسب القديم أي بكلمة أخرى تعامل أهل الولاية والتصوف مع الهبات والعطاءات والتي كانت لتطرح لولا بداية انتشار نمط التوكيل.

وقد يأخذ تأسيس الزاوية طابعا رسميا: ونعني به تدخل السلطة «الدولة» مباشرة في توظيف بعض الموارد في تشيد المعالم والمؤسسات الدينية أو التنازل عن بعض الأماكن والمحلات لهذه المؤسسات الدينية.[1]

[1] العماري الطيب، مرجع سابق، ص129.

إلا أن الزاوية التواتية غالباً ما تعتمد على الأوقاف[1] في تأسيسها وتحتوي هذه الأوقاف على عقارات وبساتين يضعها المحسنون وقفاً لمن يريد تأسيس الزاوية بعد وفاته. فيقوم الشيخ لتأسيس الزاوية من هذه الأوقاف بغرض تعليم التلاميذ أمور دينهم والإفتاء لعامة الناس. إضافة إلى الدور الإجتماعي المتمثل في إطعام الطعام للمحتاج والفقير والمسافر والحاج. ويقوم تلاميذ الزاوية بعناية البساتين التي وضعت وقفاً لها وهذا بزراعتها والإستفادة من محاصيلها وثروتها الحيوانية لفائدة الزاوية.

وعلى خلاف الزاوية الحضرية التي تتواجد في المدن والحواضر التي كانت تتميز بمحدودية مجالها المكاني وقلة مواردها، فإن الزاوية التي نشأت في الأرياف والتي تعرف بالزاوية الرابطة أو الزاوية الحصينة امتازت في الغالب بامتلاكها أراضي واسعة وأشجار وحقول، تمثل أساسا قوتها وعامل استمرارها، كما سكنها عدد أكبر من الرجال وقد يكون بها قبر مؤسسها.[2]

إلا أن زوايا إقليم توات معظمها زوايا صوفية لكن ليست طرقية بل هي زوايا تهتم بالتعليم الديني وإطعام المحتاج والمسافر لذا يسمى القائم على الزاوية بشيخ الزاوية ويسمى المتعلم داخل الزاوية بالطالب أو التلميذ فيقال الطلبة أو التلاميذ، فكل من زاويتي مولاي التوهامي، وإيداوعلي سيدي ابراهيم، هي زوايا ذات نهج صوفي تحتوي على مدارس قرآنيه للطلبة والتلاميذ كما تحتوي على دار الضياف للمسافرين والمحتاجين وقاصدي الزاوية، كما تحتوي كلا الزاويتين على ضريح الشيخ المؤسس للزاوية سواء ضريح الشيخ مولاي التوهامي والذي خلفه ابنه في مشيخة الزاوية أو ضريح إيداوعلي سيدي ابراهيم والذي خلفه حفيده (الحاج المعروف) في مشيخة الزاوية. فهاتان الزاويتان على غرار باقي زوايا توات لا يشرف

[1] الوقف: حبس العين المملوكة عن البيع والهيبة، وما في معناهما لغرض تسبيل ثمرها، ويلزم الوقف إذ انعقد صحيحاً من جهة الواقف ولا يتوقف على حكم حاكم. منقول عن محمد سوكحال المجاجي، المهذب من الفقه المالكي وأدلته، ج2، عالم المعرفة الجزائر، دار القلم دمشق، 2012، ص 461.

[2] العماري الطيب، مرجع سابق، ص129.

عليها المرابط أو المقدم كما هو الشأن في الزوايا الطرقية بل يشرف عليها شيخ الزاوية المؤسس أو خليفته. فشيخ الزاوية هو من يحدد موقع البناء ويبرز دوره أيضا في قرار توسعة الزاوية كما يخضع تسير مرافق الزاوية لتوجيهات الشيخ. فزاوية الشيخ مولاي التوهامي تقع داخل المجال الحضري بينما تتركز زاوية إيداوعلي سيدي ابراهيم في (قصر عباني) فكلا الزاويتين هي زوايا بسيطة تحتوي على مواردها من أراضي وحقول وهبات من طرف المحسنين من جهة كما قد تحضى بدعم السلطة «الدولة» مادياً أو بالتنازل عن بعض الأراضي لهذه الزوايا.

I/ 3- الزاوية في دراسات المرحلة الاستعمارية (الكولونيالية)

انطلقت الإدارة الكولونيالية من فكرة أن كلّ من أراد ان يحكم المسلمين يتحتم عليه أن يحكمهم بواسطة مراقبة «مخْياليهم الديني» ولكي يقوم بذلك عليه أن يحُدَّ من نفوذ الاسلام المشرقي، وأن يلّم بمناقب الأولياء وتخصص الكرامات المحلية وهكذا تصبح المؤسسات الدينية مدروسة بكيفية وافية. تراكمية إذ يتمُّ تجميع المعطيات الإحصائية حولها، ويُدْرَجُ فيها النَّسب والأسطورة، وكذا المناقب كما لو كانت بمثابة معطيات إحصائية. ولقد صارت الاتنولوجيا علما إداريا بامتياز وأصبحت مهمَّة علمائها هي تحليل الحقل الاجتماعي الذي كان هو محور اهتمام الادارة الكولونيالية والبحث عن الوسائل الصامتة للحفاظ على سكونه واستقراره.[1]

I-3-1 إدوارد مونتي Edouard Montet

انطلق مونتي من حقيقة إثنوغرافية مفادها أن عبارة الأولياء والزوايا الدينية تعتبران بمثابة الخاصية المميزة للإسلام بالشمال الإفريقي.[2] فمونتي يرى أن الحماس الديني من

[1] بابر جوها نسين، المؤسسات الدينية في بلاد المغارب، ت، إبراهيم شرف الدين، المؤتمر 21، للمستشرقين الألمان، 1980،ص184

[2] عبد الغني منديب، الدين والمجتمع، دراسة سوسيو لوجية للتدين بالمغرب أفريقيا الشرق، المغرب، 2006، ص33

وجهة نظر تاريخية، كان ولا يزال أحد العوامل لحياة الصلحاء والأولياء، فكل شخص قادر على الجهر بقناعته الدينية بشكل عنيف يصبح صالحا، فطريق الصلاح غالبا ما يتداخل مع طريق الحماس الديني في مواجهة العدو المسيحي.[1]

ويبدو أن مونتي لم يتحرر من فكرة البقايا الوثنية التي تُقِرُّ بعبادة الزوايا، ويعتبر أن دين الزوايا هو دين شعبي في مواجهة دائمة مع الدين الرسمي تشبيهاً بالديانة المسيحية.

I-3-2 روبير مونطاني Rebert Montagne

قدَّم مونطاني ملاحظات مهمة حول دور الزوايا وهي : «مؤسسات دينية لصلحاء صوفيين ومرابطين» وحول الطُرق، وهي: «منظمات طرقية للسلام الصوفي» بحيث يرى أهمية للولي الصالح المحلي باعتباره حكما وسطيا بين المجموعة القبلية. لقد كان مونطاني أول أوروبي أدرك الخاصية السلطوية للزوايا بصفتها مراكز تراتبية تمارس نوعا من السيطرة غير القبلية على القبائل.[2]

I-3-3 ألفرد بيل AL Fred Bel

يعتبر كتاب «ألفرد بيل» «الاسلام في بلاد البربر» الذي يتناوب فيه التركيب الديني للإسلام بمجتمعات الشمال الافريقي من أهم الكتابات الكولونيالية في هذا الباب.[3] فقد عملت الزوايا حسب «بيل» دائما على نشر صيغة معدَّلة للمعتقدات والشعائر الاسلامية، إذا لم يكن بمقدور المكونات المجردة للإسلام احتلال موطىء قدم داخل التركيب الديني السائد في البوادي المغربية.[4] ويرى بيل أن السبب الرئيسي الذي حال دون نشر الإسلام الأصلي داخل البوادي المغربية، وجعلها عاجزة عن الرفع من مستوى الفهم الديني عند القبائل، هو عدم

---

[1] Edouard Montet. Le culte des saints musulmans dans L'afrique du Nord et plus Spècialement au Maroc. Librairie George & cie. Genéve. 1909 ,p : 10

[2] بابر جوهانسين، مرجع سابق، ص185

[3] عبد الغني منديب، مرجع سابق، ص38

[4] نفس المرجع، ص 39.

قابلية (الدين الأساسي عند البربر) لاستيعاب أية معتقدات بديلة، على الرغم من اعترافه الصريح بعدم وجود أدلة تاريخية كافية عن طبيعة هذه (المعتقدات البربرية الأصلية). ومن بين الحجج التي ساقها بيل للتدليل على وجود هذه المعتقدات القصر النسبي للمدة الزمنية التي استطاعت فيها الايديولوجية الدينية للدولتين المرابطية والموحدية أن تبقى مهيمنة على المعتقدات الدينية عند البربر. بالإضافة إلى مؤشرات أخرى اعتبرها دالة على وجود هذه المعتقدات، مثل النجاح الذي لقيه التصوف الإسلامي عند البربر وسرعة انتشار مبادئه وسط القبائل، حيث تمَّ إدماج شيوخ التصوُّف داخل شبكة المعتقدات السابقة ونسبت إليهم قدرة منح البركة. وقد استمرت هذه المعتقدات المرتبطة بالصلحاء والزوايا داخل المجتمع المغربي منذ التاريخ إلى بداية القرن العشرين دون أن تعرف أي تغيير يستحق الذكر، وهذا يعني بالنسبة (لبيل) تراجعاً واضحاً للحضارة الاسلامية بشمال إفريقيا.[1] ونجد أن (ألفرد بيل) كسابقيه لم يستطع تجاوز مقولة البقايا الوثنية، فالزوايا لا تنشر صيغة معدَّلة للمعتقدات والشعائر الدينية بل تعمل على نشر الإسلام الفقهي الرسمي دون تحريف سواء ذلك في البوادي أو الحواضر، فالتاريخ والوقائع يثبتان أن لسكان البوادي فصاحة لغوية سهلة عليهم فهم الدين الرسمي الفقهي أكثر من الحواضر.

I-3-4 تعقيب

لا ينبغي تجاهل مجموعة من الأبحاث المنجزة، سواء خلال الحقبة الاستعمارية وتتسم الأبحاث الاستعمارية بكونها ركزت كثيرا على إعداد مونوغرافيات[2] فالأستاذ «محمد ضريف» يرى أن الأطروحة الاستعمارية بشأن الزوايا في المغرب مفادها أن الزوايا مؤسسة

[1] AL Fred Bel : La religion muslmane en Berberie. Paris Librairie orientale . Paul Geathner 1938, p :388

[2] محمد ضريف، مرجع سابق، ص9

مناهضة للمخزن، وأن تاريخ المغرب هو تاريخ الصراع بين الزوايا والسلطة المركزية.[1] غن الأطروحة الاستعمارية تتحكم فيها خلفية إيبولوجية في غياب الدولة.[2]

إن ضعف الأدوات المنهجية والمفاهيمية للدراسات الكولونيالية حول المعتقدات الدينية في المجتمع المغربي أصبحت متجاوزة ابستيومولوجياً. فضلاً عن كون ما تسرّب إليها من إيدولوجيات يجعل قيمتها العلمية محدودة لأنها تبرر وضعا استعمارياً له قيمه ومنظومته الثقافية، ويرى (عبد الله حمودي، وحسن رشيف) أن (فستر مارك) والباحثين الكولونياليين يغضون الطرف عمداً على الطقوس التي تحسب على الديانة الإسلامية ويقومون بعزل التي لا تحسب عليه، وبالتالي فمعظم هذه الدراسات وإن كانت لها حسناتها بالنظر للمجهود البحثي الميداني الذي بُذل فيها، فإنها لا تخرج عن نطاق « السياسة الكولونيالية» التي تستهدف معتقدات المغاربة لتشويهها وتحريفها ومن ثمة بث أورام الفرقة في صفوفهم ليسهل التحكُّم فيه.[3] ومن ثمة تعكس الدراسات الكولونيالية آراء وأطروحات إيدولوجية مبتوتة ومدسوسة تهدف الى تسويغ الاستعمار.[4]

I-4 الزاوية في دراسات الأنثروبولوجيا الأنجلوسكسونية:

شكلت المجتمعات المغاربية بشكل عام، مع مطلع الستينيات، موضوعاً للدراسة من طرف مجموعة من الباحثين الأنجلو ساكسونيين الذين أصبحوا بمثابة المتخصصين الجدد في المعرفة بشؤون هذا المجتمع.[5]

---

[1] المرجع السابق،ص10

[2] نفس المرجع، ص11

[3] رشيد أمشُنوك، أطروحات أنثروبولوجية وسوسيولوجية حول التصُوف بالمغرب، محاولة للمسألة، مجلة أنثروبولوجيا، مجلّد: 05 عدد: 10-2019، ص36.

[4] عبد الغني منديب، مرجع سابق، ص51

[5] عبد الغني منديب، مرجع سابق، ص52

I-4-1: ديل إيكلمان Dale . F.Eickelman

تستبطن الزوايا في نظر «إيكلمان» إيديولوجية مؤثرة في نسق المجتمع المغربي ومنظومته الثقافية الاعتقادية، وتستمد قوتها الرمزية في رأيه من بركة الصلحاء شيوخ الزوايا التي يهيبونها للأتباع والمريدين، بما هي قوة خفية خارقة ونعمة إلهية تفسَّر جميع الأحداث العادية أو الخارقة فهي بتعبيره الصريح «رمز يجسّدُ هيمنته قوى الغيب على الأمور الدنيوية داخل النسق الاجتماعي المغربي».[1] وتعتبر معتقدات الزوايا والصلحاء في المغرب إيبولوجيا دينية ضمنية بامتياز حسب «إيكلمان» إذ أن الأتباع والخُدَّام لا يعبّرون بكيفية واضحة ومنظمة عن اعتقادهم، بيد أن الدلالات المحمولة في سلوكاتهم وأقوالهم، على علاَّتها، تندرج بالضرورة ضمن منطق اجتماعي فاعل وإن كان مسكوتا عنه. ويقوم الاعتقاد في الزوايا حسب «إيكلمان» على أساس امتلاك الصلحاء، شيوخ هذه الزوايا البركة وقدرتهم على منحها لمريد يهم وخدّا مهم وأتباعهم، وتشكل البركة حسب هذا الباحث نواة الاعتقاد الديني وأهم أسسه ومرتكزاته، إذ تستعمل كقوة خفية ونعمة إلهية تفسر جميع الوقائع والأحداث عاديها وخارقها، فهي تعني الدهاء السياسي الخارق عند بعض الأفراد[2] وتبرر الرفاه والعيش الرغيد عند بعض الناس دون غيرهم وفي مناطق معينة دون أخرى، وتضفي معنى على وقوع أحداث وعدم وقوع أخرى ويرى ايكلمان أن الأولياء مالكو البركة بامتياز، مقرّبون بالضرورة من الحضرة الإلهية، مما يجعل منهم أحسن الوسطاء وخير الشفعاء، ولذلك فإن الخدَّام والأتباع يبحثون دائما عن كل العلامات والاشارات التي تقودهم وتدلهُمْ على صلحائهم.[3] ويرى (ايكلمان) أنه إذا كان الوعي بمبادئ الإسلام الرسمي قد أصبح اليوم أقوى بكثير مما كان عليه في الماضي فإن الاسلام الدي يدعو إليه الإصلاحيون يُعد أقل توافقا مع التنظيم الاجتماعي، فالإسلام كباقي التقاليد الدينية الكبرى يخضع لإعادة صياغة وتأويل

[1] رشيد أمشنوك، مرجع سابق، ص39

[2] عبد الغني منديب، مرجع سابق، ص65

[3] نفس المرجع، ص66.

معتقداته من طرف الحاملين لها عبر الأجيال المتعاقبة والسياقات الجديدة، حتى وإن كان هؤلاء الحامون لها أنفسهم لا يدركون أنهم قد أعادوا صياغتها.[1] فالدين الرسمي أو الإصلاحي لا يعيش في حياة القبائل المغاربية لذا فإن الدين الشعبي الذي تقوده إيديولوجية الزوايا يتكيف مع حياة هذه القبائل فهي تتبرك بالزوايا في بداية موسم الزرع والبذر، كما تتبرك بها في الحصاد وتعطي نصيباً لشيوخ هذه الزوايا، ولذا فرغم الهبة الدينية الإصلاحية والتي تنادي بضرورة العودة للدين الرسمي إلا أن مكانه الزاوية والصلحاء في حياة الناس بقي ثابتا لأنه مساير لحياة الناس وواقعهم.

لكن وظيفة الزاوية دائما ليس دائما منح البركة والقوة الخفية بل الزاوية هي كيان لتعلم العلم الشرعي من كتاب وسنة وفقه وأصول كما هي تأوي عابري السبيل والضيوف فإطعامهم يعتبر صدقة على الولي الصالح مؤسس الزاوية، فالزاوية لا تفسّر جميع الأحداث العادية أو الخارقة بل تحثُّ الناس في العودة إلى الله والتوكل عليه والأخذ بالسنن الكونية لتحصيل الرزق. كما أن الزاوية لا تحيد عن الدين الإسلامي القويم ولا تحرَّفه أو تبتدع فيه خدمة للمجتمع القروي أو القبيلة بل هي تعمل على تلقين أسس الدين الإسلامي الصحيح استناداً على الكتاب والسنة، إضافة إلى ترويض التلاميذ على مكارم الأخلاق واحترام العلم والعلماء والمشايخ. ومن هنا نجد أن «ديكل إيكلمان» رغم أنه من ضمن الاتجاه الأنثروبولوجي الأنجلوسكسوني إلا أنه لم يتحرر من القوالب الجاهزة للأنثروبولوجيا الكلونيالية وأطروحتها في البقايا الوثنية والتفرقة بين الدين الرسمي والدين الشعبي دين القبائل والقرى.

I-4-2 تأويلية: كليفورد غيرتر Cli Ford Geertz

يتوقف «غيرتز» عند مفهوم «الزاوية» حيث يقول «يشبه هذا المُرَكَّب، على الأقل ظاهريا، تصُوّرنا لصورة الممارسة الصوفية أكثر منها لتصُورنا عن السيد (الوالي)، فالزاوية

[1] Dale. F.Eickelman : The Middle East. An antHropological approach ; Englewood cliffs. NJ. Prentice Holl . Inc 1989 , p2

حرفياً مكان يجتمع فيه الأتقياء، حيث يقومون بالعديد من التمارين الروحية، ويستخدم مصطلح «الزاوية» ليعني تنظيما دينيا تطوّعيا يجتمع فيه الإخوان، وغالبا ما يكون تابعا لضريح ما»[1] فإذا كانت بركة الزاوية مجرَّد اعتقاد عند «ديل إيكلمان» فإنها عقيدة قائمة بذاتها عند (غيرتز).[2]

I-4-3: إنقسامية أرنست غيلنر Ernest Gellner

منذ الستينات حاول سوسولوجيون وأنثروبولوجيون وكذا مؤرخون وفي بعض الأحيان جغرافيون دراسة المجتمعات المغاربية من خلال نماذج نظرية ثم إعدادها في إطار مجتمعات أخرى تشترك معها في بعض سماتها الأساسية. واعتمد هؤلاء الباحثون بالدرجة الأولى على مفاهيم الانقسامية من جهة ومفهوم نمط الإنتاج من جهة ثانية، وكلَّها مفاهيم منبثقة من السوسيولوجيا الأوروبية لأواخر القرن التاسع عشر. لقد أثار استعمال هذه المفاهيم جدلا ضخماً لم يفرز بعد للعديد من الأسباب عن نظرية متكاملة تجسّد ديناميكية المجتمعات المغاربة، ومع ذلك أدىَّ هذا الجدل إلى إبراز جوانب التعقيد التي يستعصي معها دمج المجتمع المغاربي في إطار تصنيفات السوسيولوجيا الاوروبية، وإلى توضيح هذه الجوانب في بعض الأحيان، أو على الأقل إلى التعبير عنها من حين لآخر.[3] ومن ثمّ تساءلَ (أرنست غيلنر) و(د.م.هارت) حول مدى إجرائية تطبيق مفاهيم (دور كايم) و(إفانز برتشارد) لدراسة المجتمعات القبلية في مناطق الأطلس الكبير والريف.[4] اعتبر «غيلنر» أن أصغر زاوية في أقصى مكان في البلاد لا يمكن أن تشْكَّل فقط تمثلا عن المجموعة الاجتماعية التي تنشط فيها. بل إنَّها تشكل في نفس الوقت تمثلا عن الاسلام كمبدأ منظَّم

[1] رشيد جرموني، سوسيولوجيا التحولات الدينية هي المغرب، الفاعل الصوفي نموذجا، العددان، 29-30، 2015، ص110.

[2] عبد الغني منديب، مرجع سابق، ص66.

[3] ليليا بن سالم وآخرون، الأنثروبولوجيا والتاريخ، حالة المغرب العربي، عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال للنشر المغرب، ط2، 2007، ص11.

[4] نفس المرجع، ص19

ديني، ثقافي، لغوي، وسياسي، وعلى هذا الأساس فإن الزاوية تمثل التراتبية الاجتماعية. إنها تمثل الجماعة التي تنشط فيها وفي نفس الوقت تعمل على اندماجها في السياق الثقافي والاجتماعي الكوني لكافة المسلمين.[1]

إن «غيليز» يؤكد على وظيفة المؤسسات الدينية للإسلام الصوفي كحارسة للحدود بين مختلف المجموعات القبلية. «فالصلحاء» كما يقول «هم السادة للمسيرات» الروحية فبوسعهم داخل بيئتهم، لا يعتنوا بالوساطة بين الجماعات الاجتماعية، حيث إنهم لا يتبعون في مسلكهم السياسي وعلاقتهم فيما بينهم[2] منهج الصراع مثل العشائر القبلية وإنما يعدون ضامنين لاندماج فروع القبائل فيها بينهم تحت ظل سياق اسلامي عالمي، فضلا عن أنهم يحرسون الحدود القبلية.[3] ففي النموذج الانقسامي «لأرنست غيليز» أن الصلحاء يُمدَّون قبائل العوام بالاستمرارية وبالهيكل القار الذي يفتقر إليه نظامهم السياسي، إنهم يمارسون السياسة بطريقة خاصة، فهم المؤهلون لحل المشكلات والنزاعات التي تنشأ بين مختلف العشائر وذلك من خلال السلطة الرمزية التي يتوفرون عليها، فهم (الصلحاء) الذين يوفرون المكان والضمانة الاخلاقية، التي تمكن العشائر المتنازعة من الاجتماع والقيام بعملية الانتخاب، إذ أن الاجتماع والانتخاب يتمَّان في مقر الزاوية قرب ضريح الجد المؤسس، نظراً الى حرمة الضريح وما يجاوره بحيث لا يجوز التنازع داخلهما. من جهة أخرى يوفر الأولياء وسائل الإقناع الأخلاقية وعناصر الوساطة التي تنتهي بالانتخابات إلى نتائج بقبلها الجميع.

وبالإضافة إلى وظيفة الوساطة والتحكيم بين العشائر والقبائل تقوم الزوايا والأولياء كذلك بوظائف أخرى، سواء عبر تحديد الحدود أو ضمان استقرارها، وهو ما يساعد على ضبط العهود المبرمة بين مختلف القبائل بخصوص تدبير المناطق الرعوية والاستفادة منها،

[1] بابر جوها نسين، مرجع سابق، ص191

[2] نفس المرجع، ص191

[3] نفس المرجع، ص192

بالإضافة إلى دورهم في عمليات تسهيل العلاقات التجارية وانتقال القوافل التجارية عبر أراضي القبائل، وذلك من خلال وقوف القوافل في مقار الزوايا والأولياء.

إذن يبرز الصلحاء باعتبارهم فاعلا أساسياً في تدبير الصراع السياسي الذي يمكن أن يحصل بين مختلف العشائر، كما أنهم يضمنون استمرارية الأعراف القبلية في المنطقة، فهم عبر صلاحهم وتقواهم الديني، أي السلطة الرمزية (الدينية) يستثمرون هذه السلطة في القضايا ذات الطبيعة السياسية الخلافية، الأمر الذي يغيب عند الرئيس المنتخب الذي يمتلك سلطات محدودة وغير فعالة في تدبير الاختلاف بين العشائر. بالرغم من أن نمط التدين الذي يروّج له الصلحاء مخالف لنموذج التدين المعياري الذي يدعوا إليه العلماء في الحواضر، باعتبارهم المؤهلين لإنتاج المعرفة الدينية «الصحيحة» فإنه محاولة توفيقية/ تلفيفية، بين الحاجيات القبلية ومتطلبات الانتماء إلى الأمة الاسلامية، بما يضمن لهم الاستمرار ضمن النسق الاسلامي نفسه، كما يضمن لهم التمايز من خلال نموذج التدين المحلي.[1] يتساءل «غيليز» ما هو دور الصلحاء الظاهرين في النظام السياسي لقبائل العوام في الاطلس الكبير الاوسط؟ يجيب (غيليز): إنهم يُمدون قبائل العوام بالاستمرارية وبالهيكل القار الذي يفتقر اليه نظامها السياسي مثلا يتمُّ اختيار رؤساء العوام عن طريق الانتخاب، وتتطلب الانتخابات مسطرة وقاعدة مؤسسية منعدمة في مثل هذا المجتمع الذي لا يتوفر على مصالح مدنية أو إدارة أو كل ما من شأنه أن يساعد على حل المشاكل التي يمكن أن يطرحها التصويت. إن الصلحاء هم الذين يوفرون المكان والضمانة الاخلاقية التي تمكن العشائر المتنازعة من الاجتماع والقيام بعملية الانتخاب لأن ذلك يتمُّ في مقر الزاوية قرب ضريح الجد المؤسسي. فهذا الضريح وما جاوره حُرم لا يجوز التنازع في داخله. من جهة أخرى يوفر الأولياء وسائل الاقناع الاخلاقية وعناصر الوسائط التي تنتهي بالانتخابات

[1] محمد مصباح، الانثروبولوجيا الانغلو ساكسونية في المغرب: تقييم الاطروحة الانقسامية لغيلنر، مجلة إضافات، العدد الرابع عشر، ربيع 2011، ص163

الى نتائج يقبلها الجميع. إن الزوايا والاولياء يقومون إذن بدور الحكام بين القبائل والعشائر، فهم يقومون على نقط حدود لها أهميتها، ويشير ذلك إلى وظيفة أساسية من وظائفهم، وهي تعيين الحدود وضمان استقرارها. إن سلطتهم المعنوية تساعد على إرساء المعاهدات الفصلية المعقدة التي تحدد قواعد الإنتجاع بين المراعي الجبلية والمناطق الصحراوية. إن وجودهم في مناطق الحدود يسهل كذلك المبادلات التجارية، فرجال القبائل الذين يفيدون لزيارة الأسواق المجاورة لهم يتوقفون بالزاوية حيث يضعون أسلحتهم. ومن هنالك يرافقهم أحد مرابطي الزاوية أو نائب عن أحد المرابطين البارزين. إن في هذه الخفارة ضمانة مزدوجة: فهي تحمي الزائر من خطر الإعتداء وتحمل القبيلة المستضيفة من سوء تصرف الوافدين عليها.[1] ويوجد في الأطلس الكبير عدد كبير من الزوايا، وهي مؤسسات تتمتع بالحرمة لأنها أضرحة وأماكن تحكيم وحج بالنسبة للقبائل المجاورة.[2]

I-4-4: تعقيب

تعد الانقسامية من بين النظريات التي تمارس إغراء كبير على الباحثين في ميدان المجتمع القروي بالمغرب، وقد تبدو أهمية هذه النظرية وجاذبيتها في طابعها التبسيطي، وفيما تقدمه من قدرة على استيعاب مختلف أشكال ومستويات الحياة الاجتماعية والسياسية ضمن مقولات أكثر بداهة وأولية.[3] لكن يجب النظر إلى الأهمية القصوى لملاحظة «غيليز» حول الطبيعة المفارقة للأنشطة وتأثيرات المؤسسات الدينية، بما هي ممثلة للمجموعة الاجتماعية والمنوال التراتبي دينيا وثقافيا وسياسيا بنسق عالمي.[4] إلا أن النظرية الانقسامية اعتبرها «عبد الله العروي» معالجة للمؤسسات الدينية في البلدان المغاربية بإعادة صياغة الأجوبة المعطاة من قبل الإثنولوجيا الفرسية، وأنها لم تنشئ إشكالية خاصة بها، ولم

[1] ليليا بن سالم، مرجع سابق، ص 50.
[2] نفس المرجع، ص 55.
[3] منصور مرقومة، مرجع سابق، ص 53.
[4] بابر جوها نسين، مرجع سابق، ص192

تعط معلومات مقيسة على قواعد عندها، إن إعادة إنتاج الفريق الاجتماعي عندها يتحقق دون حاجة إلى الإنتاج، والصلحاء يؤثرون مباشرة على النظام الاجتماعي.[1] فالإنقساميون يسعون إلى تطبيق «ذهني» على واقع خصوصي لا يشكل هامشية الواقع،[2] وباعتبار غيليز رأى–أن الزاوية على أرض القبائل والأولياء المتجذّرون في صفوف السلالات الدينية يجسّدون المقدّس ويتوسَّطون العلاقة في ما بين الناس والله، إضافة إلى ذلك يحملون على كاهلهم أدوار ومهام سياسية يجسّدونها داخل القبائل– فهو بهذا لم يبتعد كثيرا عن مقولة (البقايا الوثنية) المفترضة عند الأنثروبولوجيا الكولونيالية، خصوصا وأنه اعتبر أن عبادة الأولياء بأرض الأطلس تعبر في مضمونها الاجتماعي عن الحاجة الروحية وعن الإلحاحات الضيفية التي تتعلق بالنظام السياسي الجزئي. لكن غيليز لم يخرج عن المسلمات الفيبرية التي كان يحملها، حيث قارن بها الإسلام المرابطي بالكاثوليكية والإسلام الإصلاحي الكتابي بالأرثودوكسية التي كانت في القرن 16 بأوروبا وراء ظهور الرأسمالية والحداثة.[3] من جهة أخرى يرى عبد الله حمودي أن الذاكرة الجماعية في جميع أنحاء الأطلس الأوسط وفي مناطق أخرى من المغرب بإشارات عديدة حول نشاط التحكيم الذي يقوم به الصلحاء وأسلافهم في النزاعات والحروب القبلية، وتقتضي القاعدة أيضا أن تكون الأسر المبجَّلة مجرَّدة من السلاح. إن الأضرحة وقبور الأولياء أماكن حج يُحْرمُ فيها القتال، لهذا السبب تشيدُ المخازن، وتعقد الأسواق، وتمُرُّ المسالك بجوارها، ويتساءل عبد الله حمودي: لكن هل تحترم هذه القاعدة باستمرار؟. فتاريخ المغرب يسجّل انطلاق تأسيس الزاوية من حادث عنف، فالولي يستنجد بأتباعه لطرد وتشريد السكان الأصليين ويتحالف الصلحاء مع المقاتلين من العوام لتوزيع الغنائم.[4]

---

[1] نفس المرجع، ص192

[2] ليليا بن سالم، مرجع سابق، ص30

[3] مختار مروفل، أنثروبولوجية المغرب، بيرك، بورديو، جالنر، وجارتز نموذجاً، ص ص 43،44.

[4] ليليا بن سالم، مرجع سابق، ص74

وفي إقليم توات مثلا تدل الشواهد التاريخية أن بعض الزوايا لم يلقى مؤسسوها قبولا عند السكان المحليين نتيجة دعوتها للتقوى ونبذ التفرقة القبلية، بل وقد ينشب نزاع بين أولاد الولي الصالح بسبب من يخلف أبيهم الولي الصالح مؤسس الزاوية. وقد يخرج هذا النزاع للعلن في موسم الزيارة التي يقيمها أولاد وأحفاد الولي الصالح، فبعد أن كانوا يشتركون في إقامتها سنويا، يستفرد كل واحد منهم بإقامتها لوحده، بل يصل الأمر أحيانا الى تغيير بعض أولاد وأحفاد الولي الصالح التاريخ السنوي للزيارة أو يمتنع عن إقامتها نهائياً.

ويضيف عبد الله حمودي أن تاريخ المغرب يثبت أن هناك رغبة لدى الأولياء في إكتساح السهول لذا نراهم يتعاملون بدون تردد مع المخزن. إن الغموض يكتنف موقف المخزن من هذه الرغبة، إلا أننا نعرف أنّه يداري المرابطين ويدرُّ عليهم العطاء. واستطاع الصلحاء أن يربطوا مع المخزن علاقات ودية في ظاهرها.[1]

فالزاوية لا يمكن أن تقوم بدورها السياسي بدون ربط شبكة علاقات مع السلطة المركزية التي تُمدها بالأراضي والهبات والعطايا وتعطيها السلطة الرمزية في مجتمعها المحلي كي تقوم بفض النزاعات بين العروش والقبائل بل وقد تكون أداة في يد النظام الحاكم للحفاظ على أمن واستقرار المناطق التي تسيطر عليها الزاوية روحيا، وتعمل باستمرار على تجديد الشرعية لهذا النظام انطلاقا من سلطتها الروحية.

إن استيعاب تأرجح الصلحاء–حسب حمودي– بين موقف المسالمة والنشاط السياسي– العسكري ليفرض القيام بتحرّيات تاريخية مطوَّلة تساعد على ضبط سياق المعلومات التي يقدّمها المخبرون. إن منهج (غيليز) –حسب حمودي– يتضمن مفارقة واضحة: فهو يحاول القيام بإعادة ترتيب لنموذج تاريخي، ومع ذلك فهو يضع التاريخ

[1] ليليا بن سالم، مرجع سابق، ص78

جانبا.[1] فحمودي يرى أن (غيليز) بالغ في وصف دور التحكيم والوساطة الذي يقوم به الصلحاء، وذلك من خلال استثمار بعض عناصر الشرعية الدينية مثل النسب الشريف والبركة. فقد كشفت الأبحاث التاريخية التي قام بها حمودي نفسه تهافت هذا الطرح، فالتحكيم ليس خاصية مميزة للصلحاء وحدهم، بل يتقاسمونه مع المخزن، ويشتركون معه في هذه الوظيفة، فالسلطان يعتبر بمثابة خليفة الله في الأرض وسليل النبي صلى الله عليه وسلم، يحظى بسلطة التحكيم والوساطة بين الفرقاء لأنه يتموقع فوق التناقضات المجتمعية، وهي وظيفة مازالت مستمرة في مغرب اليوم.[2]

I-5 الزاوية في الدراسات الأنثروبولوجية

في كتاب «مؤسسة الزوايا بالمغرب» يرى «محمد ضريف» أن الدراسات الأنثروبولوجية تتمحور حول:

I-5-1: المقترب الأنثروبولوجي

يتميز المقترب الأنثروبولوجي باختلاف الأطروحات المنضوية تحت لوائه ويمكن تصنيف هذا المقترب ضمن أطروحتين أساسيتين، منظورا إليها من زاوية العلاقة بين مؤسسة الزوايا وظاهرة السلطة.

أولا: أطروحة الاندماج

تتمحور أطروحة الاندماج حول فكرة جوهرية مؤداها أن تاريخ المغرب هو تاريخ الزوايا، وأن الدول الكبرى التي قامت في ربوعه تأسست انطلاقاً من «الزوايا». بل إن أطروحة الاندماج لم تر أي إمكانية للوصول إلى السلطة إلا انطلاقاً من «الزاوية» فوراء كل زاوية يمكن مدح العرش.

[1] ليليا بن سالم، مرجع سابق، ص82

[2] محمد مصباح، مرجع سابق، ص168

ثانيا: أطروحة التمايز

تذهب أطروحة التمايز إلى كون «الزوايا» تنشأ انطلاقا من التناقض الحاصل بين «المجتمع» و«السلطة».[1] إن الزاوية ليست لحظة في تأسيس «السلطة» كما تذهب إلى ذلك أطروحة الاندماج، بل تتأسس في اللحظة التي يفقد فيها «المجتمع» ثقته بـ «السلطة» غير القادرة على توفير الأمن والعدالة. من هذا المنظور لا تصبح «الزاوية» نفسها «سلطة = مخزناً» بل توجد دائما بموازاة «السلطة» تتعامل معها أحيانا، وتدخل معها في صراع أحايين أخرى.

إن المقترب الأنثروبولوجي، لا يقدم أدنى تمييز (خاصة أطروحة الاندماج) بين أشكال الممارسة السياسية/الدينية، هذا الخلط لا نجده مثلا في المقترب السوسيولوجي.[2]

I-5-2 بعض الأطروحات العربية المهتمة بعلاقة السياسي بالديني

أولا: نور الدين الزاهي وعبد الله حمودي.

ومؤداها أن الزاوية عبارة عن مؤسسة خاضعة للمخزن، وأن وجودها رهين بوجود السلطة المركزية التي تمنحها شروط وجودها واستمرارها.

تستقي أطروحة نور الدين الزاهي وعبد الله حمودي مرجعيتها من فكرة حضور الدولة. إن تحرير التاريخ المغربي من الرؤية الاستعمارية، تكمن أساساً في تحريره من الرؤية الإنقسامية، هذه الانقسامية التي عملت على تغييب الحقيقة التاريخية ومنها حقيقة مؤسسة الزوايا.[3]

[1] محمد ضريف، مرجع سابق، ص19

[2] محمد ضريف، مرجع سابق، ص20

[3] المرجع السابق، ص11

ثانياً: الزاوية عند نور الدين الزاهي

في كتابة «الزاوية والحزب » يعرض «نور الدين الزاهي» تعريف الباحث (محمد قبلي) للزاوية «بوصفها مؤسسة تركيبية محدّدا بذلك ماهيتها ومميزا إياها عن الوظائف التي تقوم بها الزاوية في وسطها الاجتماعي. أنها تركيب تاريخي للرباط والطائفة أي لفعل الصلحاء المميز بفرديته وجهاديته ومرابطته على تخوم وجيوب المغرب المستعمرة من جهة ولمؤسسة دينية ظل الأفراد ينتظمون داخلها ويلتحمون بفضل طقوس وشارات ورؤية محددة للعلاقة بين الله وعباده. وهي تركيب مؤسساتي يبتدئها المستوى المذهبي أو الطريقة، أي الطريق المرسوم للأتباع من طرف الشيخ المؤسس والذي يترجم في صيغة أوراد وأذكار وأحزاب، ثم يليها المستوى التنظيمي أو الطائفة، أي الطريقة وقد اتخذت شكلا منظما يحدد العلاقات بين المريدين فيما بينهم وكذا بشيخهم مثلما يسمح بتحقيق التواصل وضمان الوحدة وإن تباعدت الأمكنة والأزمنة، وتختمها المستوى الميداني أو الزاوية. أي الوجود المادي في المكان والزمان لكل من الطريقة والطائفة». تبعاً لهذا السبب يغلب اصطلاح الزاوية على الاصطلاحات الأخرى أي على الطريقة والطائفة فمن دون زاوية. أي دون تحقيق ميداني للطريقة لن يستطيع الشيخ وأتباعه تحقيق مقاصدهم. إن الزاوية تشكل في هذا السياق المؤسسة والإطار المركَّب من طريقة منظمة ومتجسدة في الواقع، وفي هذا التجسيد تظاهر مدى قوة أو ضعف الطريقة ثمَّ مدى فعاليتها أو ضعف بنائها التنظيمي وكذا مدى قوة أو ضعف شيخها ومستوى احترام وطاعة مريديها ومدى نفوذ واتساع حقل تأثيرها. إضافة إلى البعد التاريخي والمؤسساتي للتركيب، يحوي هذا الأخير بُعْدا ثقافياً على اعتبار أن الزاوية مؤسسة للتركيب بين الشرف والبركة، الإسلام التاريخي المحلّي والاسلام النصي، القدسي والدنيوي، الاقتصادي والطقوسي، العمراني والرمزي...الخ وهي في نفس الوقت تركيب لكل هذه التركيبات الجزئية. يسم هذا الوضع الزاوية بنوع من التمُّيز داخل المجال المؤسساتي

العربي– الاسلامي[1] مثل ما يدفعها في نفس الوقت للتحرك داخله تارة بالتقاطع أو الادماج والتكييف وأخرى بالمنافسة والصراع.[2] ومن هنا فإن الزاوية عند الزاهي نور الدين هي مؤسسة مركبة من ثلاث مستويات:

الأول: المستوى المنهجي أو الطريقة

الثاني: المستوى التنظيمي أو الطائفة

الثالث: المستوى الميداني أو الزاوية

لكن هل لكل زاوية مستوى مذهبي أو طريقة؟ فالزوايا مثلا في إقليم توات هي زوايا صوفية لكن ليست طرقية، فهي زوايا تهتم بالعلم الشرعي وإطعام الطعام للمسافر وعابر السبيل. وهي زوايا لها تلاميذ أو طلبة علْم. أما المستوى الميداني فتشترك فيه جميع الزوايا سواء الطرقية أو غير الطريقة. وتتحد قيمة الزاوية في توات بما تنفع به في وسطها الاجتماعي في المجال الديني أو تعليم وتحفيض القرءان وعلوم الدين أو بالأعداد الوفيرة التي تتخرج منها من أئمة ودعاة، وهذا هو الأساس الذي تقاس به قيمة الزوايا في إقليم توات، أما لعب بعض الزوايا لأدوار أخرى كالدور السياسي فذلك من بين الأدوار الثانوية للزاوية في إقليم توات.

ثالثا: الزاوية عند «عبد الله حمودي» جدلية الشيخ والمريد:

تتلخص فرضية عبد الله حمودي في كتابه «الشيخ والمريد»[1] «في تسُّرب خطاطة ثقافية في مجال الصوفية والولاية إلى المجال السياسي، وهذه الخطاطة التي استندت إليها

[1] نور الدين الزاهي، الزاوية والحزب، الاسلام والسياسة في المجتمع المغربي، إفريقيا الشرق، المغرب، ط3، 2011، ص6.

[2] نفس المرجع، ص7

علاقات السلطة وامتدت ديناميتها هي في نظري علاقة الشيخ بالمريد». هناك أنظومة تتكون من ثنائية الشيخ/المريد، ومن الازدواجية والقلب اللذين يسمانها، وماتزال هذه الأنظومة تشكّل إلى أيامنا هاته الصيغة المسيطرة في الأفعال وفي خطابات الولوج الى المشيخة (أو التشييخ). فالتراجم والطقوس المتنوعة تقدس هذا الشكل وتظهره في سلطانه المطلق كما في هناته، وتقضي إجراءات التلقيين باعتبارها طقوسا/خطابات، بهذا التقديس، وتطرْح القلب والازدواجية بوصفها شيئا مقبولا، ومن أدق مراحل التكوين والترقية. تتمثل سمات الأنوثة (في مقابل الرجولة) التي تظهر في علاقة السيطرة بين الأب والأبن، الآمر التابع، في الطاعة والانقياد وتقييم الخدمة. غير أن هذه العلاقة لا نجدها في أي مجال واصلة إلى المدى الذي تصل إليه العلاقة بين الشيخ والمريد في التلقيين الصوفي. هنا تبلغ ضرورة المرور من دور «نسوي» (في الطريق الطويل الذي يؤدي إلى الإجازة، تحت سلطة مرشد) صياغةً وأسلبةً لا تضاهيان قي مجالات أخرى في الحياة. يصف جزء من هذا الكتاب القلب المؤقت الذي ينبغي أن يجمع له كل من يطمع في المشيخة الصوفية. وينبغي هذا الوصف أوّلا على حالة واحدة. لكن هذه الحالة تؤكد خطاطة تسكن تراجم أولياء أثَّروا في مجتمعاتهم في الماضي البعيد والقريب، وهذا الإجراء يُمكّننا من تحديد الخطاطة الثقافية قبل اختبار رجحانها. وبهذا يمكن دراسة الفرضية الأساسية التي طرحتها من خلال التراجم والإنثوغرافيا، أي اختبارها من زاويتي التاريخ الثقافي والأنثروبولوجيا.[2] الشيخ المُلقّب هو الذي يصنع من المريد شيخا جديدا، فمعجزته هي التي بمقدورها أن ترفع هذا الأخير إلى القمة، وإزاء هذه المعجزة كل شيء آخر يصبح دوره ثانويا، لأنه بدون هذا الفعل لا شيء يمكن أن يسعف المريد: لا قدراته وأهليته، ولا استقامته، ولا صلواته، ولا أدعيته، ولا تهجداته، ولا أي مجهود يقربه من مصدر الإلهام. إن الخضوع في إنتظار الفعل اللدني، والمواقف الناتجة عنه، تغذَّي دائما

[1] عبد الله حمودي، الشيخ والمريد، النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة، ت: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط4، 2010، ص ص11،12.

[2] الشيخ والمريد، مرجع سابق، ص27

مناهج التكوين وبرامج التنظيمات السياسية التي تتبني صيغة من الصيغ المسماة أصولية. وخارج هذه الدوائر تتحكم علاقة الزعيم، التي تقتدي بهذا الترابط المثالي بين الشيخ والمريد، في أشكال التفاعل السياسية في كل الأحزاب والنقابات، وفي البيروقراطيات العمومية والخاصة كذلك، فمن إظهار الموافق التي تماثله بالمرأة، في مرحلة أولى، يولد الشيخ الجديد الذي يتحوَّل فيما بعد الى زعيم رجولي مطلق، بعد أن يتحرر مما يربطه بِمُلقّنيه.[1]

تعقيب:

يحاول عبد الله حمودي في كتابه (الشيخ والمريد) إعطاء مفهوم الثقافة مجالاً أوسع من نطاق الفهم والمعنى بتركيزه على وسائل الإقناع، الإكراه والخضوع وفهم السلطوية الحالية، إلى دراسة التركيبة الثقافية التي سادت في المجتمع المغربي قبل الاستعمار، والبحث عن ميكانيزمات ثقافية مشتركة لأزمنة مختلفة، ويميز بالنسبة إلى فترة ما قبل الاستعمار بين مؤسسات التوحيد وثقافته ومؤسسات التفرقة والاستقلال (الزعامات القبلية، الزوايا...) ويرى أن الشعور بالوحدة كان يهيمن في المجال الديني والذي ساهم فيه التصوُّف بشكل قوي.[2] تتسم هذه العلاقة– بين الشيخ والمريد– بالازدواجية وقلب الأدوار الاجتماعية، وهما شرطان للتكوين الصوفي وللترقية عبر كل الدرجات المؤدية الى مرتبة الشيخ، ويعنى هذا أن كل من يطمع إلى مشيخة، وجب عليه القلب المؤقت، أي أداء دور الأنثى في علاقته مع الشيخ: الطهين، الإحتطاب، الطحين، غسيل ثياب الشيخ وإعداد فراشه... كما تتسم بصفة عامة بقطع الصِلاتْ مع العائلة والاستسلام التام للشيخ (صحبة، خدمة، طاعة، وفاء، تقرُّب). لقد أصبحت علاقة الشيخ بالمريد حسب حمودي، العلاقة النموذجية للعلاقات السلطوية السياسية، ولفهم البنية السلطوية وتجلياتها السياسية في المغرب الحديث وجب

[1] عبد الله حمودي، مرجع سابق، ص28

[2] أبو بكر باقادر، حسن رشيق، الأنثروبولوجيا في الوطن العربي، دار الفكر دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 2012، ص158.

الرجوع إلى التركيبة الثقافية التي بنيت عليها. الخطاطة الثقافية نفسها التي نظمت العلاقات السلطوية في مجتمع ما قبل الاستعمار، رمّمت وأصبحت آلياتها في المؤسسة الاستعمارية، ثم بعد ذلك في مؤسسات حكم ما بعد الاستقلال.[1] لكن ليس نموذج نظري أن يسري على كل الظواهر الاجتماعية المدروسة، فدقة أي نموذج نظري لا تقاس بعموميته، بل بتحديده الدقيق للشروط الكفيلة بتحقيقه في أرض الواقع.[2] وهذا ما يعاب على مشروع حمودي الذي قُدّمَ وكأنه صالح لسياقات سياسية مختلفة. إذا كانت الثقافة ميدانا للاختلاف والصراع كما يؤكدُ حمودي نفسه في بداية كتابه! فأين هي النماذج البديلة لنموذج الشيخ والمريد؟. هذا المبدأ نفسه نطبقه أيضا على نقدنا الذي يروم توضيح حدود النموذج النظري المقترح وليس تفنيده بصفة مطلقة. فالمجاذيب والبهاليل والملاماتيون وما إلى ذلك من التسميات المختلفة يلحقون بالولاية دون اللجوء غلى الخضوع والإذعان لشيخ ما.[3] كان بالإمكان إذن تحقيق الولاية بعيدا عن العلاقات السلطوية، كما كان الشأن بالنسبة إلى الزعامات السياسية التي كان من الممكن أن تبنى وتؤسس دون مباركة والسلطان.[4] انتقد (عبد الرحيم المصلوحي) بدوره وبإسهاب ما يعتبره المقترب الكلي والثقافوي لعبد الله حمودي، إذ آخذه على إغفال خصائص المؤسسات المختلفة المدروسة (الدولة، الزاوية، العائلة، الحنطة) وآثارها في العلاقات السلطوية. وقد أوضح منتقدا كيف أصبحت الدولة من وجهة نظرا حمودي عبارة عن زاوية كبيرة وشكل مكبَّر لثقافة الخضوع الصوفية. هكذا ولم يُعرْ حمودي أي اهتمام للكيفية التي يؤثر بها السياسي في الثقافي، مختزلا هذا الأخير إلى مصدر أصلي للسلطوية لا يقبل أي تأثير أو تنويع. إن السياسة حقل صراع له خصائص كالإرادوية وعقلته العلاقات

[1] أبو بكر باقادر، حسن رشيد، مرجع سابق، ص159.

[2] نفس المرجع، ص161

[3] أبو بكر باقادر، حسن رشيق، مرجع سابق، 162

[4] نفس المرجع، ص163

بين الغايات والوسائل، وكان من المفترض أن تؤخذ هذه الخصائص بعين الاعتبار للتمييز بين السلطوية الصوفية والسلطوية السياسية.[1]

إذن عبد الله حمودي عمّم علاقة الشيخ بمريده على جميع نماذج السلطة السياسية في حين قد يحدث العكس بأن تدفع السلطة السياسية بالزاوية إلى لعب أدوار سياسية إضافة إلى دورها الديني والإصلاحي المركزي في المجتمع الذي تستقطبه هذه الزاوية.

I-6 خلاصة التعاريف

نجد أن تعريف وضبط مصطلح الزاوية يختلف من اللغة والاصطلاح إلى التعريف الصوفي للزاوية ثم تعريفها في الدراسات الكولونيالية والأنجلوسكسونية وصولا إلى الدراسات الأنثروبولوجية، إلا أن كل هذه التعاريف تجمع بين نقاط مشتركة في تعريف الزاوية تعكس واقع الزاوية في إقليم توات والتي نحن بدراسته ومن أهمها:

أولا: الزاوية بناء ذو طابع ديني يشبه المدرسة ويحتوي على مُصلى وغرفة لتلاوة القرءان ومدرسة لتحفيظ القرءان وتلقين علوم الدين وقواعد اللغة العربية، كما تضم غرف أو مراقد لإيواء الطلبة وضيوف الزاوية والحجاج والمسافرين، ويلحق بها أيضا ضريح الولي الصالح ويكون هذا الولي في الغالب مؤسس الزاوية.

ثانياً: الزوايا مدارس علمية وأخلاقية تذهيبية يتلقى فيها التلاميذ العلم الشرعي والفقه والسيرة النبوية وتقوم بتخريج مجموعة من الدعاة والأئمة للقيام بدورهم الدعوي والفقهي داخل مساجد الوطن أو يقوموا بفتح زوايا داخل محيطهم الاجتماعي.

ثالثاً: الزوايا مكان لإيواء المحتاجين وإطعامهم إضافة إلى الغرباء والمسافرين كما يتبَّرك بها الحجاج في ذهابهم وإيابهم إضافة إلى إبرام عقود الزواج بها تبُّركاً.

[1] أبو بكر باقادر، حسن رشيق، مرجع سابق، ص168

رابعاً: للزاوية دورها الاجتماعي فهي تسعى لإصلاح ذات البين وجمع الناس وإطعام الطعام، فالناس يقصدونها للتبرك في زواجهم وحجّهم بل حتى في المواسم الفلاحية أو الدينية، ففي شهر رمضان يقصد الناس الزوايا للموعظة والتفقه، وفي المولد النبوي الشريف تقام المدائح النبوية بالزاوية ابتهاجا بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، ويلتقي جموع الناس في الأعياد الدينية داخل الزاوية حيث تقام الفاتحة عند شيخ الزاوية ويتغافر الناس داخلها ويدعون الله أن يبلغهم أعياداً عديدة في أزمنة مديدة.

خامساً: تتأسس الزوايا بمبادرة شخصية أو جماعية ونجدها في الغالب حول ضريح أو تبنى بمبادرة حكومية سواء في القرى أو الحضائر، لذا قد توعز السلطة لبعض الزوايا بلعب أدوار سياسية سواء في الاستحقاقات الانتخابية أو استعمال نفوذها الروحي لحل ببعض النزاعات الإقليمية في حدود الوطن، حفاظاً على الأمن القومي للدولة، لذا يقرُّ (محمد ضريف) أن المقترب الأنثروبولوجي للزاوية لا يقيم أدنى تمييز بين أشكال الممارسة السياسية/الدينية لها.

II-النزاع: (Le Conflit)

II-1-1: النزاع في اللغة:

هو إعطاء أسباب وحقائق لتأييد أو معارضة شيء ما، أو أنه المناقشة والمجادلة.[1] وتشير قواميس اللغة إلى أنه يعود النزاع مفردا وجمعه نزاعات إلى الفعل (نزع) من باب ضرب، وقوله فلان في النزع أي خلع الحياة ونازعه منازعة أي جاذبه في الخصومة، وبينهم نزاعة (بالفتح) أي خصومة في حق، التنازع، التخاصم، ونازعت النفس إلى كذا نزاع معنى إشتاقت، وانتزع الشئ أي اقتلعه فاقتلع، وتنازع القوم أي اختصموا.[2]

[1] ليلى قارة، الوساطة الجزائرية في النزاع الداخلي المالي، 2010/1963، رسالة ماجستير، في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، كلية العلوم لسياسية في الاعلام، جامعة الجزائر 03، 2011/2010، ص08.

[2] عبد الحميد العوض القطيني محمد، الوسائل السليمة لتسوية النزاع الدولي، رسالة دكتوراه في القانون، جامعة شندي، السودان، 2016، ص17.

يعتبر مصطلح نزاع ترجمة لكلمة (Confltis) و(Conflict) بالإنجليزي وهما من أصل الكلمة اللاتينية (Conflictus) حيث تحديد مفهوم (النزاع) في الدراسات القانونية له ما يبرره في القانون الدولي، لكونه من مقتضيات الدفاع عن المصالح الذاتية ورد العدوان.[1]

II-1-2 النزاع اصطلاحاً:

تعرفه المعهد الدولي لبحوث النزاع في (هايد لبرغ) على أنه ظاهرة إنسانية عن تصادم المصالح واختلاف المواقف على بعض القيم وهي على الأقل بين طرفين، قد يكونان جماعات منظمة أو دولاً، وهي مصممة على السعي نحو تحقيق مصالحها والحصول على أهدافها. ويعرّف النزاع كذلك على أنه تصادم بين اتجاهات مختلفة أو عدم توافق المصالح بين طرفين أو أكثر مما يدفع بالأطراف المعنية الى عدم القبول بالوضع القائم ومحاولة تغييره، وهو كذلك الاختلاف في تصوُّر مواقف قضية ما بين طرفين أو أكثر في نفس اللحظة من الزمن.[2] والنزاع هو كل تنافس بين مجموعات مختلفة سواء (عرقية، سياسية، دينية) وهذا التنافس يكون نتيجة مصالحها المتناقضة، بحيث تحاول كل مجموعة تحقيق أهدافها بأعمال تؤدي إلى الإضرار بالمجموعات الأخرى. ويعرفه James himes في كتابه (النزاع وإدارة النزاع) على «أن الناس عدائية وهي مخلوقات تتنازع مع بعضها البعض».[3]

III- النزاع السياسي (Le Conflit Politique)

النزاعات ذات الطابع السياسي هي نزاعات (غير خاضعة للقضاء) فهي ناشئة عن طلب أحد الطرفين تعديل الأوضاع القائمة وأن هذه النزاعات هي الإدعاءات المتناقضة الصادرة عن طرفي النزاع، والتي لا يمكن وصفها بالقانونية، لأنها تحكمها (المصالح الوطنية

[1] عمر سعد الله، الوجيز في حل النزاعات الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، 2012، ص08

[2] سمية بلعيد، النزاعات الأثنية في إفريقيا وتأثيرها على مسار الديمقراطية فيها، جمهورية الكونغو الديمقراطية نموذجا، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، كلية الحقوق، جامعة مثوري، قسنطينة، 2009، 2010، ص22

[3] ليلى قارة، مرجع سابق، ص08

الحيوية، والاقتصادية، والسيكولوجية) بحيث أن تطبيق القواعد القانونية لن يؤدي الى تسوية النزاع. بل يتحكَّم في ذلك عامل المفاوضات والوساطة واللجوء الى إحدى الوكالات الدولية.[1] فالنزاعات في القارة الأفريقية لم تظهر طفرة واحدة وإنما كانت هناك مقدمات لها أبرزها ما زرعه المستعمرون من بذور الفتنة والانقسام الأخرى، وآثار ذلك لاحقاً على شعوب القارة. وأبرز هذه النزاعات في القارة الإفريقية ذات طابع سياسي مثل النزاعات الحدودية.[2] وعلى هذا الأساس ساهم المستعمر بالحدود السياسية التي وضعها، على خلق عدم الولاء القومي لأنه قطَّع أو قسَّم القبيلة الواحدة على أكثر من وحدة سياسية.[3]

IV- الإقليم Region

IV-1: الإقليم في اللغة:

هو قسم من الأراضي يختص باسم ويتميَّزُ عن غيره

IV-2: الإقليم في الاصطلاح:

يستخدم مصطلح الإقليم بمعان مختلفة: إذ غالبا ما تسمى الأقاليم الاقتصادية والاجتماعية الكبيرة أو اقترانها المكاني بالإقليم. ويطلق الإقليم على مجموعة من الدول المتجاورة مثال: إقليم الشرق الأوسط، فهو يُعَدُّ مفهوما أوليا في الجغرافية البشرية، ويمثل في الوقت نفسه منظومة مكانية بشرية أيضا. يستخدم مفهوم الإقليم في مجالات معرفية شتى وهو يعني مساحة (مكانا) معينة ذات خصائص طبيعية وتاريخية وبشرية معينة.[4] والإقليم هو مفهوم مكاني يحدّده البعد الجغرافي، وكثافة التبادل والمشاركة في المؤسسات والتجانس

[1] كمال حَّماد، النزاعات الدولية، دراسة قانونية دولية في علم النزاعات، الدار الوطنية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1998، ص21.

[2] عبد القادر رزيف المخادمي، النزاعات في القارة الأفريقية، انكسار دائم أو انحسار مؤقت، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2005، ص89.

[3] نفس المرجع، ص97

[4] علي محمد دياب، مفهوما الإقليم وعلم الأقليم، من منظور جغرافي بشري، مجلة جامعة دمشق، المجلد28، العدد الثاني، 2012، ص459.

الثقافي.[1] ويعتبر مفهوم الإقليم أطول مفاهيم علم الجغرافيا بقاء وأكثرها جذباً لاهتمام الجغرافيين، ولا يوجد تعريف متفق عليه لمفهوم الإقليم عندما يستخدم بغير صفة تلحق به، ولكن المصطلح يعني «جزء من سطح الأرض يتميز بشكل أ وبآخر عن غيره من الأجزاء». ومنه يُعَّرف الإقليم على هذا الأساس بأنه: «منطقة من سطح الأرض تتسم بالتجانس بين عناصرها الجغرافية على المستوى الداخلي، أي داخل إطارها، وباختلاف هذه العناصر على المستوى الخارجي، أي بينها وبين غيرها من المناطق الأخرى».[2]

V- النزاعات السياسية الإقليمية Conflits Politques règionaux

من خلال استقراء التعاريف المتعلقة بالنزاع السياسي والإقليم يتبين لنا أن النزاعات السياسية الإقليمية هي تصادم مصالح بين الأطراف حول مكان جغرافي معين وعدم قبولها بالوضع الجغرافي السياسي القائم ومحاولة تغيير هذا الواقع وحل هذا التصادم السياسي الجغرافي بالطرق الدبلوماسية والوساطات لأنه لا يمكن حلّه بالطرق القضائية. ولعَلَّ النزاع في شمال مالي بين الحكومة المالية وجماعات الأزواد هو نزاع سياسي حول إقليم جغرافي كبير على الحدود الجنوبية للجزائر حيث تطالب هذه الجماعة بانفصالها عن حكومة مالي جغرافيا وحكوميا والحصول على استقلال سياسي للإقليم. وهو ما ترفضه الحكومة المالية وتعتبر انتهاكاً لسيادتها على حدودها الشمالية مع الجزائر.

VI- الدبلوماسية

VI-1: الدبلوماسية في اللغة :

تشير أدبيات الدبلوماسية في المعاجم اللغوية، على انها لفظة مشتقة من اليونانية «دبلوما» ومعناها الوثيقة أو الشهادة الرسمية التي تطوي على نفسها. والتي كانت تصدر

[1] مارتن غريفيش، تيري أوكالاهان، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، مركز الخليج للأبحاث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 2008، ص67.

[2] محمد دردور، الاستراتيجية الجزائرية في محيطها الإقليمي على ضوء التغيرات السياسية الجديدة، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل 2021-2022، ص 113.

عن الشخص الذي بيده السلطة العليا للبلاد، وتخَوّل حاملها امتيازات خاصة، وتتضمن صفة المبعوث والمهَّمّة الموفود بها.[1] و «دبلوما» كلمة إغريقية «Diploma» لغوياً تعني مزدوج أو من طبقتين « Folded in two» في اليونان القديمة كذلك (دبلوما) اليونانية تعني شهادة تمنح بعد إكمال منهج دراسي محدد، وكانت الشهادة من طبقتين (أو مطبقة من قطعتين). في فترة الإمبراطورية استخدمت الكلمة لتعني وثائق سفر رسمية مثل الجوازات وتصريحات المرور عبر طرق الإمبراطورية وكانت هذه التصريحات مختومة على لوحتين من المعادن.[2] ثم امتدّا المعنى ليشمل الوثائق الرسمية الأخرى مثل المعاهدات (Treaties) مع القبائل الأجنبية. في عام (1700م) استخدمها الفرنسيون ليصفوا بعثاتهم الدبلوماسية (Corps Diplomatique :Cd). ثم انتقلت الكلمة الى اللغة الإنجليزية بواسطة (إدموند بيرك) (Edmund Burke) في عام 1796م، مشتق من الكلمة الفرنسية (Diplomatie).[3] ثم اتّسع مدول هذه الكلمة فيما بعد ليشمل الأوراق الرسمية التي تتضمن نصوص الاتفاقيات التي أبرمتها الإمبراطوريات القديمة المتعلقة بالعلاقات الدولية، ثم بعد ذلك وظيفتها إلى مستوى أنها أصبحت تعني إدارة وتوجيه العلاقات الدولية.[4] كما نجد أنها بحسب هذا المفهوم تعني مبعوثا أو مفوضا، أي الشخص الذي يُرسلُ في مهمَّة، ولم تدخل لفظة الدبلوماسية في المعجم الدَّولي إلاَّ في أوساط القرن السابع عشر، عندما حلَّت محل لفظة «مفاوضة». وقد تطوَّر مدلول الدبلوماسية والذي أصبح يشير إلى معان مختلفة فهو يُستعمل اليوم:

1) إما للدلالة على النهج السياسي في زمن بعيد

[1] رقولي كريم، دور الدبلوماسية الجزائرية في تسوية النزاعات الدولية والإقليمية، حالة الصحراء الغربية، أنموذجا، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، بن عكنون، الجزائر، العدد07، 2017، ص61.

[2] رافع علي المدني، الدبلوماسية الناعمة في السياسة الصينية تجاه أفريقيا، العلاقات الصينية– السودانية نموذجاً، 2000–2010، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمَّان، ط1، 2016، ص11

[3] نفس المرجع، ص12

[4] رقولي كريم، مرجع سابق، ص61

2) وإما للدلالة على اللياقة والكياسة والدهاء، والتي يتحلَّى بها شخص ما بالنسبة لعلاقاته مع الغير.

3) وإما للدلالة على المفاوضات وما يتبعها من مراسيم.

4) وتستعمل للدلالة على مهنة التمثيل الدبلوماسي الذي يقوم على حد تعبير «أرسنت ساتو» «بمهمة التوفيق بين مصالح بلاده ومصالح البلاد المعتمد عليها، والذود عن شرف وطنه، والسهر على تنمية الوعي الدولي».[1]

VI-2: الدبلوماسية في الاصطلاح:

الدبلوماسية في معناها الشامل هي العملية الكاملة التي تقييم عبرها الدول علاقاتها الخارجية، إنها وسيلة الحلفاء للتعاون، ووسيلة الخصوم لحل النزاعات دون اللجوء إلى القوة. فالدول تتواصل وتساوم وتؤثر إحداها في الأخرى وتَحُلُّ خلافاتها بواسطة الدبلوماسية. ومن المهم أن نعرف أن المواجهات الخطيرة بين القوى العظمى منذ عام 1815 والتي انتهت بالقوة، لا تبلغ إلا 10 في المئة من إجمالي المواجهات، ويجري عمل العلاقات الدولية العادي من خلال أداة الدبلوماسية السلمية. وفي معناها الضيق، الدبلوماسية هي تطبيق السياسة الخارجية، وهي مختلفة عن عملية صنع السياسة، وقد تؤثر الدبلوماسيون في الساسة، لكن مهمتهم الأساسية هي التفاوض مع ممثلي الدول الأخرى، فالسفراء والوزراء والمبعوثون متحّدثون رسميون باسم بلادهم في الخارج، وهم الأدوات التي تحافظ بها الدول على الاتصال المباشر والدائم فيما بينها. وعلى الرغم من أن الوسائل سريعة الوصول من دولة الى أخرى في أيامنا هذه تستطيع اللقاءات الشخصية وجها لوجه أن تضيف خصوصية وصدقا إلى التبادل الدبلوماسي، فالدبلوماسية الرسمية هي نظام دائم من التواصل الرسمي بين الدول، ومن ذلك تبادل بواسطة مبعوثين مؤهلين رسمياً والمشاركة في المؤتمرات

[1] رقولي كريم، مرجع سابق، ص62

والمفاوضات المباشرة الأخرى.[1] ويعرفها «إسماعيل صبري مقلد» بأنها عملية التمثيل والتفاوض التي تجري بين الدول والتي تتناول علاقاتها ومعاملاتها ومصالحها، والدبلوماسية الفعَّالة هي التي تدعمها كل أدوات السياسة الأخرى التي تملكها الدولة سواء كانت هذه الأدوات سياسية، دعائية، اقتصادية أو عسكرية». فالدبلوماسية تعتبر إحدى الآليات المستخدمة من طرف مختلف الوحدات السياسية الحكومية وغير الحكومية من أجل فض النزاعات.[2] وتحمل كلمة دبلوماسية عدة معان مختلفة، فهي يمكن أن تستخدم كمرادف للمفاوضة وما يتبع ذلك من مراسيم ومجاملات وأساليب اللياقة، ويمكن أن تستخدم كمرادف للسياسة الخارجية بما تعنيه من تنفيذ وإعداد لها، أو تستخدم بمعنى الجهاز الذي يدير الشؤون الخارجية للدول، أو يمكن أن تعني مباشرة مهنة رجل السياسة. كما أنها يمكن أن تدل في معان أخرى على طبع أو موهبة أو لياقة أو مهارة أو كياسة وحذاقة في تسيير المفاوضات والمحادثات الدولية.[3] وتشير الدبلوماسية إلى مجموعة القواعد والأعراف الدولية والإجراءات والمراسم والشكليات التي تهتم بتنظيم العلاقات بين أشخاص القانون الدولي، أي الدول والمنظمات الدولية والممثلين الدبلوماسيين، وتقتفي بيان حقوقهم وواجباتهم وامتيازاتهم وشروط ممارستهم مهامهم الرسمية، والأصول التي يترتب عليهم إتباعها لتطبيق أحكام القانون الدولي ومبادئه. وهي فضلا عن ذلك علمٌ وفن تنظيم وإدارة العلاقات الدولية، وتمثيل الحكومة وحماية مصالح الدولة الوطنية لدى حكومة بلد أجنبي، والتي يمارسها المبعوثون الدبلوماسيون من خلال المفاوضات، نظراً لطبيعة الدبلوماسية باعتبارها نشاط سياسي له قوانينه وأصوله وقواعده المحدودة، وله دوره الأساسي في العلاقات الدولية، فإنها تجمع في

[1] مارتن غريفيش، تبري أو كالاهان، مرجع سابق، ص203

[2] رقولي كريم، مرجع سابق،ص63

[3] علي الشامي، الدبلوماسية، نشأتها وتطوُّرها وقواعدها، ونظام الحصانات والامتيازات الدبلوماسية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ط3، 2007، ص27.

الواقع بين المجالات الثلاثة: علم وفن وتقنية.[1] إذن الدبلوماسية عِلْمٌ وفن: فهي علمٌ لأنها تقوم على أسس، وتعتمد على قواعد، وتخضع لأصول وتتطلب إلماما عميقا بكل جوانب القانون الدولي، ومعرفة دقيقة بكل مراحل التاريخ الدبلوماسي، وإحاطة شاملة بكل أنواع المعاهدات الدولية. وهي فن لأنها تتطلب مواهب وطاقات وكفايات معينة لا تتوافر في إي إنسان. فالشهادة الجامعية وحدها لا تكفي، والأصل العائلي أو الطبقي وحده لا يكفي، والتعيينات التي تعتمدها الدولة لا تكفي.[2]

VII-الوساطة Mèdiation

تُعدُّ الوساطة عاملا مُهما للمفاوضات، وحين تكون الوساطة ناجحة فإنها توفر وسيلة للأطراف للعيش معاً على الرغم من النزاع القائم بينها -إنها لا توفر مصلحة عميقة ولا تلغي أسباب الصراع.[3] «الوساطة هي عملية إدارة الصراع، تتعلَّق بجهود الأطراف ذاتها حيث تطلب الأطراف المتنازعة مساعدة أو تقبل عرضا بالعون من فرد أو جماعة أو من دولة أو منظمة، لتغيير أو لتأثير في مدركاتها أو سلوكها، دون اللجوء الى قوة مادية أو مناشدة سلطة القانون». كما عُرّفت الوساطة بأنها «عملية يسعى فيها طرف ثالث الى المساعدة في حل الأسباب الكامنة لصراع يتعارض مع تسوية لنزاع محدد». إذن الوساطة «طريقة، وتظهر لتسوية النزاعات الدولية، تعني مشاركة دولة ثالثة أو فرد غير ذي صفة في مفاوضات الدول المتنازعة»[4] «والوساطة هي عمل ودّي تقوم به دولة أو مجموعة من الدول أو وكالة تابعة لمنظمة دولية أو حتى فرد ذو مركز رفيع في سعيه لإيجاد تسوية للنزاع القائم

[1] رافع علي المدني، مرجع سابق، ص13

[2] علي الشامي، مرجع سابق، ص10

[3] منير فيصل عبد الله السلطان، الوساطة أداة رئيسية من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية الكويتية عربيا وإسلامياً، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب، 2012، ص14.

[4] منير فيصل عبد الله السلطان، مرجع سابق، ص15.

بين دولتين».[1] فالوساطة إذن «هي تلك العملية التي يساعد من خلالها طرف ثالث شخصين أو أكثر على التوصل الى حل تابع منهم بشأن قضية ما، ويمكن استخدام الوساطة بدلا عن التقاضي، كما يقصد بها عمل ودَّي تقوم به دولة أو مجموعة من الدول أو وكالة، تابعة لمنظمة دولية او حتى فرد ذي رفيع سعيه لأبحاث تسوية للنزاع القائم بين الدولتين».[2]

[1] هدى بكري محمد مختار، الوسائل السلمية لحل النزاعات الدولية، رسالة ماجستير في القانون، جامعة أفريقيا العالمية، مجلة الشريعة والقانون، ص13.

[2] عمر سعد الله، مرجع سابق، ص43.

الفصل الثاني

الإرتباط الروحي للزاوية التواتية بإفريقيا

جنوب الصحراء (دولة مالي)

تمهيد:

حاولنا في هذا الفصل التركيز على الجانب الروحي الممتد للزاوية وحضورها الإجتماعي وسط أتباعها وقصورها، ولقد بدأنا باستعراض الدور الديني والثقافي للزاوية في محيطها المجالي. وكيف تمكنت من حل النزاعات المحلية وإعادة إنتاج خطابها الصوفي، وإنشاء مبادئ الصلح والمسامحة والتضامن الإجتماعي، فالسلطة الرمزية الدينية للزاوية تمكنها من الحفاظ على الإستقرار ونبذ الإنشقاق داخل مجتمعها وخارجه، لتصل إلى القبائل والعشائر التابعة لها روحياً والتي تستفتي الزاوية في كل شؤونها وهو ما نسلط عليه الضوء فيما يتعلق بالزاوية التواتية.

I- التواصل التجاري بين توات والسودان الغربي.

رغم أن الفاصل بين توات وإفريقيا صحراء قاحلة, ومحاولة بعض المؤرخين اعتبارها السبب في تخلّف هذه الأخيرة, باعتبارها حاجز منع عنها نور الحضارة، غير أن هذا غير صحيح، بل على العكس من ذلك لم تكن الصحراء في يوم من الأيام خالية من السكان، ولم تكن حاجزاً، بل كانت وبدون مبالغة طريق الاتصال الوحيد إلى غاية أزمنة متأخرة، وبحكم موقعها الذي يتوسط بلاد المغرب وبلاد السودان، شكلت توات الركيزة الأساسية للاتصال بينهما.[1] إن التواصل والإرتباط التجاري بين توات والسودان الغربي كان قوي ساهمت في تبلوره مجموعة من العوامل يمكن ذكرها فيما يلي:

I- 1- القوافل التجارية ودورها في مد جسور التواصل الحضاري بين البلدان المغاربية وبلاد السودان الغربي.

شكلت القوافل التجارية الشريان الرئيسي والوسيلة الناجحة التي ساهمت في خلق التحام بين مختلف البلدان المغاربية وبلاد السودان الغربي وقيام علاقات بينهما، كما أنّها لم

[1] مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، مرجع سابق، ص 259.

تكن فقط وسيلة للنقل بقدر ما شكلت معرضاً يقوم باستمرار بعملية البيع والشراء. وإذا كانت أهميتها قد اختلفت حسب أهمية المحاور والإمكانيات التجارية التي يتيحها كل مركز من المراكز التجارية، فإنها بدورها ساهمت في إزدهار الطرق التجارية المارة عبر الصحراء الكبرى. ولقد تعددت مهام القافلة وأهدافها فنجد فيها التاجر والمسافر والرّحالة والعالم وطلبة العلم وغيرهم فهم جميعاً يشتركون في قافلة واحدة تجمعهم كل ماله حاجة في نفسه يقضيها من خلال هذه القافلة.[1] ولقد تعددت دوافع التجار المغاربة نحو بلاد السودان المغربي لعلّ أبرزها:

أولاً- الدافع الديني للتجار المغاربة نحو السودان:

يعدّ الدافع الديني والمتمثل أساساً في نشر الإسلام وتعليمه من أبرز وأهم الدوافع التي كانت وراء هجرة المغاربة صوب السودان الغربي، هؤلاء الذين بذلوا جهوداً في بسط نفوذه، ورفع أولوية تعليمه في كل مكان وزمان وكان العامل الديني واضحاً في نشاط كثير من هؤلاء المهاجرين أثناء إقامتهم في مدن وقرى وأرياف السودان الغربي، وسواء كانت هجرات جماعية أو فردية فإن الأنشطة الدينية التي مارسها المهاجرين تظهر حماسهم الدعوي والتعليمي.[2]

ثانياً- الدافع العلمي للتجار المغاربة نحو السودان:

مثلت الرحلات العلمية تبادلاً علمياً وتفاعلا ثقافياً حقيقياً بين المنطقتين عبر العصور حيث قام أهالي السودان الغربي بإرسال البعوث من أبناء المنطقة للدراسة في بلاد المغرب. ومما لا شك أنه من بين المراكز الثقافية ببلاد السودان الغربي التي قصدها العلماء، وطلبة

[1] دودي عواطف، العلماء والتّجار المغاربة ودورهم الحضاري في السودان الغربي بين القرنين (16-19م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ، تخصص: تاريخ بلاد المغرب الحديث، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، 2021-2022م، ص 223.

[2] دودي عواطف، مرجع سابق، ص 100.

العلم المغاربة مدينة (تنبكت) هذه الأخيرة التي تبوّأت خلال القرن 16م المرتبة الأولى كأحد أكبر الحواضر العلمية بالمنطقة، إذ توافد عليها العديد من طلبة العلم من مختلف الأماكن خاصة من بلاد السودان الأوسط (كانو)، وإن كان القليل منهم من إستطاع الوصول إلى الشهرة، وقد عُدّة الحياة الجامعية حول مسجد (سنكري) فرصة بالنسبة للطلبة الجدد للإلتقاء بكبار الشخصيات من أمراء أبناء التّجار، ولخلق روابط صداقة وعمل قد تكون بداية الثراء والارتقاء إلى مناصب مُهمّة في الدولة.[1]

ثالثاً- الدافع السياسي للتجار المغاربة نحو السودان:

لا يمكن تجاهل الحِرص والإهتمام الذي أبداه سلاطين وحُكّام الممالك الإسلامية ببلاد السودان الغربي في سبيل استقدامهم للعديد من العلماء والفقهاء المغاربة بهدف تثقيف شعوبهم وتوعيتهم، فمنذ أن نشأت مملكة مالي الإسلامية أظهر ملوكهم ترحيبهم وتقديرهم للمغاربة الوافدين على المنطقة. وإلى جانب هذا الدور فقد ساعدت إمكانية البلاد الهائلة وظروف التجارة المربحة مع جهود ملوك آل الأسقيا في إشاعة المعرفة المعرفة في بلادهم.[2] ومن أبرز العلماء الذين استقدموا إلى مملكة سنغاي الإسلامية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي هذا الأخير الذي جاب المنطقة في عهد الأسقيا محمد الكبير اتخذه مستشاراً له، ووجّه له عدّة أسئلة.[3]

I- 2 التبادلات التجارية عبر منطقة توات نحو بلدان الساحل الإفريقي:

تعتبر توات مركزاً تجارياً هاماً خلال العصر الوسيط باعتبار موقعها المتميز والذي يُعدّ المحور الطبيعي لتجار السودان الغربي ودول جنوب الصحراء وبضائع بلدان المغرب

[1] دودي عواطف، مرجع سابق، ص 102.
[2] دودي عواطف، مرجع سابق، ص 105.
[3] دودي عواطف، مرجع سابق، ص 106.

العربي حيث شكلت حلقة وصل بين الشمال والجنوب والشرق والغرب عبر الصحراء الكبرى[1] وتكمن أهمية تلك المحطات التجارية في كونها تتوفر على المصادر المائية والكلأ للدواب وكذا المؤن والزاد للرّحالة، إضافة إلى موقعها المتوسط للصحراء وقد تجاوزت الأقاليم التواتية دور المعابر والممرات إلى دور أهم حيث أصبحت منطلقاً للقوافل التجارية المحلية التي يديرها أصحابها بأنفسهم أو يختارون من يسيّرها نيابة عنهم في رحلة الشتاء إلى بلدان السودان.[2] ولقد اضطلعت الزوايا بدور مُهم في توفير المصادر المائية للقوافل التجارية وتأمين عبورها، فالشيخ المختار الكنتي مثلاً كان في نهاية (القرن 16م) يجوب الصحراء الخاضة لنفوذه لاسيما على طول الطريق الرابط بين توات وتنبكت ويقوم بعدّة عمليات استهدفت تشجيع النشاط التجاري من ضمنها حفر الآبار.[3] فقد ساهمت القوافل التجارية القادمة من الشمال مروراً بأرض توات وصولاً إلى أدغال إفريقيا في الدفع بحركات الفتوحات الإسلامية، فدخل عدد هائل من العلماء إلى إفريقيا تجاراً ودعاة إلى الله ولعلّ أبرز شخصية دينية وعلمية توغلت في هذه الديار وكان لها الأثر البارز في حركة المد الإسلامي في إفريقيا هي شخصية "الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي" والذي استطاع أن يسجل اسمه وبحروف من ذهب في ذاكرة معظم الأفارقة ابتداءً من (القرن 10هـ). كما ساهمت الزاوية الكنتية خصوصاً في غرب إفريقيا بالوقوف ضد المحاولات التغريبية من قبل الإستعمار.[4] وشكلت التجارة إحدى وسائل الاتصال المثمرة بين توات وإفريقيا وفي توات كانت تجتمع القوافل من الشمال مع القوافل القادمة من بلاد السودان، بوصفها نقطة عبور وممر رئيسي لهاته القوافل خاصة بعد تراجع مكانة الطريق الغربي الرابط بين سجلماسة، ولاتا، غاو،

[1] حسيبة بلاطس، الإزدهار الاقتصادي والعلمي لإقليم توات وانعكاسه على التواصل ببلدان الساحل الإفريقي ما بين القرنين 16 و20م، الملتقى الوطني حول: التواصل الحضاري بين الجزائر وبلدان الساحل الإفريقي بين القرنين 16 و20، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، يومي 16/15 أكتوبر 2017، ص 12.

[2] حسيبة بلاطش، مرجع سابق، ص 13.

[3] دودي عواطف، مرجع سابق، ص 227.

[4] حسيبة بلاطش، مرجع سابق، ص 13.

نتيجة الإضطرابات السياسية وانتشار قُطّاع الطرق، مما أدّى إلى تدحرج التجارة شرقاً نحو طريق توات، الذي أصبح الأهم خاصة مع ازدهار مملكة سنغاي وأدرك الأوروبيون هاته الأهمية مبكّراً لأنها كانت تمثّل الطريق للوصول إلى ذهب السودان.[1] وكانت القوافل عادة ما تكون محمّلة بالكتب والمخطوطات بعدما راجت تجارتها في ذلك العصر بفضل ما كانت تدرّه من أرباح تفوق بكثير أرباح السلع الأخرى، بالإضافة إلى التجار المحليين وكان التجار غالبيتهم مع السودان الغربي، مع تمتعهم بثقافة علمية واسعة أهلتهم للقيام بدور علمي إلى جانب نشاطهم التجاري، أو ما يُعرف بظاهرة الفقهاء التجار، الذين أثروا العمل بالتجارة على التدريس والقضاء، لبركتها ولما كانت توفره لأصحابها من مكاسب أو هروباً من تولي منصب القضاء لكن دون انقطاع عن نشاطهم العلمي الذين واصلوا ممارسته انطلاقاً من التجارة وفاق تأثيرهم العلمي في بعض الأحيان تأثير من تفرغوا للعلم.[2] وقد تعرّف الأفارقة على كثير من التّجار التواتيين الفقهاء، كما أن بعض العلماء التواتيين مارسوا التجارة إنطلاقاً من الحاجة لتأمين مكاسب ونفقات الزوايا ومدارس العلم التي قاموا بإنشائها، ونذكر في هذا الصدد منهم: الشيخ سيدي علي بن حنيني (ت 1115هـ/1703م) صاحب الزاوية المشهورة بزاقلوا. وكان تأثير التّجار كبيراً فهم سفراء لتوات في إفريقيا وبفضل معاملتهم وطريقتهم المشبعة بالروح الإسلامية، حازوا إعجاب وثقة الإنسان الإفريقي، فراح هذا الأخير يقلدهم في سلوكهم المستمد من تعاليم الإسلام الحنيف، مما كان له دورٌ في انتشار الإسلام والطرق الصوفية، كما أسهموا في انتقال الكثير من العادات والتقاليد بين القطرين.[3]

[1] مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، مرجع سابق، ص ص 260-261.

[2] نفس المرجع، ص 261.

[3] مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، مرجع سابق، ص 262-263.

II- التواصل الثقافي بين توات والسودان الغربي:

إن علاقة الجزائر بغرب إفريقيا السودان من الجانب الثقافي تجسّدت في تنقل بعض علماء الجزائر إلى هذه المناطق الأخيرة من حين إلى آخر وكثيراً ما كانت شهرة علماء الجزائر تسبقهم إلى هذه المناطق وذلك شأن محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، الذي انتقل إلى شمال نيجيريا واستقرّ في هذه البلاد مدّة مارس فيها مهنة التدريس والوعظ والإرشاد في بلاد الهوصا، ولم يغادر المغيلي البلاد إلا بعد أن ترك بها عدداً هاماً من التلاميذ، وتوجد في (كانو) حتى اليوم جماعة ينسبون أنفسهم كأحفاد المغيلي. لقد كان المغيلي أحد علماء زمانه، وما امتداد جهوده إلى السودان الغربي إلاّ دليل آخر على العلاقات الطيبة التي كانت تربط إفريقيا السوداء بالجزائر عبر العصور المختلفة.[1] فقد كانت هناك علاقة ثقافية جد متينة بين إقليم توات والسودان خاصة أن توات وصلها الإسلام عن طريق التّجار والدّعاة الذين كانوا متجهين نحو بلاد السودان، فكثرة هذه الرحلات من توات إلى السودان جعلت فقهاء كثيرون يقصدون تلك الديار بقصد نشر الإسلام وتوجيه الثقافة الدينية.

ومن مظاهر التواصل الثقافي بين توات والسودان الغربي هو قوافل الحجيج فقد كانت توات إحدى المحطات الرئيسية لحجيج بلاد السودان الغربي، وشكّل الحج فرصة سنوية مناسبة للكثير من الأفارقة لزيارة المنطقة والإلتقاء بالعلماء والطلبة، وتُسجّل الكثير من المصادر التاريخية رحلات الحجيج التي قام بها الأفارقة عبر توات، ومنها تلك الرحلة الشهيرة (للملك كنكن موسى) الذي مرّ بها في طريقه إلى الحج سنة 725هـ/1325م، وأوردت معها كثير من الأخبار والأساطير عن تلك المرحلة وما جرى من خلالها من

[1] عمار هلال، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافية العربية في غرب إفريقيا السمراء، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988، ص 74.

أحداث.[1] كما من قوافل الحجيج كثيراً من العلماء والفقهاء الأفارقة، ممن كانت لهم اسهامات وآثار بالمنطقة من دون شك.[2]

ومن العلماء الذين زاوا توات في مواسم الحج: الشيخ الحاج أبو بكر بن الحاج عيسى بن أبي هريرة الغلاوي (ت 1146هـ/1733م) حجّ عام (1121هـ/1709م) رفقة الشيخ أحمد بن محمد بن الطالب عمر البرتلي (ت 1199هـ/1785م) أتى معه من الحج بخزانة نفيسة من الكتب ومن دون شك نُسخ أو أستنتسخ البعض منها في توات. وممن حجّ من الفقهاء الشيخ الحاج البشير بن أبي بكر بن الطالب محمد البرتلي (ت 1214هـ/1799م)، حجّ سنة (1204هـ/1789م) وله رحلة حول ذلك، يذكر فيها مراحل الطريق من توات إلى الحج.[3] وكان للحجاج الأفارقة أماكن محدّدة يأتون إليها داخل توات في أوقات معلومة من السنة، وهناك يلتقون بالطلبة والعلماء من الإقليم الذين يبقون في انتظارهم، وعندما يتم التبادل العلمي والإجازات والمخطوطات وأهم مراكز الإلتقاء: زاوية الشيخ سيدي علي بن حنيني بزاقلوا، زاوية كنتة.[4] كما كان لتنقل السكان الدائم بين توات والسودان الغربي، أثر بارز ودور كبير في نسيج العلاقة العلمية بينهما، وبحكم الطبيعة الصحراوية للمنطقتين، كان التنقل السمة الغالبة لدى كثير من سكان الصحراء، كما كانت تمبكتو وكثير من المدن الإفريقية الأخرى، غاصة بالتواتيين وبديهي أن يكون من بين الوافدين أو القاطنين عدد كبير من الفقهاء والعلماء.[5]

[1] مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، مرجع سابق، ص 263.
[2] نفس المرجع، ص 264.
[3] مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، مرجع سابق، ص 265.
[4] نفس المرجع، ص 266.
[5] نفس المرجع، ص 267.

III- التأثير الديني للزاوية التواتية في السودان الغربي.

لقد ساهم كل من التاجر والفقيه التواتي في مد مناطق السودان الغربي بالأفكار والتعاليم الإسلامية كل حسب طريقته الخاصة، فالفقيه عَمِلَ عن طريق التدريس والإمامة والوعض والإرشاد بالمسجد، والتاجر عمل عن طريق المجالس والندوات داخل الأسواق والمحافل العامة، يبث تعاليم طريقته الصوفية التي اعتنق مبادئها، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل أن موقع الإقليم التواتي داخل الصحراء جعل منه منطلقاً لرجال الدين المسلمين القادمين من هنا وهناك بقصد نشر الإسلام وتعاليمه بمدن وأقاليم السودان الغربي.[1]

III- 1 جهود الشيخ بن عبد الكريم المغيلي العلمية في السودان الغربي:

إن العلاقة بين توات وإفريقيا لم تكن وليدة القرن الثاني عشر الهجري بل هي ضاربة في أعماق التاريخ، وجُدت مع وجود الإنسان في تلك المناطق غير أن قدوم الشيح بن عبد الكريم المغيلي إلى توات خلال القرن التاسع الهجري، ثمّ انتقاله إلى إفريقيا، أعطى العلاقة بُعداً وطابعاً خاصاً، حتى أنه ليصعب المرور في أي فترة من الفترات، دون العودة لإنجازاته وما حققه من روابط وذكر لا زال صداه يتردد إلى اليوم في كل ربوع إفريقيا.[2] وبالرغم من أن كثير من العلماء التواتيين قد سبقوا المغيلي لهذا القطر وتوافدوا على المنطقة منذ (القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلادي) ومارسوا التجارة والتدريس هناك، إلاّ أن المصادر التاريخية لم توليهم العناية التي أولتها له، ولم يكن لهم صدى مثله، بالرغم من نشاطهم ودورهم هناك.[3] فقد رحل الإمام المغيلي إلى السودان الغربي في نهاية (القرن التاسع الهجري) لـ 15م والتقى بحكّامها وساستها ولاسيما مع أمير دولة السنغاي (الحاج محمد

[1] فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص 125.

[2] مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، مرجع سابق، ص 282.

[3] مرجع سابق، ص 283.

أسكيا)[1] وأمير دولة الهوصة (محمد بن يعقوب)، فوضع لهما أسس تنظيم الدولة الإسلامية، كما نظّر لهما السياسة الشرعية ولاسيما في الجانب المتعلّق بعلاقة الراعي بالرعية، وإجمالاً فإن السودان الغربي قد استفاد ثقافياً وسياسياً من تلك المرحلة، التي قام بها الإمام المغيلي إلى هناك، حيث نشر العلم وبنى المساجد ونظّم المجتمع، والدولة وتخرّج على يده علماء أجلاّء.[2] ودائما بالنسبة للإطار الرسمي، فقد كانت للشيخ سيدي عبد الحميد بن أحمد بن ميمون الأمريني علاقات ثقافية مع سلطان السودان، وكان يبعث له كل عام بمصحف، كما استفاد بعض العلماء التواتيين من تلك الحركة العلمية التي شهدتها (تمبكتو) في القرن الحادي عشر للهجرة (16م) وهاهو عالم توات سيدي عبد الكريم بن أمحمد بن أبي محمد التواتي يتّصل بعالم تمبكتو الشيخ سيدي أحمد بابا التمبكتي، ويأخذ العلم عنه،[3] كما رحل الشيخ أبي الأنوار التنيلاني إلى بلاد التكرور ونشر العلم بها واستفاد منه أهلها. هذا فضلاً على أن الشيخ سيدي محمد بن سيدي محمد بن مالك الفلاني، كان قاضياً ومدرّساً بالسودان كما أن الشيخ سيدي عبد الرحمان بن الحاج أحمد بن محمد الفلاني قد جلب العديد من المخطوطات من تمبكتو.[4] واستمر التواتيون يغُذون هذه المناطق بالأفكار والثقافة الإسلامية بعد وفاة الشيخ عبد الكريم المغيلي، فقد استقرّ الكثير من تجّارهم بمدينة تمبكتو حتى أصبحت الجالية التواتية هناك من أكبر وأنشط الجاليات.[5]

---

[1] الأسقيا محمد الكبير، الحاكم الأول لمملكة سنغاي في عهد الأسقيين (1493م–1528م) عمل على تقوية الدولة من خلال القيام بخلق مؤسسات، وتحرير الجيش وفتحه لكل أبناء القبائل والتنظيم الإداري للبلاد بتقسيمها لمقاطعات، قرّب إليه الفقهاء والعلماء وقد شهدت مملكة سنغاي في عهده أكبر إتساع جغرافي وتعداد بشري وتنظيم حضاري. منقول عن صالح بوسليم الهادي هارون، التأثير السياسي للطريقة القادرية في إفريقيا جنوب الصحراء خلال العصر الحديث، مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، العدد الثاني، 2017م، ص 73.

[2] الصديق حاج أحمد آل المغيلي، التاريخ الثقافي لإقليم توات، مرجع سابق، ص ص 208–209.

[3] نفس المرجع، ص 209.

[4] الصديق حاج أحمد آل المغيلي، مرجع سابق، ص 210.

[5] فرج محمود فرج، مرجع سابق، ص 125.

III-2 حوارات المغيلي مع من التقى بهم في إفريقيا:

إن جميع تلك الحوارات التي دارت بين الإمام المغيلي ومجموع من التقى بهم في إفريقيا الغربية خاصة لتعطينا صورة واضحة لما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من الإزدهار والرقي في تلك المناطق خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين، كما أنها تعكس لنا في الوقت الدور البارز والرائد الذي قام به الإمام المغيلي في سبيل إرساء قواعد الدعوة الإسلامية وإخضاع المعارف الإسلامية في تلك الديار لمحك الأخذ والرد والعطاء وتوسيع دائرة النقاش العلمي، ليشمل مناطق بعيدة ومختلفة من هذه الديار الحديثة العهد أنذاك بالإسلام حيث تشير بعض الدراسات[1] إلا أنّ بداية دخول الإسلام إلى هذه المناطق والاحتكاك الذي وقع للإمام المغيلي مع مجمل من التقى بهم من ملوك وأمراء إفريقيا توسعت رقعة الإسلام، وصحّحت كثير من المفاهيم والأفكار المغلوطة التي ظلت معششة لفترة طويلة جداً من الزمن في أذهان كثير من الأفارقة حُكاماً ومحكومين على السواء.[2]

III-3 الدور الديني للزاوية الكنتية في السودان الغربي:

نظراً للروابط التجارية بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء، فقد كانت هناك هجرات من منطقة توات إلى غرب إفريقيا، ومن هذه الهجرات هجرة قبيلة كنتة والذين اتخذوا من (ولاته) مركزاً لهم، ولذلك عُدت هذه المدينة مركزاً حضارياً للثقافة الإسلامية للسودان الغربي، وأول نقطة لنشر الطريقة القادرية لهذه المناطق وبسبب ظروف تحولت هذه القبيلة إلى (تنبكت) ونشروا فيها الإسلام عن طريق الطريقة القادرية وبعد توطّد أركان الطريقة القادرية بالمدينة أخذت طريقها إلى باقي أجزاء القارة.[3] وكان للشيخ سيدي أحمد الرقاد (ت 1063هـ/1653م) مؤسس الزاوية الكنتية بتوات (سنة 999هـ/1590م) نشاط علمي ببلاد

---

[1] أحمد أبا الصافي جعفري، من تاريخ توات، أبحاث في التراث، دار الحضارة للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، ط1، 2011م، ص 41.

[2] نفس المرجع، ص 42.

[3] صالح بوسليم، الهادي هارون، مرجع سابق، ص 74.

السودان، وتذكر المصادر التاريخية، أنّه بعد أن شاهد إقبال الطلبة السودانيين عليه بكثرة أسس زاوية ومدرسة بتمبكتو، وأرسل إبنه الشيخ سيدي علي (ت 1120هـ/1708م) ليكون قائماً عليها، وأقام هذا الأخير هناك أكثر من عشر سنوات يُعلم الناس ويفتي لهم، فأقبلوا عليه من كل فج وأسلم على يديه منهم خلق كثير، ثم عاد لتوات بعد دعوة أبيه له ليخلفه على الزاوية الأم بتوات.[1]

أولاً- المدارس المتفرقة عن المدرسة الرقادية بزاوية كنتة:

تعتبر هذه المدرسة أم لعدد من المدارس والزوايا المنتشرة وأصلاً لما يزيد عن ثلاثين مدرسة وزاوية تابعة لها داخل الوطن وخارجه، ولا زال هناك تواصل بينهما وبين بعض هذه المدارس، ومن تلك المدارس والزوايا:

أ/ في أزواد:

فمن تلك الزوايا والمدارس، المدرسة التي أنشأها المؤسس الأول لزاوية كنتة (سيدي أحمد الرقاد)، حيث عمل على تأسيس مدرسة أخرى بأرض تمبكتو، ولم يصل إليها وإنما أرسل إليها (إبنه سيدي علي) وأقام بها ما يزيد عن (18 عاماً)، ثم دعاهُ أبوهُ فعاد للزاوية الرقادية التواتية وترك بالمدرسة في تمبكتو من يقوم بالتعليم فيها. وبعد موت الشيخ (سيدي أحمد) ورد أهل تمبكتو على الشيخ سيدي علي وهو الخليفة يومئذ بالمدرسة التواتية، طالبين منه أن يرسل معهم من يقوم بالتعيين والإرشاد والتربية فيهم، فأرسل إليهم ابن أخيه الشيخ (سيدي أحمد بن عمر بن الشيخ أحمد الرقادي) ومكنّه من الأوراد القادرية وقال هذا خليفتي فيكم وستجدون فيه من الخير والعلم والسر والبركة مالم تشاهدوه معنا.[2]

[1] مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، مرجع سابق، ص 192.

[2] بوفلجة حرمة، المدرسة الكنتية الرقادية بزاوية كنتة ودورها التربوي والتعليمي، مجلة رفوف، المجلد السابع، العدد الرابع، ديسمبر 2019، ص 112.

ب/ في أروان:

وبعد مدة قليلة ورد على المدرسة الرقادية التواتية أيضاً جماعة من "أروان" يطلبون مرشداً ومعلّماً، فأرسل إليهم الشيخ سيد الأمين المعروف (بذي النقاب) وامتثل أمره ونزل عندهم (بأروان) في قبيلة (أولاد الشيخ أحمد أقادة) حتى مات عندهم بأروان وروضته مشهورة مقصودة وهو شقيق الشيخ أحمد بن عمر المذكور دفين تمنكتو وما زالت أولادهم وفروعهم بتلك البقاع.[1]

ثانياً- الجهود الدينية للطرق الصوفية في غرب إفريقيا:

وقد أدت جميع الطرق الصوفية دوراً دينياً على غرار الطريقة القادرية للزاوية الكنتية إلى درجة أن جميع الأفراد كانوا لا يزالون يربطون إسلامهم بالإنتساب إلى إحدى الطرق الصوفية.[2] والحق أن الطرق الصوفية في غرب إفريقيا السوداء، تعتبر من أهم العوامل التي ساعدت على تأسيس المجتمع الإسلامي الحديث، بحيث لعبت دوراً لا يستهان به في إستتباب السلم بين القبائل الإفريقية، وقام المرابطون وشيوخ الزوايا ومقدّموها في كثير من الأحيان بدور الوسطاء من أجل حل المشاكل والمنازعات داخل القبيلة وخارجها.[3] ودافع زعماء الطرق الصوفية على المستضعفين والمضطهدين، كما قاموا بدور هام في تطوير المبادلات التجارية مع توفير الأمن لذلك، وقدّموا الإعانات للفقراء والعجزة، حيث كانت الزوايا ملجأ لهؤلاء، ومن الطرق الصوفية من تطلّعت إلى تطوير التعاون والتضامن بين أعضاء الطرق الصوفية الأخرى، وكان منهم المعلّمون والدعاة للثقافة العربية الإسلامية، ويتجلّى دور الطرق الصوفية واضحاً في غرب إفريقيا السودان في ميدان التعليم التي أقاموها

[1] نفس المرجع، ص 112.

[2] عبد القادر زبادية، دراسة عن 'إفريقيا جنوب الصحراء مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 225.

[3] عمار هلال، مرجع سابق، ص 134.

في المنطقة، وأشرفوا عليها بأنفسهم وأتفقوا عليها ونشروا العلم للعلم فقط، دون أي غرض آخر. كما يتجلى الدور الثقافي الذي قامت به الزوايا والطرق الصوفية في غرب إفريقيا من خلال عدد الكتب التي حوتها بعض مكتبات هذه الزوايا. شكلت السند الأساسي لانتشار الثقافة العربية الإسلامية في المنطقة في وقت كانت فيه أن تنطفئ كل معالم هذه الثقافة. وفي الميدان التجاري قدمت الزوايا والطرق الصوفية الحُراس والمرافقين للقوافل التجارية وذلك حتى وصولها إلى توات وتنمبكت، كما كانت الزوايا والطرق الصوفية تشكل مأمناً من اللصوص وقُطاع الطرق، حيث كانت تختزن فيها البضائع التجارية إلى حين نقلها إلى أماكن بيعها.[1]

III- 4 قدوم الطلبة الأفارقة للدراسة في توات وتأثرهم بمؤلفات التواتيين:

أولاً- قدوم العلماء والطلبة الأفارقة للدراسة في توات:

كانت زوايا تنيلان وزاوية كنتة وتمنطيط... تعجّ بهم، ومن الأمثلة على ذلك الشيخ عبد الله الفلاني، الذي قدم إلى تنلان من بلاد التكرور في رحلة لطلب العلم، ودرس على يد الشيخ عبد الرحمان بن عمر التواتي التنلاني ومكث عنده شهرين وست ليالي، ومن الذين قدموا لتوات من إفريقيا واستقروا بها الشيخ سيدي محمد الاداوعلي (ت قبل 1198هـ/1784م) نسبة لقبيلة (ادوعل) كبرى قبائل شنقيط.[2] ولشدّة تعلّق الأفارقة بتوات وكثرة تردّدهم عليها انتسب البعض منهم إليها، حتى صاروا لا يعرفون إلاّ (بالتواتي) مثل: الحاج أحمد بن الحاج الأمين الغلاوي الملّقب بالتواتي، كان من كبار العلماء والصالحين، حجّ مرات عديدة إلى بيت الله الحرام، وكان شيخ الركب من السودان الغربي إلى توات، ليخلفه أبو نعامة من توات

[1] عمار هلال، مرجع سابق، ص 136.

[2] مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، مرجع سابق، ص ص302-303.

إلى الحج، عُرف بكرمه وزهده وهمّته. ومن مؤلفاته كتاب سمّاه كشف الغمة في نفع الأمة، توفي عام 1157هـ/1744م بفزان في ليبيا أثناء عودته من الحج.[1]

ثانياً- تأثر الأفارقة بعلوم ومؤلفات التواتيين:

تأثر الأفارقة بعلماء وعلوم التواتيين وانكبوا على كثير من مؤلفاتهم ينسخونها، ويدرسونها، وحتى شارحين لها أحياناً، ومن الأمثلة على ذلك: كتاب المعين المبارك على منظومة (ابن أب المزري)، المقدّمة الأجرمية (للشيخ المختار بن الطالب عبد الله الشنقيطي الولاتي)، وهو شرح على مؤلف (بن أب) المذكور، هذا بالرغم من أن الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي قد نال حصة الأسد من تلك الدراسات والشروح كما كانت توات دوماً حاضرة في مؤلفات الأفارقة، قبل وبعد وأثناء القرن الثاني عشر الهجري، واقترن دائماً وصفها ببلاد العلم والأمان والطمأنينة. فقلّما تجد كتاباً أو مؤلفاً في الأغراض المختلفة لا يأتي على ذكرها.[2]

IV- قداسة الزاوية التواتية ومكانتها الرمزية في إقليم أزواد شمال مالي:

IV-1 العوامل المساهمة في التواصل بين توات والأزواد

يعتبر القرنان الثاني عشر الهجري والثالث عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي، والتاسع عشر الميلادي أخصب عهود منطقتي توات والأزواد لما ظهر بها من علماء ومؤلفات علمية.[3] ولعلّ تطوّر هذا النشاط الثقافي والفكري يعود أساساً إلى:

- بعد المنطقتين توات والأزواد عن مراكز الصراع السياسي وتميزها بالهدوء، ممّا أتاح المجال للنشاط العلمي وجعل الإقليمين مركز جذب للعلماء الفارين من مناطق الصراع السياسي.

[1] نفس المرجع، ص ص304-305.

[2] مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، مرجع سابق، ص 305.

[3] محمد الصالح حوتية، توات والأزواد، جزء أول، ص 273.

- إنتشار الزوايا العديدة في سائر المناطق الصحراوية والتي جمع شيوخها بين العلم والعمل، فساهموا في تبسيط المعارف العلمية وتنافست الزوايا في إستقطاب الطلبة ممّا كان له أكبر الأثر في نشر العلم النافع والجاد.
- مساهمة سكان المنطقتين خاصة الميسوري الحال منهم بدعم الطلبة والمدرّسين بالأوقاف والهبات وبسط النفقات.

ومما يلاحظ أن الحركة الفكرية بالمنطقتين ظهور التنوع الفكري وإن غلبت عليها العلوم الشرعية خاصة الفقه والتفسير والنحو والتصوف والأصول والتنجيم وهو ما يتم عن تنوع فكري بالإقليمين.[1]

IV-2 الاستقاب الإقليمي للزاوية التواتية:

لعبت الزوايا في جنوب الجزائر دوراً بالغ الأهمية في نشر الإسلام واللغة العربية، حتى في الأقطار المجاورة للجزائر جنوب الصحراء وتخرّج منها العماء والفقهاء وحفظة القرءان الكريم.[2] إضافة إلى تلك تدخلت في فض النزعات والصراعات الفردية والجماعية بطرق ودّية وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية.[3] فلم يخلّد التاريخ أثراً لعالم عربي شرقي أو غربي مثل ما خلّدهُ المغيلي في السودان الغربي.[4] فلقد قضى الشيخ المغيلي سنين عديدة ينتقل بين توات وأقاليم السودان الغربي وبذل جهوداً إصلاحية جبارة في ميادين: التعليم، وتصحيح الأفكار والعقائد، وتهذيب المجتمع، وتنظيم الحكم وشؤون الإمارة، ونشر الإسلام حتى أنّه سلبَ بعلمِه وأسلوبه الدعوى وتواضعه فكر الملوك ومحبة الشعوب وكان أوّل العلماء الذين دخلوا توات وأثّروا فيها تأثيراً بالغاً، بل حتى أنه غيّر المجرى الثقافي والفكري

[1] نفس المرجع، ص 274.

[2] عبد العزيز شهبي، مرجع سابق، ص 46.

[3] قارة مبروك بن صالح، مرجع سابق، ص 16.

[4] دودي عواطف، مرجع سابق، ص 203.

للإقليم بدعواته المؤثرة وإصلاحه الثائر.[1] هذا وقد أحدث الإسلام تغييراً واضحاً في حياة السودانيين رغم إسلام الكثير منهم كان سطحياً في البداية ويشوبه الكثير من الخرافات، وهنا يظهر دور العلماء أمثال المغيلي ممن عملوا على تصحيح المفاهيم الخاطئة عند العامة فكان لهم الدور الكبير في تمتمين الروابط الثقافية بين توات والسودان الغربي، دون أن ننسى الدور الكبير الذي قام به بعض السلاطين من بلاد السودان الذين عملوا على جلب العلماء إلى بلدانهم وإرسال البعثات الطلابية إلى بلاد المغرب الإسلامي.[2]

IV-3 السلطة الرمزية الصوفية للزواية التواتية:

من المعلوم أن مصداقية أية زاوية كانت تقاس بحجم الخدمات التي تقدّمها لوسطها، وقد تتسع شهرتها ويتكاثر عدد أتباعها إذا ما ضاعفت من مجهوداتها في هذا الباب، خاصة إذا كانت الفترة التي تقدّم فيها مثل هذه الخدمات مساعدة على ذلك، ولم يأل المتصوفة جهداً في إعانة المحتاجين ومساعدة الفقراء ومدّهم بكل ما يحتاجون إليه للبقاء.[3] يبد أن الأزمات والتفسيرات الغيبية التي كانت تُنسج حول الأزمات التي عاشتها البلاد، كثيراً ما دفعت الناس إلى التعلّق بكلّ من توسم فيه الناس الصلاح، ويبدو أنهم وجدوا فيهم الملاذ الآمن والحل لكل المشاكل المستعصية حيث جعلوهم وسطاء موثوقاً بهم وُحكّاماً لا تردُّ أحكامهم، وكان معروفاً كذلك أن الناس كانوا يبحثون عن الحماية المادية والمعنوية، من سطوة الطبيعة وتسلّط الإنسان حتى ولو كانت الحلول المقدمة مجرد حلول تطمينية نفسية. وفرت هذه الوضعية للزوايا عامة الظروف الملائمة لتعزيز الحضور في المجتمع من خلال التقليل من

---

[1] خير الدين شترة، الإرث الفكري والإصلاحي للشيخ المغيلي في إقليم توات وحواضر السودان الغربي، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 21، ص 13.

[2] عبد القادر بوحسون، من أعلام الفكر والدين والإصلاح بإقليم توات وبلاد السودان الغربي، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي المتوفي سنة 909هـ، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات، جامعة أدرار، الجزائر، المجلد: 10، العدد 02 جويلية 2022، ص 742.

[3] عبد العزيز عموري، الزاوية بين الديني والإجتماعي والسياسي، مجلة ليكسوس الإلكترونية، العدد 26- دجنبر 2020، ص 60.

وقع تلك الأزمات المركبة والحد من خطورتها على كافة أوساط المجتمع. وذلك باعتماد آليات قد تبدو من الوهلة الأولى بسيطة من إطعام وإيواء واستشفاء... لكنها كانت ذات دلالات كبرى بالنسبة لساكنة هي أحوج إلى الحماية والأمن والطمأنينة، ومن بين الخدمات التي كانت الزوايا تقدّمها في النسيج المجتمعي، يذكر الإطعام كأحد تجليات التضامن الإجتماعي في البلاد، بالنظر كون أزمة الجوع والقحط كانت لحظات مُهمّة لمختلف الفئات المتنفذّة والفاعلة في المجتمع مع الفئات المنكوبة والمتضررة جوعاً. لهذا نصادف في المصادر التاريخية كيف أن شيوخ التصوّف كانوا يتنافسون في الإنفاق وتقديم الطعام للجوعى حتى صارت الأطعمة المقدّمة في رحاب الزوايا وسيلة للشفاعة ورمزاً للبركة وكرامة صاحبها.[1] ومهما كان فهذا الجانب النفعي شكّل عنصر إشعاع لهذه المؤسسات الصوفية إستفادت منه أيما استفادة في تثبيت نفوذها واستقطاب مزيد من المريدين لها وترسيخ وجودها ونفوذها، وتركيم رأسمال رمزي تمّ استثماره بشكل جيد في ضمان بعض مقومات السلطة الرمزية في المجال. وقد نضيف لهذه الأدوار مسألة توفير الحماية الشخصية للناس من كل ما يتهددهم من مخاطر قد يكون مصدرها الإنسان أو الطبيعة، وتتم هذه الحماية عادة في فضاء المؤسسة الدينية. لقد وفرت ظروف الصراعات السياسية وعدم الإستقرار أرضية خصبة لتشبث الزوايا بهذا الدور الحمائي،[2] يضاف إلى ذلك مساهمة الزوايا الروحية والدينية، وبالخصوص دور شيوخ الطرق الصوفية في تلبية الاحتياجات الفكرية والروحية للمريدين والأتباع في مختلف أماكن تواجدهم، ناهيك عن القيام بوظيفة الإرشاد الديني والإجابة عن احتياجات مريديه ذات الصبغة الفكرية.[3] ما تؤكده مصادر التاريخ التي تصدّت لتاريخ للحركة الصوفية بالبلاد أن العديد من مكونات الحركة الصوفية انبنت علاقتها بالسلطات الحاكمة على احترام سياساته الموجهة للزوايا والفقهاء وأصحاب الشرف، وغيرهم

[1] عبد العزيز عموري، مرجع سابق، ص 60.

[2] عبد العزيز عموري، مرجع سابق، ص 61.

[3] عبد العزيز عموري، مرجع سابق، ص 62.

من أصحاب الحضارة في المجتمع ولم تبري لمعارضة قراراتها، أي أنها اختارت طريق المهادنة والسلم والمرونة في تعاملها مع الحاكمين، في حدود ضمان مصالحها المادية، وبما يكفل لها الحق في ممارسة طقوسها وشعائرها بدون قيود تذكر.[1]

[1] عبد العزيز عموري، مرجع سابق، ص 62.

الفصل الثالث

الزاوية التواتية والتداخل بين الديني والسياسي.

تمهيد:

حاولنا في هذا الفصل إيجاد العلاقة بين السلطة السياسية والسلطة الدينية ممثلة في الزاوية، وهل هناك تنافس بين السلطتين في الوسط الإجتماعي؟ أم هناك تكامل بما يخدم هدف كل منهما. فسياسات السلطة لا تحظى بالقبول والرضى المجتمعي غالباً لكن ما يبرر هذه السياسات هو استعانتها برأس المال الروحي للزاوية، حيث تدعمها بالمال والعقارات لتقوم هذه الأخير بتبرير سياساتها، وقد يتعدّى الأمر ذلك حين يحظى الخطاب الصوفي للزاوية بالإنصياع محلياً يتم إعادة إنتاجه وتسويقه من طرف السلطة لحل بعض النزاعات السياسية، والتي تستعصي على المقاربة الأمنية فتلجأ السلطة إلى الوساطة الروحية أو الدبلوماسية الروحية مستغلة ثقل وحضور الزاوية في العديد من التجمعات والقبائل الحدودية للبلاد.

I- السياق التاريخي لازداوجية الدور السياسوديني للزاوية:

لعبت مؤسسة الزاوية وعبر فترات تاريخية دوراً فعّالاً، فحاولت على المستوى الشعبي خلف توازن بين طبقات الفقراء والأغنياء وعلى المستوى الديني كانت المؤسسة دائماً تمثل الطبقات الشعبية الفقيرة خاصة التي كانت تفدُ الزاوية قاصدة التعلم وحفظ القرءان. وقد عملت المؤسسة جاهدة للحفاظ على الإسلام الصحيح، ولذلك عن طريق الفتاوى ومحاربتها للبدع والشعوذة كما عملت على إصلاح الأفراد من الانحراف عن الشرع.[1]

[1] بن لباد الغالي، الزوايا في الغرب الجزائري التيجانية والعلوية والقادرية، دراسة أنثروبولوجية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا، جامعة أبو بكر بلقايد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، السنة الجامعية 2008-2009، ص 197.

I-1 الزاوية والصوفية في عهد الموحدين:

وصف المؤرخون مرحلة حكم الموحدين للمغرب الإسلامي بعصر الاعتراف الرسمي بالصوفية لأن أخلاق الحلفاء الموحدين وصفاتهم كانت مشوبة بالزهد والتصوف.[1] فالخلفاء الموحدين تقربوا من الصوفية وأحسنوا إليهم وخصصوا لهم رواتب ضمن الشرائح الإجتماعية، التي لا تتولى أي حِرفة أو خطط إدارية وأقطعوا لهم الأراضي ليسترزقوا منها، لكن هذه الرواتب والهبات التي كان يحصل عليها الصوفية من الموحدين، كانوا ينفقونها على المعوزين وأبناء السبيل من المسلمين والمسلمات، وحتى الأراضي التي تحصّلوا عليها، كانوا يوزعون محاصيلها على الفقراء.[2] إن اهتمام الموحدين بالصوفية لم يخل من أغراض مذهبية، وأهداف سياسية، مُرادها كسب العامة، لأن الإحسان إلى الصوفية في منظور الموحدين هو إرضاء لشعور العامة وضمان ولائها.[3] فداخل مؤسسة الزاوية يجتمع فيها رأس المال المادي والروحي حتى تكتمل هيبتها لأن رأس المال الروحي يعتمد على الشرع وينصب نفسه حامياً له وبذلك يشرع طريقة التدريس وكيفية ضبط السلوك وتنشئة الأفراد مما يولّد سلوك الخضوع. ومن جهة أخرى يحقق له الحصانة والحماية عن طريق الفتوى، فالجانب الشرعي يمثّل للزاوية أو الطريقة حجر الزاوية أو المرتكز الأساسي الذي استثمرته الزاوية جيداً تمكنت من أن تتطور وتنال احترام السياسي، وتشكل مريداً تابعاً لها أو تابعاً لشيخ الزاوية وبالتالي تكون مؤسسة الزاوية قد شكلت سلطة تشريعية موازية لسلطة الدولة. ولأن الدولة لها ضوابطها ونفقاتها الواجب دفعها وإلتزاماتها اتجاه المواطنين وإنشغالها بالمشاكل الأساسية لبناء الدولة فإن سلطتها تتحول عند الحس المدني إلى سلطة تقريرية، وبالتالي توكل السلطة

[1] الظاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 06 م07 الهجريين 12و13 الميلاديين، (نشأته، تياراته، دوره الإجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص 198.

[2] نفس المرجع، ص 199.

[3] نفس المرجع، ص 200.

التنفيذية إلى الزاوية، وهنا تتقاسم السلطة بين الزاوية والنظام الحاكم.[1] إن هذا الإنفصال يكون لدى الطبقات الشعبية فقط لأنه إذا عدنا إلى السلطة التنفيذية فإن حلقة الاتصال بينها وبين الشرائح البشرية الفقيرة معدومة في حين نجد السلطة التنفيذية التي تمثلها الزاوية دائمة الاتصال مع هذه الطبقات، وتتلخص سلطتها الفعلية في تقديم:

- **المتنفس المادي:** عن طريق الإطعام وتطبيب المرضى وفك النزاعات والتعليم والتربية وإلى غير ذلك من الوظائف التي تقوم بها الزاوية.
- **المتنفس النفسي:** تعمل هذه السلطة عن طريق تخفيف التوتر النفسي، وذلك بتوفيرها أجواء احتفالية سنوية أو موسمية تمكن هؤلاء الفقراء من التعبير الحركي النفسي وإما توفّر الجو للتفريغ الروحي اليومي في كل حلقة ذكر إن هذه المنظومة الفعلية مكنت الزاوية من اكتساح الفضاء السياسي، والإنخراط فيه سواء عن طريق تقرّب الحاكم من السلطة الموازية أو عن طريق حمايتها لهؤلاء الفقراء.[2]

I-2 الزاوية والصوفية في عهد العثمانين:

بعد تولي العثمانين الحكم في الجزائر حاولوا إبعاد القوى الروحية عن الحياة السياسية، وإدارة شؤون البلاد لكن ونظراً للمقاومة الشديدة التي واجهوها من طرف بعض القوى المحلية، غيّروا سياستهم نحوها، ولم ينظروا إلى أقطابها خاصة إلى المرابطين وشيوخ الزوايا على أنهم مجرد رجال دين، تقتصر مهمتهم على نشر تعاليم الدين رغم إدراكهم منذ البداية أن هذه الفئة تحظى بثقة واحترام الأهالي الذين ينظرون إليهم على أنهم أولياء الله وحماة الدين، لهذا وبعد مقاومتهم الشديدة للسلطة العثمانية في البداية تعاملت معهم فيما بعد بحذر وشاركتهم السلطة، واعتمدت عليهم للسيطرة على المناطق التي لا تطالها سلطتها، خاصة بعدما أدركوا مكانتهم في الأوساط الشعبية، فأظهروا لهم الإحترام وصاروا يقدّمون لهم

[1] ين لباد الغالي، مرجع سابق، ص 201.

[2] بن لباد الغالي، مرجع سابق، ص 202.

أكبر الامتيازات المادية والمعنوية، وأصبحوا يقدّسون أضرحتهم بعد موتهم ولا يعاقبون كل من يفر إلى ضريح أي مرابط لوقار وقداسة المكان، لأن المرابطين كانوا خطراً على السلطة إذ هي تجاهلتهم.[1] وبما أن رجال الدين والعلماء كانوا يمثلون الرأي العام فقد شكّلوا طبقة اجتماعية لعبت دوراً معتبراً لذلك اعتمد عليهم العثمانيون بالجزائر وقاموا بحمايتهم ومجاملتهم، سواءٌ مادياً أو معنوياً، عن طريق منحهم المساعدات المالية والإمتيازات، منتهجين في ذلك سياسة التقارب والإغراء لجلبهم، بغرض كسب دعمهم من جهة، ومراقبة تحركاتهم من جهة أخرى، لذلك لم ينظر والشيوخ الزوايا ومقدّمي الطرق والمرابطين كرجال دين فقط، بل هم طرف فعّال في إحلال الاستقرار الداخلي، وكسب ولاء السكان وقد استغل العثمانيون نفوذ السلطة الروحية خاصة المرابطين ليمارسوا حكمهم على الأهالي فانتهجوا سياسة التعامل بالحسنى مع المرابطين، الذين تقبل الكثير منهم الأمر ورضوا أن يكونو أعواناً للبايلك ووسطاء بينهم وبين القبائل.[2] ولم يقتصر دور أقطاب السلطة الروحية على القيام ببعض المهام الداخلية التي أو كلتها لها السلطة الحاكمة، فأشهرهم وذوي النفوذ القوي أوكلت لهم مهمّات سياسية خارجية، حيث غالباً ما كانوا يرسلون كمبعوثين ومفاوضين سياسيين عند نشوب الحروب خاصة بين المغرب والجزائر.[3]

[1] رشيدة شدري معمّر، السلطة الروحية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية "1518-1830"، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 02، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، 2017-2018، ص 375.

[2] رشيدة شدري معمّر، مرجع سابق، ص 375.

[3] نفس المرجع، ص 426.

II- حاجة السياسي للزاوية ونفوذها الإجتماعي والديني:

II-1 الارتباط الوثيق للزاوية التواتية بمحيطها الإجتماعي:

لقد كان المتصوف هو لسان حال المظلومين وناطقهم المفوض، فقد انحاز المتصوفة إلى الفئات المهمشة، ودفعوا ثمن إنحيازهم هذا كثيراً وكانت مكانتهم سبباً في جلب الأعداء من قبل الفقهاء وأصحاب السلطة على حد سواء، وقد توطدت علاقة المتصوفة بالعامة إلى حد كبير، فاستطاع المتصوفة أن يكونوا بمثابة الوعاء الذي يضمّ أرواحاً غير نخبوية، وأدّى انفتاحهم وتفاعلم ونزعتهم الإنسانية إلى تسرّب التصوّف وتغلغله في النفوس على نطاق واسع، حتى شمل هذا التسرب طوائف كانت مهمّشة في المجتمع محتقرة على الأخص في الخطاب السياسي والثقافي، ويبدو أن فئات عريضة من العامة ممن كانوا يكابدون حياة إجتماعية لم تكن قط ميسورة، ألفوا في إقبال المتصوفة عليهم عزاء لهم، "فارتموا في أحضانهم، ورأوا فيهم أمل الخلاص مما يرزحون تحت كابوسه" فحاولت أغلب الحركات الصوفية السياسية استثمار ذلك وحاولت إكساب قاعدة عريضة موالية لها إلى حد الذوبان مع أفكارها.[1] فمن الحائز بل من المفترض أن يكون للمنشأ الإجتماعي والثقافة، الوسط العائلي –بما في ذلك الإنتماء العقائدي والمذهبي– تأثير على سير العلماء ومواقفهم وعلاقتهم بجهاز الدولة وبالفئة الحاكمة، ولكن مهما كانت عوامل الإئتلاف أو الإختلاف والإنقسام في صفوف العلماء، فإن صفتهم كفئة إجتماعية محدّدة تتأتى من موقعهم المخصوص ضمن النسق الإجتماعي الثقافي الإسلامي، أي كونهم يحتلون داخل هذا النسق الشامل موقع القيادة لعملية إعادة إنتاج وتجديد العقائد والممارسات الدينية وإنتاج أو تلبية الحاجة إلى تطبيق قواعد الشريعة وأحكامها على الأوضاع المتغيرة. وهم يحتلون هذا الموقع بموجب الكفاءة المعترف بها لهم إجتماعياً ومنها يستمدون مكانتهم كسلطة مأذونة.[2] فالشيخ

[1] إبراهيم جدلة، السياسي في البلاد الإسلامية، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط1، 2016، ص 282.

[2] عبد اللطيف الهرماسي، في الموروث الديني الإسلامي، قراءة سوسيو تاريخية، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2012، ص 233.

باعتباره شخصاً مهيباً وقوراً محترماً ومباركاً يبدو للمتنازعين أن اللجوء إلى تحكيمه هو الحل الوحيد المشرّف الذي يحفظ عليهم كرامتهم. كيف لا وهو عندهم يمثّل القانون الإلهي على الأرض؟. والخضوع لهذا القانون يمكّن المتخلّي عن الأخذ بالثأر من تجنّب العار الذي يتلبّس به، فالضحية يقبل قرار الشيخ احتراماً له باعتباره حكماً يمثّل العدالة الإلهية، فيخضع عن طواعية للضغط الذي يمارسه عليه، ومن هذا يمكن اللجوء إلى الشيخ من وضع حد للخسائر الإجتماعية المادية والبشرية المنجرّة عن التمسك بالثأر. إن هذا التحكيم إنما يطلب عند الشيخ لأنه رفيع المقام، عظيم المكانة يجمع كل الصفات التي تجعل منه حكماً مثالياً، فهو يملك القداسة وتمثلها الولاية، كما يملك الثروة والسلطة. ولكنه لا يستطيع أن ينهض بهذا الدور مالم يكن متماهياً مع الجماعة من جهة، ومتعالياً عن الترتب الإجتماعي من جهة أخرى، غير أنه لا يكن بمعزل عن السلطة السياسية في جميع الأحوال.[1] فمعظم الملوك والأمراء المسلمين يسرّهم أن يسبغ الصوفية عليهم الشرعية الدينية، ولكنهم قلّما يحتملون نقدهم مهما تحوّطوا في صوغه وابتغوا ليّن القول، لأنهم قد يؤوّلونه باعتباره قدحاً في شرعيتهم، ذلك أن شيوخ الصوفية من ذوي المكانة الشعبية يمثلون تهديداً جدّيا للسلطة، ولاسيما عندما يؤسس الشيخ طريقته في منطقة لا تخضع لمراقبة الحكومة المركزية مراقبة تامة. لقد ساعد الحكام غالباً على بناء الزوايا ونشرها في أرجاء ممالكهم لما كان لها من دور يخدم المحافظة على ملكهم ودعمه، لأنها كانت تساعد على الاستقرار الإجتماعي وتساهم في تحقيق الإنسجام الإداري للممالك.[2]

II- السلطة السياسية والسلطة الدينية: (الدمج الوظيفي)

يقول جمال حمدان "إن أغلب الفرق الدينية والشّيع والطوائف التي تكاثرت فجأة في صدر الإسلام وما بعده بدأت أصلاً... كتحزبات وتحيزات سياسية وكصراعات على السلطة

[1] نفس المرجع، ص 234.

[2] محمد بن الطيب، مرجع سابق، ص 173.

والحكم... وفي العصر الحديث ظل الدين أداة ميسورة للسياسة، تستغله القوة لتشريع وجودها غير الشرعي مرة، أو لتبرير مظالمها وابتزازها مرة أخرى، فمنذ البداية استغل الإستعمار الديني التركي الخلافة مطية وواجهة للشرعية وباسم الدين نجح في فرض استعماره الغاشم على المسلمين، وعلى أساس الدين ونظام الملة الذي إبتدعه لم ينجح إلا في أن يفاقم مشكلة الطائفية ويبلورها في العالم العربي".[1] فالمقدّس هو أحد الأبعاد المختلفة للنشاط السياسي، كما أن الدين "يمكن أن يكون أداة سلطة تحقق من خلالها شرعيتها واستقدارها، وتستخدمه في نزاعاتها السياسية مع خصومها، وتكرّس كل أنواع العبادات والطقوس بما في ذلك الخرافات في سبيل تثبيت شرعيتها وضمان استمرارية وجودها". تتأكد قدسية السلطة من خلال العلاقة التي تجمع الحاكم بالرّعية خوف ورهبة، خضوع وإجلال بلا مسوغ عقلاني في كثير الأحيان...، وتبرز الأبحاث الأنثروبولوجية طبيعة هذا التقديس ومكوناته، إذ يؤسس التقديس الفردي داخل العشيرة أو القبيلة لتقديس مماثل في الميدان السياسي، فزعيم العشيرة هو نقطة الوصل بين أفرادها ومجتمع الأجداد، ومن ثمّ بتداخل كل من المقدّس والسياسي، بحيث يبقى المضمون الديني للسلطة السياسية على الدوام حاضراً وثابتاً ظاهراً أو مغيباً.[2] تنال السلطة السياسية من السلطة الدينية التبرير والتأييد والبركة بفضل تحالف السلطتين، مقابل أن تنال الأخيرة الدعم والتكريس الرسمي، فتجمع ما بين السلطة الروحية والرعاية السلطانية، "وينتج عن ذلك كله ترسيخ سلطة الحاكم المطلقة في الشؤون الزمنية العامة، وترسّخ سلطة الدين [ومن ثم ممثليه] في الشؤون الروحية والأخلاقية والثقافية".[3]

---

[1] حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، بحث إستطلاعي إجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط6، 1998م، ص 242.

[2] محمد حلمي عبد الوهاب، ولاّة وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، الشبكة العربية للأبحاث، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص 277.

[3] نفس المرجع، ص 73.

إن تجلبب السياسية بغطاء الدين واتشاح السياسي برداء المقدّس لا يعدّ حالة طارئة أو ظاهرة دخيلة أو واقعة شاذة... بل من الأحرى القول أنّها قائمة منذ أن يبلور وعي الإنسان حيال مبررات وجوده وإشكاليات مصيره.[1] إن السياسة تميل بفطرتها إلى الإحتماء بالمقدّس عبر وساطة الدين، مثلما إن القداسة تنجذب –بواقع نزوعها إلى التجلّي– إلى السياسة من خلال ممارسات التدّين.[2] وهكذا نكون أمام حالة من التداخل الوظيفي والتمفصل البنيوي بين المظمار الديني وتجلياته القدسية من جهة، وبين الحقل السياسي وتمضهراته البراغماتية من جهة أخرى، بحيث يغدو من الصعوبة بمكان فصل بنية هذا عن ذاك.[3]

II–3 سلطة الزوايا والسلطة السياسية: (تداخل النفوذ والصلاحيات)

بحسب (عبد الله العروي) أن الزاوية لم يكن ممكناً لها أن تمارس مهامها، أو أن تفرض ذاتها في المجتمع لولا إرادة السلطان، فهو من يمنحها، بل ويفوّض لها جزءاً من مهماته وسلطاته.[4]

أولاً– أهل الزاوية وأهل الدولة (التضامن والتنافس):

إن ظهور المجال السياسي وفرض مقتضياته على حساب الدين ومقاصده لم يؤيد إلى الإنفصال بين المؤسسة الدينية ومؤسسات الدولة. ولهذه الواقعة أسباب:[5]

أ. إن الدين لم يؤسس مجتمعاً مسلماً وحسب بل أسس لهذا المجتمع دولة، وعليه فقد بقي الدين أساساً لشرعية هذه الدولة ومحدّداً ولو جزئياً لأهدافها.

---

[1] تامر عباس، تقديس الزعامة، دراسة في ظاهرة الكاريزما السياسية، منشورات الإختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2015، ص 230.

[2] نفس المرجع، ص 237.

[3] نفس المرجع، ص 238.

[4] نور الدين الزاهي، بركة السلطان، مرجع سابق، ص 85.

[5] عبد اللطيف الهرماسي، مرجع سابق، ص 254.

ب.إن المؤسسة الدينية لدى أهل السنّة والجماعة، الذين قبلوا بسلطة هذه الدولة اختيارا أو اضطراراً لم تتشكل كتنظيم ديني بيروقراطي على مستوى تسييره الداخلي ومستقل عن الدولة سواء على مستوى الوظائف التي يؤديها أو على مستوى توفير الموارد اللازمة لاشتغاله... فموارد المؤسسة الدينية بما فيها المتأتية من أهل الخير ومن الأوقاف، عند وجودها لم تكن كافية دائماً لحاجات تطور هذه المؤسسة، وفي مقدّمتها بناء المدارس والإنفاق على المدرّسين والطلاب، فهذا الوضع جعل الدين في حاجة لرعاية الدولة ووفر لأصحاب السلطان فرصة الغنم السياسي مما يجودون به على أهل العلم والتقوى.[1]

ثانياً- الزاوية والسياسة: (نزاع الصلاحيات وتداخل الحقول)

إن التطور الذي أفضى إلى الإقرار بوجود ممارسات أو نظم أو مايير سياسية مستقلة عن الشريعة وعن المعايير الدينية لم يؤد إلى التنظير لاستقلالية السياسي، عن الديني أو الدعوة إلى الفصل بينهما. ولم تعرف التجربة الإسلامية إشكالية الفصل بين الدين والدولة ولكنها عرفت في الواقع صياغاً مختلفة من الإعتراف باستقلالية نسبية للمجال السياسي عن المجال الديني.[2]

ثالثاً- الزاوية والدولة والجماعة: (الدمج الثقافي وحدوده)

لا يمكن لدراسة الموروث الإسلامي في مجال الإجتماع الديني والسياسي أن تقتصر على النظر في علاقة الدين بالدولة والمؤسسة الدينية بالهيئة السياسية، فالجماعة الفاعلين المذكورين، وذلك على صعيدين:

[1] عبد اللطيف الهرماسي، مرجع سابق، ص 255.

[2] نفس المرجع، ص 269.

أ- أن هذا المجتمع هو المستهدف من إستراتيجية القيادات والهيمنة التي تمارسها كل النخب الدينية والسياسية، وهو الذي يمثّل بمختلف مكوناته الإثنية والطبقية والدينية وفي كل دوائر حياته مجال التنافس بين الطرفين.[1]

ب- أن هذا المجتمع لم يكن مادة سلبية تصنع منها آليات الحكم الإستبدادي أو أساليب الرقابة الدينية ما تشاء ولا كان تاريخه صفحة عذراء يملأها رجال الدين، فالدين مثلما حقق نجاحات في صياغة الحياة الإجتماعية والثقافية للمجتمعات التي أصبحت إسلامية. كان عليه كذلك أن يتكيّف مع تلك الحياة وأن يدمجها في نسقه ومؤسساته، وكذلك الأمر بالنسبة للدولة، فهذه الأخيرة مهما بلغ من إستبدادها وخارجيتها كان بقاؤها كتعبير عن الهيمنة الشرعية وعن هوية بصدد التشكل مرتبطاً بقدرتها على التماهي مع الجماعة والتأقلم مع تركيبة الجماعات المحكومة والإستجابة لمطالبها التي لا تتعارض مع مصالح القوّامين عليها.[2]

بالنسبة للمؤسسة التعليمية الإسلامية فهي تضم كما هو معروف الكتاتيب المجعولة أساساً لحفظ القرءان وتعلّم مبادئ الكتابة واللغة، والمدارس التي ينشئها الحكّام أو أهل الخير، والمساجد التي كانت أوّل فضاء للتنشئة الدينية وتلقين المعارف، كذلك انتظم التصوف منذ ارتباطه بظاهرة الولاية ضمن طرق وجماعات صوفية وزوايا، وهي شبكات أدّت وظائف عدة كالتسامي الروحي والتكافل الإجتماعي والتوسط بين الجماعات المحلّية والسلطة المركزية وحل نزاعاتها.[3]

[1] عبد اللطيف الهرماسي، مرجع سابق، ص 271.

[2] نفس المرجع، ص 271.

[3] عبد اللطيف الهرماسي، مرجع سابق، ص 274.

II-4 الزاوية والسياسة: (نموذج الشيخ والمريد)

قد أقيم الوجود الوطيد لتنظيمات الزوايا ومنشآتها ومزاراتها باعتبارها مؤسسات تترجم عملياً طرق معرفة الله، ووسائلها الأدبية والمادية، وأصبحت مسطرة إنتاج المعرفة وبيداغوجيات نقلها، التي تعتمد الإلهام والعلاقة الحميمية بين المعلّم والمتعلّم هي البيداغوجية السائدة فمنذ القرن الخامس عشر، توطدت هذه المؤسسات، وحددت مقاييسها وأوصافها الخاصة والهامة للتسلسل والعمل وتنظيم الإنتاج المادي وإنتاج الحقيقة والسلطة. وسعت هذه المؤسسات إلى احتواء العلوم الإسلامية والشريعة وأطرت الحرف، كما تدخلّت في المعادلة الصعبة بين اللجوء إلى القوة والإرتكان إلى المفاوضة والإقناع في العلاقات بين المجموعات البشرية وبين المجتمع والمؤسسات السياسية.[1] في المجتمع المغربي كما في المجتمعات العربية الأخرى، ما زال الأطفال من الجنسين يتعلّمون بشكل مبكّر التمييز القاطع بين الرجال والنساء، وخضوع النساء لسلطة الرجال، ويرى الطفل الذّكر بالخصوص ذكورته تمجّد من أبيه وأمّه، وإذا كانت هذه الذكورة تتطلب منه موقفاً رجولياً، فإن علاقته بأبيه مزدوجة ومتأرجحة، على أن هذا الإزدواج لا يذكرُ وبالأحرى لا يعترف به. على الطفل الذكر أن يكون رجولياً غير أن عليه أن يتخلى عن جزء من رجولته في حضرة الأب[2] عليه أن يراعي سلسلة من مواقف الصمت والتحفظ والتواضع والخضوع التي تطبع عموماً السلوك الأنثوي، على الأقل في مستوى المثالية التي تُلح عليها فئات مهمّة في المجتمع. وعلى مستوى أوسع, وكما يظهر في خطابات الولاية والمشيخة بوجه عام، تشتغل خطاطة النقل من رجل إلى رجل مع قلب المريد في جل ممارسات التعلّم وأوضاع التصدر، وبذلك تشكل هذه الخطاطة رسوخ كل مظاهر السلطة هاته وقالبها.[3]

---

[1] عبد الله حمودي، الشيخ والمريد، مرجع سابق، ص 25.

[2] نفس المرجع، ص 243.

[3] نفس المرجع، ص 244.

III- أزمة الأزواد مع الحكومة المالية ومقاربات الجزائر حيال هذه الأزمة:

تتجاوز خصوصيات "الجوار الجزائري- المالي" وما يقتسمه البلدان من حدود (تمتد 1376 كلم) وتشكل (21.69 في المئة) من مجموع الحدود البرية الجزائرية، إلى ما يربطهما من تواصل إجتماعي أتاحه إقتسام جزء من شعبيهما المتمثل في قبائل الطوارق لأصول قبلية واحدة تستوطن حيزاً جغرافياً يشترك البلدان في تشكيل فضائه العابر للأوطان.[1]

III-1 خلفيات الصراع في مالي وبعض مسارات التعبير عنه:

عرفت مالي منذ إستقلالها جوّا من اللاّ توافق الوطني بين شمال البلاد وجنوبها، لقيام تشكيل دولتها الوطنية على مجموعة من القبائل التي لم تستطع بلوغ درجة تقديم الولاء الوطني على ولائها القبلي، وهو ما انعكس على الوضع السياسي والأمني للبلاد التي وجدت الجزائر نفسها ملزمة للإلتفات إليها والإهتمام بما يدور فيها، فكثيراً ما توسطت بين أطراف الصراع وتدخلت لفك خيوط الإنقسام بينهما، لكن تبعاً لآثار الأزمة الليبية وانعكاساتها على منطقة الساحل الإفريقي، انتهى الوضع في مالي إلى مآلات عمّقت الخلافات الموجودة، وانعكست مباشرة على السياسة الأمنية الجزائرية.[2] وتعود جذور نزاع التوارق في جمهورية مالي إلى:

أولاً: تهميش قبائل التوارق، فلا توجد لهم مكانة على المستوى الإداري ولا السياسي.

ثانياً: لجوء النظام السياسي لدولة مالي إلى سياسة القمع والتجويع.

ثالثاً: غياب برامج التنمية في مناطق الشمال.

---

[1] منصور لخضاري، السياسة الأمنية الجزائرية، المحددات، الميادين، التحديات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2015، ص 256.

[2] منصور لخضاري، مرجع سابق، ص 256.

رابعاً: العامل الاثني: ويتمثل في المعارضة الدائمة من قبل الطوارق الذين كانوا أسياد الصحراء للسود الذين كانو عبيداً خدماً لسادتهم التوارق، الذين أصبحوا يسيطرون على السلطات في البلدان التي يعتبر الطوارق مواطنين فيها.

خامساً: العامل السياسي: لا يعترف التوارق بوجود الحدود حيث يرون أنهم أسياد الصحراء يجوبونها منذ قرون عديدة، لكنهم واجهو في السنوات الأخيرة وضعيات جد صعبة بعد رسم الحدود التي قسمتهم على عدة بلدان وأصبح الأغلبية منهم لاجئين من حدود لأخرى وضحايا في نفس الوقت للجفاف والعديد من موجات القمع.[1]

سادساً: العامل الاقتصادي: المتمثل في النتائج المترتبة عن التأثيرات المناخية لسنوات الثمانينيات التي مسّت مسار حياة الطوارق في مالي والنيجر، حيث فقد الآلاف منهم مواشيهم، وأصبحوا بدون مورد مالي، وهو ما دفع بالآلاف منهم للجوء إلى الجنوب الجزائري خاصة تمنراست، وبعد أن عانت الجزائر من الأزمة النفطية وما تبعها من أزمة إقتصادية، أرجعت الآلاف نحو مالي والنيجر، ممّا أدّى بهم إلى الصدام مع الإثنيات الأخرى والسلطات السياسية. كما قامت دولة مالي بالإستيلاء على المساعدات الخارجية الموجهة للتوارق ومصاردة الثورة الحيوانية وانتزاع الأراضي من أصحابها.

سابعاً: العامل الثقافي: فقد قامت السلطات المالية كذلك بطمس ثقافتهم بفرض ثقافة أجنبية، الشيء الذي رفضه التوارق الذين ظلوا محافظين على هذه العادات والتقاليد قروناً عديدة، فمجمل هذه العوامل والأسباب كلّها تجتمع في عامل واحد وهو العزلة القاتلة والفقر في الصحراء.[2]

[1] إيدابير أحمد، التعددية الإثنية والأمن المجتمعي: دراسة حالة مالي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، تخصص الدراسات الأمنية والإستراتيجية، جامعة الجزائر 03، كلية العلوم السياسية والإعلام، السنة الجامعية 2011-2012، ص 124.

[2] إيدابير أحمد، مرجع سابق، ص 125.

ويقوم بحث الصراع في مالي إلى تناول مسألة الطوارق في المنطقة بتعقيداتها المتشابكة والمتعدّدة الأبعاد الإجتماعية والسياسية والإقتصادية، ذلك أن البناء الإجتماعي في مالي –على غرار غيرها من بلدان الساحل الإفريقي– يقوم على النسيج القبلي الذي كان للإستعمار فيه الأثر في تعزيز الشعور بالإغتراب الوطني، وتبعاً لذلك إجتمع حول الأوطان الحديثة العهد بالإستقلال عدد كبير من القبائل المتميز تاريخها بالإختلاف والمواجهة في ما بينها إبان سعيها إلى بسط النفوذ على أكثر الأقاليم الصحراوية مداً بالأوضاع الأكثر مواءمة للحياة والإستقرار من ماء وغذاء وكلأ، أنتج إعتماد الدول الإفريقية المستقلة مبدأ الحفاظ على حدودها الموروثة عن الاستعمار ظهور أوطان مبنية على توليفة القبائل، فتجدّد رهان تحقيقها للإنسجام الوطني، نتيجة ذلك بمدى قدرة الأنظمة الناشئة على تنمية الشعور بالولاء إلى الوطن وتقديمه على الشعور بالإنتماء إلى القبيلة وتعزيز الإحساس القومي قبل العشائري، وهو ما لم يتحقق بالشكل المرجو الذي من شأنه تأمين الأوطان الناشئة من أخطار الإنقسامات الإجتماعية قبل التفكك، خصوصاً في مالي والنيجر، حيث لم يخفِ الطوارق طموحهم إلى الإستقلال في وطن قومي لهم يجمعهم وإخوانهم في القبيلة من غير بلديهما من بلدان الصحراء الكبرى، وهو ما أدخل البلدين في دوامة من العنف رافقتها قلة الموارد المالية لدول الساحل الإفريقي، فأنتج أشكالاً من الأزمات التنموية والإقتصادية والسياسية التي كان لها التأثير المباشر في الوضع الإجتماعي، فلا تنظيمات التوارق حققت أهدافها، ولا سلطات "باماكو" و"نيامي" نجحت في السيطرة على مناطقها واسعة الأرجاء صعبة المسالك.[1] ولذا أصبحت تربط طرفي النزاع في مالي أي التوارق والحكومة علاقات الريبة المتبادلة، بحيث عايش التوارق التلاعب بمطالبهم التي يرون بأنها مشروعة وكذا تهميشهم وإقصائهم من اللعبة السياسية والفرص الإقتصادية، كما أن الحكومة المالية عادة ما تخرج في إطار التسوية السياسية إلى القمع بحجة ضرورة إستتباب الأوضاع واسترجاع

[1] منصور لخضاري، مرجع سابق، ص 257.

الأمن، وهو ما يحقق دوامة الضغائن المتبادلة، ويتهم النظام المالي بالإستهانة بمشاعر توارق الأزواد والاستمرار في سياسة التهميش، واعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية مقارنة ببقية الماليين، وراح يصف المتمردين من التوارق بالإرهاب وقُطاع الطرق، معتبراً أنّ ملفهم قد طوي وأغلق نهائياً. وتتغذى هذه الأحقاد بحسابات عدد الضحايا في كل إنتفاضة من الطرفين، مما جعل كل منها ينظر إلى التسوية السياسية بأنها تقويت لفرص الربح والسلطة والرقابة الذي يقوم به نظيره، ولعلّ هذا ما جعل النزاع يتجدّد في كل مرة، بحيث لم تعرف الأزمات التي كانت تظهر الإدارة السلمية، بل عادة ما تحولت إلى حرب داخلية مُدمّرة.[1]

III-2 ظهور الحركات الطوارقية المسلحة:

إن الأزمة فعلياً بدأت في جوان 1990 وكانت في الحقيقة عبارة عن تراكمات لمآسي عاشتها فئة الطوارق لسنين طويلة ساءت بها الأوضاع، هذه الأوضاع دفعت بها إلى المطالبة بتحسينها. حيث قامت الحركة الأزوادية بتشكيل مناضلين أكفّاء ذوي قوة عسكرية ووضعت أمامها تحديات كبيرة للمطالبة بحقوقهم الإجتماعية والإقتصادية والتي بدورها أخذت بعد ذلك منحنى سياسي بحتاً، حيث بدأ الشباب التارقي بالإتصال بالحركات الثورية المتواجدة بالخارج وذلك لتلقي تدريبات وخبرات. ومن هنا شهدت نهاية الثمانينيات وبداية التسعينات ظهور حركات طوارقية كثيرة مسلحة تعتبر نفسها تحررية وتصفها الحكومة المالية بالإنفصالية والتمردية من أهمها:

- الحركة الشعبية لتحرير أزواد.
- الجبهة العربية الإسلامية لتحرير أزواد.
- الجبهة الشعبية لتحرير أزواد.[2]

[1] مسيح الدين تسعديت، النزاع الممتد في مالي من كيدال 1963 إلى اتفاق واغادوغو 2013، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، العدد الأول، جوان 2014، ص 44.

[2] منصور لخضاري، مرجع سابق، ص 258.

- الجيش الثوري لتحرير أزواد.
- الحركات والجبهات الموحدّة للأزواد.
- حركة 23 ماي: التحالف الديمقراطي من أجل التغيير.
- المؤتمر الوطني لتحرير أزواد.
- الحركة الوطنية لتحرير أزواد.[1]

III-3 الوساطة الجزائرية في النزاع المالي مع الأزواد:

تقدّم الجزائر بخبرتها الدبلوماسية والسياسية عبر مسارها في إدارة النزاع في شمال مالي (إتفاقية تمنراست واتفاقية الجزائر)، فرصة لأطراف النزاع في هذا البلد لبعث مسار التسوية وفق الإتفاقيات التي تم التوصل إليها على المستوى الجهوي والمستوى الثنائي، خصوصاً وأن دور الوساطة جاء بطلب من الحكومة الشرعية في باماكو، وبرضا أغلبية الأطراف الممثلة لشمال مالي.[2] إن المقاربة الجزائرية لبناء السلم في الساحل الإفريقي ظلت مرتكزة أولاً على ضرورة تحقيق (السلم السّالب)، أي وفق العنف المباشر الذي تعرفه دول المنطقة جرّاء النزاعات الداخلية. كما هو الحال في مالي والنيجر، والوضع في ليبيا منذ 2011، ومتبنية ثانياً أسلوب الوساطة لتحقيق المصالحة بين الفرقاء.[3] كانت المقاربة الجزائرية لتسوية الأزمة المالية الراهنة تقوم على استراتيجية تهدف لإيجاد حل لأزمة شمال مالي، بعيداً عن الحل العسكري الذي تقترحه مجموعة (الإيكواس) بإيعاز من أطراف دولية معينة، وعلى رأسها فرنسا، وحسب الخبراء فإن الدبلوماسية الجزائرية تسعى إلى إيجاد حل سلمي، وأن أي تدخل أجنبي هو تهديد لأمن واستقرار الجزائر وأنه سيمثل تهديداً أمنياً مباشراً

[1] منصور لخضاري، مرجع سابق، ص 259.

[2] مصطفى صايح، الجزائر والأمن الإقليمي، التسوية الدبلوماسية لأزمة مالي وانعكاساتها المستقبلية على الأمن الإقليمي، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، العدد الثاني، ديسمبر 2014، ص 14.

[3] مسيح الدين تسعديت، المقاربة الجزائرية لبناء السلم في الساحل الإفريقي: الرهانات والتحديات، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، العدد الرابع، ديسمبر 2015، ص 11.

لها.[1] وتملك الجزائر المجاورة لمالي نفوذاً كبيراً في (أزواد) بفعل الجيرة والتداخل الإجتماعي، والإمتيازات والتسهيلات الكبيرة التي تمنحها (للأزواديين) الذين تقيم جاليات كبيرة منهم في مدن الجنوب الجزائري، وللجزائر وأجهزتها الإستخباراتية والدبلوماسية أياد طويلة في القوى الإجتماعية والتجارية والسياسية في (أزواد)، وهي علاقات أخطوبوطية عسيرة على الفهم العادي.[2] ولا تعتبر الأقلية الترقية المتواجدة في جنوب الجزائر تحدّياً أمنياً لها بحكم أن النوايا الانفصالية غير مطروحة لدى عقال (قادة القبائل) طوارق الجزائر، لكن تبقى هذه الأزمة من بين أقدم وأعقد التحديات الأمنية التي تواجهها الجزائر على الجبهة الساحلية.[3]

III-4 البعد الثقافي المحدد للسياسة الخارجية في النزاع المالي:

يربط الجزائر بجمهورية مالي والدول الساحلية عموماً عوامل لتاريخ والجغرافيا والقيم الحضارية المشتركة، وإتصالها بها يعود لعصور غابرة من الزمن تمتد لعهد المماليك البربرية، مروراً بالعهود الإسلامية لغاية الثورة التحريرية الجزائرية، وقد تميزت علاقة طوراق الجزائر بطوارق مالي بأنها علاقة إنتماء نتيجة الإتصال الراجع للجوار الجغرافي من جهة، والدين الإسلامي والمذهب المالكي الذي قوّى من جهته من روابط هذا الإتصال ثم النضال الذي جمعهم ضد الإستعمار الفرنسي. إن هذا التقارب في الدين واللغة وعامل الهوية الأمازيغية الذي يرجع إلى قرون سابقة، من أهم العوامل الأساسية التي تعتمدها الجزائر لضمان أمنها القومي. ويدين غالبية سكان مالي بالدين الإسلامي والمذهب المالكي، حيث بلغت نسبة المسلمين هناك حوالي (98%)ويعود هذا الإنتشار إلى الدور الذي قامت به

[1] الزهرة تيغزة، الوساطة الجزائرية في حل النزاعات في القارة الإفريقية، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، العدد السابع، جوان 2017، ص 24.

[2] عبد الله مامادو باه، وآخرون، مالي عودة الإستعمار القديم، مجموعة أبحاث منتدى العلاقات العربية والدولية، ط1، 2014، ص 101.

[3] علالي حكيمة، البعد الأمني في السياسة الخارجية، نموذج الجزائر، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، تخصص: الديمقراطية والحكم الراشد، جامعة منثوري، قسنطينة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2010-2011، ص 153.

الجزائر عبر العصور الماضية في نشر تعاليمه من خلال الطرق الدينية التي لقيت رواجاً كبيراً في بلاد السودان قديماً (مالي حالياً) منذ (القرن 15م) والتي إستطاعت أن تتكيف مع عادات الشعوب الإفريقية، وتخلق دور فعّال في المجالات السياسية والإقتصادية والإجتماعية.[1] وقد برز دورها من خلال المشايخ في تسوية النزاعات والخلافات الإجتماعية، كما زوّدتهم بقواعد حسن المعاملة النابغة من روح القرءان والسنة.[2]

III-5 الدبلوماسية الروحية والدينية:

إن جل الكتابات التاريخية والسوسيولوجية والأنثروبولوجية المتمحورة حول دراسة الظاهرة الدينية في إفريقيا الغربية تشير إلى هيمنة الديانة الإسلامية ذات الأغلبية السنية المالكية على ما سواها من ديانات.[3] ويعتبر العامل الديني والروحي إضافة إلى الذاكرة التاريخية المشتركة عناصر هامة في دبلوماسية القوة الناعمة للجزائر فهي وسائل لتقوية الحضور الجزائري بالقارة الإفريقية. وجدت الجزائر في الطرق الصوفية المنتشرة في إفريقيا مجالاً هاماً للحركة والتأثير الروحي وحتى السياسي، خاصة أن الطرق الصوفية منتشرة بقوة في شمال إفريقيا ومنطقة الساحل. إن تأسيس الاتحاد الوطني للزوايا في الجزائر سنة 2003 جاء لاستغلال الزوايا كوسيلة للتعبئة الجماهيرية على المستوى الوطني، وهو ما يفرض الإنتقال اليوم إلى نظرة أوسع ترى في الزاوية بوابة إفريقيا الأمر الذي يتطلب تعبئة جهود شيوخ الطرق والزوايا الصوفية لتنشيط الدبلوماسية الروحية في الفضاء الإفريقي.[4]

---

[1] ليلى قارة، مرجع سابق، ص 67.

[2] ليلى قارة، مرجع سابق، ص 68.

[3] عبد الله بوصوف، في البعد الإفريقي للإسلام المغربي، مجلة العلماء الأفارقة، السنة الأولى، شهر أكتوبر، 2019، العدد الأول، ص 94.

[4] فوزي نور الدين، إستراتيجية القوة الناعمة ودورها في تعزيز البعد الإفريقي للسياسة الخارجية الجزائرية، الملتقى الدولي السابع حول التوجهات الجديدة للدبلوماسية الجزائرية في إفريقيا يومي 15-16 نوفمبر 2023، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، كلية الحقوق والعلوم السياسية، ص 170.

كما يتعزز التأثير الروحي والديني للجزائر في ظل توافد عديد الطلاب الأفارقة على الزوايا الدينية في الجزائر لتعلّم اللغة العربية وعلوم الدين وحفظ القرءان الأمر الذي دفع الجزائر إلى بناء المزيد من المدارس القراءانية لاستقطاب الطلاب الأفارقة وإنشاء روابط لعلماء إفريقيا من جهة أخرى. وهو ما يساهم في إنتاج الفكر الوسطي المعتدل الذي سيكون أداة أساسية للقضاء على العنف والتطرّف المنتشر في أرجاء القارة الإفريقية.[1]

III-6 أهمية الدبلوماسية الروحية للجزائر إتجاه إفريقيا:

تربط الجزائر بإفريقيا روابط كثيرة تاريخية دينية أمنية سياسية ويعدُّ البُعد أو المحدد الحضاري مهم جداً يمكن توظيفه بشكل يسمح بتمتين العلاقات البينية أي بين الجزائر وإفريقيا لاسيما دول الجوار. ويعدُّ الأمن الديني جزءاً لا يتجزأ من الأمن العام للجزائر[2] تاريخياً يمثل البعد الديني نقطة إرتكاز مُهمّة في تحصين المنطقة من خلال مقاومة المستعمر الغربي، إذ ساهمت الطرق الصوفية كثيراً في مقاومة هذا المحتل من خلال تفعيلها لفريضة الجهاد، وتعدّ كلا من الطرق الصوفية والزوايا مرجعية دينية لها بصمتها على التاريخ المشترك بين الجزائر وعمقها الإفريقي ككل. ويمكن الإستثمار في عدة جوانب لخدمة الدبلوماسية الدينية للجزائر في إفريقيا وضمن هذا السياق يمكن ذكر الدور المحوري الذي تضطلع به الطرق الصوفية والتي تتمتع بامتداد جزائري إفريقي وتربط شعوب المنطقة ككل بصلات روحية وعقائدية متينة.[3] رغم كون الجزائر قامت من الناحية القانونية بهيكلة الزوايا مثلاً وفق قانون الجمعيات لسنة 1990 (قانون 06/90) وهذا بهدف تنظيم نشاطها وكذا تسهيل مراقبتها من قبل مصالح الدولة، لكن ترجمة الهيكلة القانونية إلى نشاط وحركة

[1] نفس المرجع، ص 171.

[2] صالح زياني، العلاقات الجزائرية الإفريقية من منظور قوة الدبلوماسية الناعمة وحتمية الإستثمار في الأبعاد الروحية، الملتقى الدولي السابع عشر حول التوجهات الجديدة للدبلوماسية الجزائرية في إفريقيا، يومي 15-16 نوفمبر 2023، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، كلية الحقوق والعلوم السياسية، ص 43.

[3] صالح زياني، مرجع سابق، ص 44.

ديناميكية لم يكن بالمستوى المطلوب.[1] وفيما عدا فترة حكم بوتفليقة الذي سمح للزوايا بالنشاط أكثر من خلال سياسة جديدة للدولة هدفت لرأب الصدع المذهبي داخل الزوايا وتقريب وجهات نظر بعضها البعض، فإن تفعيل دورها سيما خارجياً ظلّ متواضعاً، ولعلّ من أبرز الجهود التي عرفتها فترة حكم بوتفليقة فيما يتعلق بتفعيل دور الزوايا والطرق الصوفية داخلياً ثم إستحداث منصب مستشار لدى رئيس الجمهورية مكلّف بالزوايا.

لقد شهدت نفس الفترة إنفتاحاً إعلامياً على الطرق الصوفية وعلمائها، كما تمّ عقد العديد من الملتقيات.[2] إن الوظائف التي أدتها الزوايا والطرق الصوفية في الماضي لا ينبغي أن يحجب أهميتها في وقتنا الراهن بل وحتى مستقبلاً، فحضورها الآن أصبح ضرورة ملّحة إذ لطالما إستغلت الجماعات الدينية المتطرّفة الشباب الإفريقي لتحقيق أهدافها وعليه يجدر التركيز على هذه الفئة من خلال منحها التعليم والتدريب وغرس القيم الدينية الصحيحة عندها. ولتحقيق هذا المسعى يمكن للإسلام المعتدل بما فيه الإسلام الصوفي أن يساهم في ذلك، كما يمكن أن تستثمر الجزائر في العديد من الجوانب ضمن هذا الإطار مثل فتح معاهد ومدارس تستقطب طلبة من البلدان الإفريقية وهذا بهدف نشر قيم الديني الإسلامي السمحة على غرار ما تقوم به بعض البلدن الإسلامية والتي يعدّ بعضها رائداً في هذا المجال رغم بعدها الجغرافي عنّا لدرجة أن هناك من تلك البلدان من اقتراحت التفكير في إنشاء رابطة علماء إفريقيا استئناساً برابطة علماء المسلمن.[3]

[1] نفس المرجع، ص 45.

[2] نفس المرجع، ص 46.

[3] صالح زياني، مرجع سابق، ص 46.

الفصل الرابع

واقع النفوذ السياسي للزوايا التواتية في تسوية نزاع الأزواد شمال مالي

تمهيد:

نتاول في هذا الفصل الواقع العملي لواساطة الزوايا في النزاع السياسي الإقليمي بالحدود الجنزبية للجزائر، وهذا بعرض المبادرات التي طرحها شيوخ الزوايا وأهمهم شيخ الزاوية الإيداوعلية والشيخ مولاي التهامي، وكيف استطاعت المؤسسة الدينية جمع أطراف النزاع وفرض نفسها كوسيط روحي قوي بينهم بمباركة السلطة بالجزائر. إحتلت الزاوية التواتية مكانة في محيطها الإجتماعية نظراً للدور الكبير الذي لعبته في تعليم وتحفيظ القرءان الكريم وعلوم الحديث واللغة العربية ناهيك عن تصدّرها لفعل إصلاح ذات البين بين الخصوم ولم شمل الجماعات والنأي عن الفوارق القبلية والتعصبات الإثنية، بل كان لبعض شيوخ الزوايا في توات دور في فك التزاع بين ورثة بعض الزوايا، نظراً للمنافسة على المكانة الرمزية التي ورثوها عن مؤسسها الأول. وبالنظر للنجاحات المحققة للزاوية في توات روحياً وإجتماعياً، كان لها إمتداد هذا النجاح ليشمل مناطق شمال مالي لاسيما إقليم الأزواد، حيث أشرفت زوايا توات على تعليم أفراده وجعلت منهم مشايخ وطلبة علم، وهو ما مكّنها من صنع مكانة ونفوذ داخل هذا الإقليم جعلت صانع القرار السياسي في الجزائر إستغلال ذلك في الوساطة والدبلوماسية لحل قضايا نزاع الأزواد مع الحكومة المالية، ضمن مقاربة الدمج بين الديني والسياسي.

I- مجال اهتمام السلطة السياسية في الجزائر بالزوايا:

غالباً ما نجد في حاجة السياسي إلى الديني تظهر في تقرّب رجال السياسة من رجال الدين والمتصوفة وشيوخ الزوايا واستغلال مكانتهم الروحية والرمزية في تبرير أفعال رجال السياسة، حيث يكون المتصوفة بمثابة واسطة بينهم وبين عامة الناس. وبغية تحقيق هذه الغاية يقوم رجال السياسة بمنح الزوايا الهبات والعطايا والعقارات وكُلها أملاك تساعدها في تدبير شؤونها الداخلية ومتطلباتها المالية، وقد لا يقف الأمر عند هذا الحد، فقد يتبوّأ رجال

الدين بعض المناصب السياسية، ولو كانت رمزية تعطيهم قوة تمكنّهم من بسط نفوذهم على أتباعهم وعلى الطبقة الإجتماعية الواسعة التابعة لهم روحياً وعقائدياً.

I-1 الإتحاد الوطني للزوايا الجزائرية:

هو تنظيم ومؤسسة جزائرية أسس في 23 مارس 1989م، وكان يرأسه المرحوم (عمر محمود شعلال)، ولقد جاء هذا الإتحاد بهدف الحفاظ على المرجعية الصوفية في الجزائر ودورها في نبذ العصبية والتشدد خاصة من الأفكار الدينية الدخيلة والتكفيرية. فالإتحاد تكمن أهميته في حضانة عقول الشباب من غسيل الفكر السلفي، لاسيما وأنه جاء في سنة 1989 وما شهدته الجزائر من تحولات إقتصادية وسياسية، أدت إلى انفتاح البلاد على العديد من الأفكار مع مطلع التسعينات. فالسلطة الحاكمة أنذاك في الجزائر أدركت أن العودة إلى المرجعية الصوفية الدينية من شأنه أن يبعث دور الزوايا من جديد وسلطتها الروحية والرمزية للحفاظ على استقرار البلاد فكرياً وسياسياً، لاسيما وأن شيوخ الكثير من الزوايا كانت لهم مكانة كبيرة في قلوب محبيهم.

I-2 الجمعية الجزائرية للزوايا والثقافة الصوفية:

وهي جمعية أسسها مجموعة من شيوخ الزوايا في كل بقاع الوطن وللإشارة فقد تم تعيين الشيخ (مولاي التهامي غيتاوي) عضواً في أمانتها العامة (سنة 2001) وتهدف هذه الجمعية إلى إعادة الإعتبار للزوايا خصوصاً وسط سيطرت الفكر السلفي الذي يتهم الزوايا بأنها مكان للبدع والشرك وأن مزاراتها تحولت إلى رقص وضرب على الدف. ومن هنا دعت الجمعية إلى الوسطية والإعتدال الصوفي وعدم الغلو والتنطّع فيما يصنعه بعض أتباع الزوايا من فلكلور ورقص حول المزارات الخاصة بالزوايا. وكانت الجمعية تدعوا باستمرار إلى إصلاح ذات البين ونبذ العنف ولملمت شمل المجتمع الجزائري حول مرجعيته الصوفية الداعية للتداخل الإجتماعي والحفاظ على التراث الشعبي وتسخير كافة الوسائل للحفاظ على

التربية السليمة للشباب والإبتعاد بهم عن الأفكار الهدامة والتحريضية ضد المخالف في الفكر.

I-3 اللجنة الوطنية للزوايا والمشايخ والأعيان والعقلاء:

وتجمع بين مشايخ الزوايا الأعيان والعقلاء في الجزائر ودورها توعوي تربوي حيث يتمّ التنسيق بين أعضائها لعقد ندوات ودروس تربوية وتوعوية تدعوا للوسطية والإعتدال وعدم الإنجرار وراء الإشاعات والسياسية المغرضة. كما تحث اللجنة على التمسك بتقاليد المجتمع الجزائري وثقافته ومرجعيته الدينية المتمثلة في الزوايا والصوفية، إضافة إلى الحفاظ على السّلم الإجتماعي وحصانة المجتمع الجزائري من التفرقة، ودعوته الرجوع إلى هويته ومبادئه.

I-4 رابطة علماء الجزائر:

والتي ترأسها الشيخ (مولاي التهامي غيتاوي) (سنة 2014) وتضم علماء وشيوخ زوايا جزائريين وجاء دورها يجمع بين العلم والفتاوى الفقهية والحفاظ على التصوف الديني والتمسك بثقافة الزاوية وميزتها المعتدلة في القضايا الدينية والإجتماعية.

I-5 إستحداث منصب مستشار رئيس الجمهورية المكلّف بالزوايا:

وهذا يوضح اهتمام السلطة في الجزائر بشؤون الزوايا لاسيما في فترة الرئيس المرحوم (عبد العزيز بوتفليقة) الذي أستحدث هذا المنصب في فترة رئاسة. حيث ثم منح الزوايا العديد من العقارات والأملاك إضافة إلى توفير غلاف مالي خاص بها. وهذا بهدف تقويتها وزيادة نفوذها المادي إضافة إلى النفوذ الروحي والرمزي الذي كانت تتمتع به. وهو ما من شأنه أن يؤهلها للقيام بدورها الإجتماعي المسكن لغضب فئات الشعب وسخطهم على السلطة السياسية. إضافة إلى تهيئة الأجواء الشعبية في الحملات الإنتخابية الرئاسية، فكثيراً ما اعتمد الرئيس عبد العزيز بوتفليقة رحمه الله على دعم الزوايا خاصة في الجنوب. والشيخ

(مولاي التهامي غيتاوي) رحمه الله كان قد ترأس اللجنة الوطنية لمساندة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة في إرساء السلم والمصالحة الوطنية.

فكل هذه النماذج من الإتحادات واللجان المهتمة بالزوايا والثقافة الصوفية كانت تحضى بمباركة ودعم السلطة السياسية في الجزائر لإدراكها أن تهميش هذه المرجعيات يخلق فراغاً في الشأن الديني والفكري، لذا وجب تجديد هذه الهيئات باستمرار، ليلتفّ الشباب والمريدين حولها، بل حتى الطبقة المثقفة، لأنها مؤسسات دينية تهتم بالتدين الشعبي والثقافة والتقاليد الشعبية، بالموازاة مع التدين الفقهي الرسمي، وكثيراً ما يضع التدين الغير الرسمي متنفساً للمريد أو الشاب ويبعدُه عن العصبية الدينية والمد السلفي المتشدد المبالغ في التحريم والتكفير.

II- الواقع الإجتماعي لحضور الزاوية داخل وخارج إقليم توات:

إن المجتمع التواتي رغم تراتبيته إلاّ أن المدارس القرءانية والزوايا سواء الصوفية أو الطرقية عملت على جعله مجتمعاً متماسكاً وحريصاً على تعلّم كتاب الله وحفظه ومدارسته وقد تعدّى هذا الدور حدود توات ليشمل مناطق شمال مالي والأزواد.

II-1 هل نقول زاوية أم مدرسة قراءنية أم زاوية طرقية؟

نجد غالباً في توات الوسطى كثرة المدارس القرءانية لأن شيوخ هذه المدارس كانوا ينفقون من مالهم الخاص عليها، لكن بعد ما توسعت هذه المدارس وتدخل المحسنين في تمويلها، وأصبح لها أوقاف وأحباس انتقلت من مدرسة قرءانية إلى زاوية. إلا أن الكثير من مشايخ المدارس القرءانية يرفضون تسمية مدارسهم بالزوايا. فقد صرّح الشيخ الحاج البكري البكري.[1] «أن الشيخ محمد بن الكبير رحمه الله كان يرفض رفضاً قاطعاً أن تسمى مدرسته القرءانية بالزاوية لأنها لم تكن لديها أحباس أو أوقاف خاصة بها، بل كان الشيخ رحمه الله

[1] مقابلة أجريت مع الشيخ الحاج البكري البكري، الناطق الرسمي لزاوية الحاج أحمد ديدي بتمنطيط ولاية أدرار.

ينفق من ماله الخاص على طلبته وضيوفه والمحتاجين». وهذا ما يوضع أن أغلب المدارس القرءانية أصبح يطلق عليها زوايا بعد وفاة مشايخها أو بعد إنفتاحها على تبرعات المحسنين، ولعلّ تلميذ الشيخ محمد بن الكبير وهو الشيخ مولاي التهامي غيتاوي، نهج نهج شيخه فأسس «المدرسة القرءانية مالك بن أنس» لكن بعد وفاته أصبح يطلق عليها زاوية مولاي التهامي غيتاوي، وعلى مدرسة شيخه (زاوية الشيخ محمد بن الكبير). فالمدارس القرءانية كانت تسعى للإخلاص في دعوتها وتحفيظ الناس للقرءان الكريم واللغة العربية، فهي تركز على الجانب التعليمي والنأي بنفسها على الأمور السياسية أو أن يكون لها إرتباط بالسلطة. ويظهر ذلك في نظامها الصارم اتجاه التلاميذ والطلبة الوافدين عليها من ناحية التّدرج في التعليم القرءاني والفقه، إضافة إلى عدم خروج التلميذ من المدرسة إلا لضرورة. بل حتى التلاميذ مثلاً في زاوية الشيخ محمد بن الكبير كان الكثير منهم يحصل على الإجازة من شيخه في القرءان والفقه، لكنه لا يلتحق بمسابقة توظيف الأئمة التي تنظمها وزارة الشؤون الدينية بل يبقي داخل المدرسة يساعد شيخه في تعليم الطلبة والتلاميذ. أو ينتقل إلى مدينته ويقوم بافتتاح مدرسة قرءانية تبقى له صدقة جارية وهذا اقتداء بشيخه. أما الزوايا الصوفية فليست بالضرورة طرقية فزاوية الشيخ مولاي عبد الله الرقاني أو زاوية الحاج الحسان الأنصاري مثلاً هي زوايا صوفية لكنها ليست طرقية، بينما الزاوية الكنتية هي زاوية صوفية طرقية. وسواء كانت الزاوية صوفية أو طرقية لكن من حيث الدور الإجتماعي كلاهما كان له الأثر الإيجابي في المجتمع التواتي وامتدّ هذا الأثر ليشمل الأتباع والمحبين في شمال مالي. فالطرق الصوفية تمتاز زواياها بالإضافة إلى تحفيظ القرءان وعلوم الشريعة، الإلتزام بذكر بعض الأوراد التي يحدّدها شيخ الطريقة، وواجب على المريد حفظها وترديدها فرداً وجماعة، حتى يبلغ المريد درجة الشيخ، فيقوم شيخ الطريقة بتزويجه والإبقاء عليه داخل الزاوية يُعلّم المريدين الأوراد والأذكار الخاصة بالطريقة، ونظام الورْد يلتزم به جميع أتباع الطريقة حتى

ولو كانوا في إقليم خارج توات مثل شمال مالي. وفي مقابلة مع الحاج البكري البكري[1] صرّح قائلاً «أن الطرق الصوفية والزوايا وأتباعها هو نظام ديني لا يعترف بالحدود السياسية والجغرافية بين الدول والشعوب والقبليات فهو أوسع من الإنتماء الوطني لأنه يحتوي على رابط روحي بين الشيوخ والأتباع وهذا ما يفسّر نشر الطرق الصوفية الواسع للإسلام في إفريقيا»، ويتضح من خلال هذا الكلام أن التداخل القبلي والإجتماعي والعشائري بين مناطق الجنوب الجزائري والشماال المالي متقارب جداً إلى درجة أن هناك مصاهرة بين الجانبين. فبالنظر إلى هذه الجسور الإجتماعية تلغى الحدود السياسية والجغرافية كون العديد من قبائل الأزواد هم بدور رُحل يتنقلون في شمال مالي وصولاً إلى أهاليهم في الجنوب الجزائري. فهذه القبائل الأزاودية لها إمتداد روحي بالزوايا التواتية سواء كانت مدارس قرءانية أو زوايا أو زوايا طرقية، وهذا ما جعل أحد تلامذه الشيخ مولاي التهامي غيتاوي رحمه الله[2] يصرّح قائلاً: «أن هذه القبائل كانت تستفسر الشيخ في كل قضاياها الدينية. ففي مجال عقود الزواج فهي تعترف فقط بالعقد الذي يبرمه الشيخ مولاي التهامي غيتاوي، ولا يهمّهم العقد المدني القانوني، ويعودون بعد ذلك للشيخ للإستفسار حول مشاكلهم الزوجية بل حتى في قضايا الطلاق وانتهاء العلاقة الزوجية». ففي المتخيل الجمعي للأتباع أن الزاوية تدخل في جميع أمورهم الدينية والدنيوية لأنها تمثل المقدّس والمتنفّس في آن واحد.

II-2 الطريقة الكنتية وامتدادها الروحي للأزواد:

تتبع قبائل كنتة سواء في توات أو في إقليم الأزواد الطريقة الكنتية، ففي مقابلة مع الحاج بكري البكري[3] قال «أننا نجد جميع القبائل المترامية الأطراف في الجنوب الجزائري والشمال المالي لها طريقة صوفية غالبة عليها ولها علماء هذه الطريقة يمثلون مرجعيتها

[1] مقابلة رقم 02 أجريت مع الحاج البكري بكري، مرجع سابق.

[2] مقابلة أجريت مع الشيخ بن موسى تيه أحد تلامذه الشيخ مولاي التهامي غيتاوي.

[3] المقابلة رقم 03، أجريت مع الحاج البكري البكري، مرجع سابق.

الدينية» كما صرّح الأستاذ الدكتور «أحمد جعفري»[1] «أن الطرق الصوفية يحتكم إليها الأتباع سواء في شمال مالي أو في توات في حل النزاعات والخلافات التي يتعرضون إليها سواء كانت متعلقة بأمور الدين أو بأمور الدولة كالنزاع بين الطوارق والحكومة المالية». ويؤكد هذا ما قاله (الإعلامي والكاتب مصطفى بن دهينة)[2] «أن أغلب القبائل المتواجدة في إقليم أزواد تملك زوايا قرءانية على شاكلة قبيلة كنتة والتي تتفرع منها عدة قبائل موالية لها في كل المجالات وتخضع لسيطرتها وتوجيهها». فقبائل كنتة عملوا على توحيد أتباع طريقتهم على مرجعية دينية واحدة جعلتهم يعودون لمشايخ الطريقة في جميع شؤون حياتهم حتى السياسية منها، لأن علاقة الشيخ بمريده ليس شرطاً أن تكون بالنموذج الذي يطرحه (عبد الله حمودي) في كتابه (الشيخ والمريد) بل (القلب) الذي يشير إليه حمودي في أفعال المريد، يجعله في النهاية شيخاً، لكن ليس بالضرورة أن ذلك ينصرف إلى جميع المجالات السياسية والتنظيمية، بل يندرج ضمن حاجة السياسي للديني. فشيخ الطريقة الكنتية له العديد من الأتباع والمريدين داخل توات وخارجها، وهو ما يجعل منه مقدّس رمزي يستفيد منه السياسي في إستتباب الأوضاع الإجتماعية وحل النزاعات السياسية. فالسلطة السياسية لا تكتسب دائماً صفة الشيخ إنما تصبح شيخاً عندما يتهدّدها الخطر (الداخلي) (كالفكر الديني الدخيل) أو (الخارجي) (كنزاع الأزواد مع الحكومة المالية) وهنا يفرض عليها الوضع أن تصبح شيخاً وتقوم بدعم الزوايا والطرق الصوفية سياسياً ومادياً وتنظيمياً بغية الإستفادة من نفوذها الروحي على الأتباع والمريدين. فشيوخ الزوايا في توات مثلاً كانت تمنحهم السلطة إبان فترة المرحوم عبد العزيز بوتفليقة جوازات الحج كهبة لهم يوزعونها على محبي الزوايا وطرقها الصوفية. ويشير الأستاذ الدكتور «محمد الصالح حوتية» صاحب كتاب "توات

[1] مقابلة أجريت مع الأستاذ الدكتور أحمد جعفري، أستاذ وعميد كلية الآداب ومهتم بالتراث والتحقيق في المخطوطات، جامعة أحمد درايعية، أدرار.

[2] مقابلة أجريت مع الكاتب الصحفي، ومدير محطة بشار الجهوية للتلفزيون الجزائري (مصطفى بن دهينة) وهو صحفي مهتم بالتراث الثقافي لتوات.

والأزواد"[1] «أن منطقة الأزواد تميزت بالفوضى والحروب على المستوى السياسي، لكن بفضل السلطة الروحية للكنتيين في الأزواد أصبحوا هم صمّام الأمان لهذه الأقاليم». وهذا يدلّ على أن الطريقة الكنتية عملت على خفض التصعيد بين الأزواد والحكومة المالية وذلك عن طريق حث الناس للإبتعاد عن القبلية والإحتكام لتعاليم الدين الإسلامي. ولقد قامت بهذا الدور تاريخياً، حتى دون إيعاز من صاحب السلطة في الجزائر. وفي مقابلة أجريت مع «الشيخ بن هماده الميمون آل الشيخ الكنتي»[2] صرّح «أن صلات الرّحم ممتدة باستمرار بين قبائل كنتة في الأزواد وتوات إلى اليوم، بالإضافة إلى الصلات الروحية والعلمية» وفي ذلك إشارة إلى التقديس المستمر لأتباع الطريقة الكنتية لمشايخهم وطرقهم الصوفية.

فجميع هذه المقابلات توضّح أن الطرق الصوفية ولاسيما الطريقة الكنتية عملت في الحفاظ على ولاء الأتباع الروحي لها خاصة في منطقة شمال مالي، فإذا كانت الزوايا في الجزائر تعمل على إبعاد الشباب عن الأفكار الدينية الهدامة أو السلفية التكفيرية، فإن الزاوية الكنتية عملت على إبعاد أتباعها الأزواد على الفكر التكفيري والجماعات الجهادية التي أصبحت أكثر إنتشاراً في شمال مالي خاصة بعد التدخّل الفرنسي في الأزمة بين الحكومة المالية والأزواد، وتذرُّعه بمحاربة تنظيم القاعدة في شمال مالي.

III- جهود وساطة الزوايا بين توارق الأزواد والحكومة المالية:

إن السلطة السياسية تحتاج الزاوية وفي نفس الوقت تحتاج الزاوية إلى السلطة لحمايتها وتسخير أجهزتها لخدمة غايات الزاوية، والسلطة تحتاج إلى الخطاب الصوفي للزاوية وما تمتلكه من رأس مال روحي يعمل على توجيه الجماعات الموالية لها نحو مرشد رئاسي معين أو برنامج حكومي معين أو العمل على استتباب الأمن ونبذ الفرقة والانتفاضة

[1] مقابلة أجريت مع الأستاذ الدكتور «محمد الصالح حوتية» أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة أحمد درايعية، أدرار، ومدير مركز جامعة التكوين المتواصل – أدرار.

[2] مقابلة أجريت مع الشيخ (بن أهماده الميمون آل الشيخ الكنتي) وهو مدير مركز الشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي للبحث والتوثيق بقاو دولة مالي.

التي تنشأ في المجتمع. وقد لا تستعين السلطة بالزاوية من موقف ضعفها فقط، بل لزيادة الزخم الجماهيري المساند للسلطة ويقوم بخفض التكاليف عنها، لاسيما الأمنية.

III- الرابط الديني بين توات والأزواد وتأثيره السياسي في الوساطة:

لقد إستعانة الدبلوماسية الجزائرية بدور الزوايا في حل النزاع الإقليمي في شمال مالي حيث يقول الحاج البكري البكري[1] «أن الزوايا في توات الوسطى لها دور أساسي خلال مسارها التاريخي حيث أن العديد منها كان لها طلبة خارج البلاد وهو ما ساهم في ربط أواصر المحبة والثقة والتقارب وحسن الجوار وتوطيد العلاقة الروحية بين مالي والجزائر والسبب الرئيسي هو (الرابط الديني) فأغلبية ساكنة شمال مالي من أصول جزائرية وهم محل إسمنت سميك بين الدولتين الشقيقتين، ومع بروز الخلافات في شمال مالي وانتشار الحركات الجهادية ثمّ إحياء هذا الرابط ليكون سنداً للجانب السياسي والقانوني، وتعتبر الزاوية حجر الأساس في كل هذه العملية بغرض سد الخلل وتوطيد العلاقة بين الجماعات المتقاربة التي لا تفصلها الحدود والتأكيد على منهج الإعتدال والتسامح الذي جاءت به الرسالة السماوية». ويتضح من كلام الحاج البكري البكري أن إعادة إنتاج الخطاب الصوفي في الظروف السياسية الشائكة يساعد السلطة على فك النزاعات بالتسوية الودية الروحية والتي تتخذ من الزاوية رأسمالها الرمزي والروحي، خصوصاً وأن خطاب الزاوية يحظى بقداسة لدى مريديه وأتباعه حيث يعتبرون أن طاعة الله من طاعة الشيخ وهي مقاربة تشبه (الشيخ والمريد) عند عبد الله حمودي. وقد شهدت فترة الرئيس المرحوم (عبد العزيز بوتفليقة) إهتماماً كبيراً بالزاوية خاصة في ولاية أدرار، كيف لا وهو من حضر شخصياً لجنازة الشيخ سيدي محمد بن الكبير رحمه الله (في 15 سبتمبر 2000) وكانت له زيارة للعديد من الزوايا في توات، كما سخّر لها تنظيمات سياسية مركزية وولائية، وأقرّ لها ميزانية خاصة وأملاك. فهذا الإهتمام الكبير بالزوايا من طرف الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، مكنّها من القيام بدوها الإجتماعي والسياسي،

[1] مقابلة رقم 04، أجريت مع الحاج البكري البكري، مرجع سابق.

بل كثيراً ما لعبت هذه الزوايا دوراً حاسماً في فوز الرئيس بالعديد من العهدات الرئاسية ويقول مصطفى بن دهينة[1] معرجاً على سؤال حول إمكانية إستغلال السلطة الجزائرية للعلاقات الدينية في الوساطة بين التوارق وحكومة مالي «أظن أن التركيبة الإجتماعية لهذه الدول لها علاقة وطيدة بالمجتمع الجزائري خاصة مناطق الجنوب فدول مالي أو موريتانيا أو النيجر أو تشاد فليبيا كلّها لها أواصر عائلية عريقة مع الجزائر وهي تعبّر عن زخم ثقافي وصوفي واجتماعي بين الشعوب ولذلك يمكن للسلطة إستثمار وترقية هذه العلاقات للوصول في حل التوتر والنزاع المتزايد عبر المناطق الجغرافية الحدودية، ومن شأنها تدعيم الجهد الدبلوماسي للدولة الجزائرية». وبما أن مصطفى بن دهينة رجل إعلامي كانت له صولات وجولات عبر الجنوب الغربي الجزائري الكبير، أضاف قائلاً: «بضرورة إنشاء قناة إذاعية تتحدث جميع لهجات دول الساحل وهذا لزيارة التواصل اللغوي والإعلامي بين شعوبها وتقوم بتقريب المفاهيم خاصة في الوقت الذي تقوم فيه المملكة المغربية بالتشويش على الجهود الجزائرية في حل النزاع شمال مالي».ويتضح من خلال تصريح الإعلامي مصطفى بن دهينة أنه على السلطة إستغلال المستوى المجالي للزاوية وزيادة دعمها لتحديد هياكلها. **(فعلى المستوى المالي)** فإن دعم الزاوية يمكنّها من إستيعاب الزّوار والضيوف داخل وخارج الوطن خاصة في الزيارات الموسمية التي تقام عند تاريخ وفاة مؤسس الزاوية. كما أن القوة المادية للزاوية تزيد من نفوذها المجالي ويمكّنها من تغطية جميع نفقات طلبتها وزوّارها وعابري السبيل والمحتاجين. و**(على المستوى السياسي)** فدعم الزوايا يجعل منها سلطة رمزية لها رأسمال سياسوديني ويجعلها في مخيلة أتباعها أنها الملاذ الديني والدينوي. و**(على المستوى النفسي)** تصبح الزاوية متنفساً لأتباعها ومؤسسة ملهمة لهم يريحهم خطابها الصوفي ويجدد فيهم روح الإنتماء لها. فالمجال القرابي للزاويا العابر للحدود من شأنه أن يستفيد منه السياسي ويتجلبب بجلبابه بغية إكتمال عنصر الوساطة والدبلوماسية.

[1] مقابلة رقم 02، أجريت مع الإعلامي مصطفى بن دهينة، مرجع سابق.

IV- الشيخ المعروف ايداوعلي وجهود الوساطة في النزاع شمال مالي:

في مقابلة مع الشيخ المعروف أو الحاج معروف[1] «أكدّ أن أباه (سيدي إبراهيم) هو من أسس الزاوية (بقصر عباني) بدائرة فنوغيل جنوب مقر ولاية أدرار. وكان والده مشهود له بالكرمات والصلاح وكل ما يملكه جعله وقفاً لله. ويصرّح الحاج معروف أنه كان أمين مخزن الزاوية قرابة (19 سنة) وقبل أن يتوفى أبوه سيدي إبراهيم في رمضان أوصى بتنصيب إبنه (معروف) مكانه كشيخ للزاوية الايداوعلية، ويرى أن الزاوية الايداوعلية منفتحة على العديد من الزوايا مثل (زاوية سيدي لحبيب) (بقصر تسفاوت) وهو قصر مجاور لقصر (عباني) وشيخها حالياً هو (مولاي الحاج)، إضافة إلى (زاوية سيدي بومدين الغوط بتلمسان ندرومة)، وزاوية (مولاي سليمان بعين الحوت بتلمسان) حيث يوجد بها ضريح (مولاي سليمان) مؤسس القبيلة الايداوعلية. ويزور (الحاج معروف) (ضريح كل من سيدي بومدين الغوط ومولاي سليمان) كل سنة، وتقيم الزاوية الايداوعلية الزيارة السنوية ترحمّا على وفاة مؤسسها الشيخ سيدي إبراهيم في 24 أوت من كل سنة بندوات دينية ومحاضرات علمية يشارك فيها جامعيين وباحثين من داخل وخارج الوطن كموريتانيا مثلاً». وصرح أيضاً[2] "أنه يرأس ويقوم على الإشراف على عدة مجالس للعقلاء والصلح بولاية أدرار بالخصوص والجنوب الغربي والكبير بصفة عامة، وقد قام بعدة مبادرات للصلح في ولاية برج باجي مختار في نزاع التوارق مع البرابيش، وفي ولاية إليزي كذلك بالموازاة مع الأزمة الليبية، بالإضافة إلى دخوله الصلح في فتنة ولاية غرداية، والإحتجاجات الشبانية في ورقلة وتندوف، وغيرها من المبادرات التي دخل الصلح فيها مع مجلس العقلاء وكللت بالنجاح". ويستخلص من تصريح (الحاج معروف) أن مبادرات الصلح قبل أن تباشرها الزاوية الايداوعلية خارج الوطن كانت منخرطة فيها بقوة في الشأن الداخلي للبلاد بداية من مبادرات الصلح بين أبناء بعض شيوخ الزوايا في أدرار، وصولاً إلى جل ولايات الجنوب الكبير. وهو

[1] مقابلة أجريت مع الشيخ المعروف أيداوعلي شيخ زاوية سيدي إبراهيم وأحد أعيان ولاية أدرار والجنوب الكبير.

[2] مقابلة رقم 02، أجريت مع الحاج معروف، مرجع سابق.

ما يوضح المكانة الرمزية لهذه الزاوية وسلطتها الروحية على شريحة واسعة من الجماعات في الجنوب الجزائري الكبير، فكثير من الشباب في الجنوب قد لا يستجيبون للتعليمات الأمنية بالطرق القانونية أو من طرف المدراء المنتدبين للسلطة، لكن عند حضور شيوخ الزوايا وما لهم من ثقل روحي في مخيلة الشباب فإنهم يستجيبون للخطاب الصوفي في التهدئة واستتباب الأمن. فالمجال الولائي الواسع للزاوية يجعلها أكثر قرباً من النزاعات بين السلطة والمجتمع، مستغلة ثقلها الديني وإعادة إنتاجها للخطاب بما يخدم السلطة من جهة، وما يساهم في استتباب الأمن وفض النزاع والحث على ثقافة السلم والمصالحة الوطنية، وهي مبادرة أطلقها الرئيس المرحوم عبد العزيز بوتفليقة وتلقفها الخطاب الصوفي للزاوية، وأصبغ عليها الصفة الدينية والحجج الروحية وأصبحت أداة للإقناع السياسوديني. إن التفويض الذي منحته السلطة الجزائرية للزاوية في فض النزاعات داخل الوطن، وكلل بالنجاح، هو ما جعل نفس السلطة تعتمد على خطاب الزاوية في حل المشاكل الإقليمية خارج الوطن لاسيما نزاع مالي. لأن الزبونية تنتقل من الأسرة فالمجتمع ثم الدين وصولاً إلى السلطة، وعندما تصبح الزاوية زبون عند السياسة وتنجح زبونيتها حينها يصبح عنصر الزبونية متبادلاً بين السلطة والزاوية وكلاهما يحتاج الآخر لتقوية سلطته ونفوذه داخل الحيز المجالي الذي يعنيه. وفي مقابلة أخرى مع الحاج معروف[1] حول نزاع مالي صرّح قائلاً "أنه كان المهندس الثاني للصلح –بين التوارق وحكومة مالي– بعد الشيخ مولاي التهامي غيتاوي رحمه الله، وهذا في سبيل الجزائر والوطن وهذه وصية أبوه مؤسس الزاوية، (ويقول الحاج معروف) أنه عندما قام بجولة إلى القبائل في شمال مالي رأى أشياء لا تبشر بالخير وتساهم فيها دول لا تحب الخير للجزائر والشعب الجزائري". ويضيف قائلاً "طلبنا أن يتأسس مجلس إستشاري خيري يكون عون للأمن وعون للوالي ولجميع السلطات الولائية ويكون هذا المجلس عينهم وما يجري وما يخفا على السلطات يبلغون ذلك ويتصدّون لكل ما يأتي من هنا

[1] مقابلة رقم 03، أجريت مع الحاج معروف، مرجع سابق.

وهناك، ويقترحون حلول لكل معضلة في المجتمع بطريقة خفية وبدون تفجير مشكلة إجتماعية". ويضيف "أعطى السيد وزير الداخلية تعليمة للولاة وبعث برسالة رسمية من أجل تشكيل هذا المجلس لكي يتشكل وفيه علماء وشباب وشيوخ عقال وخبراء، فهو يتكون من كل الشرائح ولا دخل له في صلاحيات الوالي أو الولاية والبلدية، إنما هو مجلس إستشاري خيري تطوّعي". ويتضح من خلال تصريح الحاج معروف أن مؤسسة الزاوية لها خطاب متوارث يهدف إلى الحفاظ على وحدة البلاد واقتراح أفكار سلمية على السلطة السياسية تأخذها بعين الاعتبار قبل إنفجار الوضع الإجتماعي، لأن الزوايا قريبة جداً من المستضعفين وعامة الناس وهي بمثابة متنفس لهم. ولذا فهم يحيطون علماً بكل شيء يهدّد السلم الإجتماعي، ويبلغون به صاحب القرار ليتخذ ما يراه مناسباً للحفاظ على الوحدة داخل المجتمع وقطع الطريق على الأطراف الخارجية التي تحاول الإستثمار في المشاكل الاجتماعية لتفجيرها وخروجها عن السيطرة. فالزاوية بهذا المنحنى تعتبر (رمز مكثف) يحمل الديني والسياسي في آن واحد إذا ما قاربنا ذلك بمصطلح (كليفورد غيرتز) وهي في نفس الوقت تعتبر (جماعة ضاغطة) عند (جان ديفنو). فالثقافة الزاوياتية وتغلغلها في المخيال الشعبي والديني تصبح (رأسمال ديني وسياسي) تمارس عنفاً رمزياً على عقول الأفراد، وتعيد إنتاج خطابها رأس مالها الثقافي كلّما دعت الحاجة الإجتماعية والسياسية لذلك حسب (بياربورديو). ويضيف الحاج معروف[1] في مقابلة أخرى "نعلنها صراحة أن الأمور ملغمة ولابدّ من إعادة الاعتبار للتنمية في الجنوب الكبير وعلى الولاة أن يضعو يدهم في يد واحدة وعلى كل إنسان في البلاد أن يكون فطناً، البوليسي والجندي والشاب والمرأة هذا إذا أردنا السلام والأمن والأمان في بلادنا فنحن لا نريد أن نصبح مثل سوريا والعراق أو ليبيا، ولأن هناك دول تعمل على التحريض داخل الجزائر، فالرئيس فعل ما عليه (يقصد المرحوم عبد العزيز بوتفليقة) والوزير كذلك وإلى ما سمع بعضنا البعض وأسسنا مجلس خيري ينقل مشاغل

[1] مقابلة رقم 03، أجريت مع الحاج معروف، مرجع سابق.

الناس إذا رايحين ندخلوا في حيط ونولّوا نسوّلوا وين رانا رايحيين". ونلمس في تصريح الحاج معروف نوع من الخطاب الموجه للوسط الإجتماعي والسلطة صاحبة القرار في آن واحد، فالزاوية وعاء يضم السياسي والديني ويقرّب المسافة بين السلطة وعامة الناس ولا يمكن لهذا الدور أن يحصل على القوة والفعالية إلاّ بدعم النظام السياسي له وإعطاؤه الشرعية والإستثمار فيه خاصة إذا كانت البلاد يتهددها خطر خارجي، فيستعان بالسلطة الدينية لتوعية الأتباع وغير الأتباع بهذه الأخطار خصوصاً وأن هذه التوعية تحمل صبغة الخطاب الصوفي السلس والذي يفهمه النخبة وغير النخبة، ويزاوج بين الدين الرسمي والدين الشعبي.

V- الشيخ مولاي التهامي غيتاوي رحمه الله وجهود الوساطة في النزاع شمال مالي:

لقد توفي الشيخ مولاي التهامي غيتاوي سنة 2015، بعد أن سخّر جهده لخدمة البلاد والعباد. تجسدت في سعيه للصلح بين الفرقاء سواء كانت داخل توات وزواياها أو خارج توات في جميع ربوع الوطن أو ما يخصّ نزاع قبائل التوارق مع الحكومة المالية، لذا أجريت العديد من المقابلات مع نجله[1] وهو حالياً "شيخ زاوية الإمام مالك بن أنس" حيث صرّح قائلاً "أن القبائل الساكنة في الصحراء الكبرى وتيمياوين وبرج باجي مختار كانت دائماً اللبنة الأساسية للصلح وفض النزاع لقبائل التوارق وحكومة مالي، ومرجعيتها في ذلك هو (الكتاب والسنة) بالعودة إلى زاوية مولاي التهامي غيتاوي رحمه الله، والمنخرطة في الصلح بناء على أن كلمة الزاوية قوية لدى هذه القبائل التي ترى فيها المصدر الروحي والديني والشرعي، هذا بالإضافة أن الزاوية كان لها حضور قوي في فض النزاعات داخل إقليم توات". فالشيخ مولاي التهامي رحمه الله كان يخصص دائماً بعد صلاة العصر جلسة في زاويته إمّا للصلح بين متخاصمين أو الوعظ والإرشاد وإفشاء السلام والصلح بين الناس. أمّا بخصوص نزاع مالي فإن السبب الذي جعل الشيخ يطرح مبادرته للصلح هو دعوة قبائل شمال مالي له للنظر في مشكلتهم ودعواهم، لأن غالبية هذه القبائل لها عائلات في أرض

[1] مقابلة أجريت مع نجل مولاي مولاي التهامي غيتاوي.

الجزائر بتمياوين وبرج باجي مختار وتتخذ من الزاوية مرجعية دينية لها. وبعد دعوة الشيخ لحل النزاع حظيت هذه الدعوة كذلك باهتمام السلطة السياسية نظراً للتقارب الكبير بين القبيلة والزاوية، ونفوذ الزوايا في الوساطة له تأثير كبير على القبائل يفوق تأثير السلطة السياسية. كما كانت مباركة كبيرة للسلطة المالية لهذه المبادرة وهو ما جعل شيخ زاوية أوقديم رحمه الله وما يحمله من ثقل روحي وديني يتصدّر مشهد الوساطة. ويضيف نجل الشيخ في مقابلة أخرى[1] "أن قبيلتي البرابيش وملوكي هي قبائل موجودة في أدرار وبرج باجي المختار وتيمياوين فدعت الشيخ مولاي التهامي رحمه الله لمبادرة الصلح، لأن لها عائلات وأقارب في شمال مالي. وهو ما حضي بمباركة الوزير (دحو ولد قابلية) أنذاك" وكان شيخ الزاوية الايداوعلية[2] في مقابلة معه قال "أنه قال للشيخ مولاي التهامي أن الخير زين وعلينا التحرّك قبل إنفجار الوضع فأجابه الشيخ رحمه الله سنقوم بملتقى (وكان يقصد الصلح) فاقترح عليه الحاج معروف أن ذلك يجب أن يكون تحت رعاية رئيس الجمهورية وبمشاركة عقلاء خارج الوطن ويحتاج لدراسة عميقة مع الوزير دحو ولد قابلية". فقبل طرح مولاي التهامي رحمه الله لمبادرة الصلح كان هناك العديد من التحرّكات من قبائل التوارق ومن شيخ الزاوية الايداوعلية ومن أطراف في السلطة السياسية لإقناعه بالإنخراط في هذا المسعى، ومع قبول الشيخ بذلك بدأ السعي لتقوية هذا الأمر بمباركة أعلى سلطة في البلاد كي تنال الزاوية زخماً سياسياً يضاف إلى الثقل الروحي للتنفيذ والتصرف فتصبح المؤسسة الدينية مأذونة من المؤسسة السياسية للقيام بدورها الإجتماعي والإصلاحي. وفي مقابلة مع نجل مولاي التهامي[3] أكدّ لنا "أن أطراف النزاع إلتقت في مقر زاوية الشيخ مولاي التهامي رحمه الله (بأوقديم) أدرار في (09-10-11 جانفي 2013) وخلص اللقاء إلى تكملة المشاورات في مالي على أن ينتقل الشيخ بنفسه إلى هناك" وكان هذا اللقاء تحت الرعاية السامية لرئيس الجمهورية عبد العزيز

[1] مقابلة رقم 02، مع نجل الشيخ مولاي التهامي غيتاوي رحمه الله، مرجع سابق.

[2] مقابلة رقم 04، مع الحاج معروف، مرجع سابق.

[3] مقابلة رقم 03، أجريت مع نجل المرحوم الشيخ مولاي التهامي غيتاوي رحمه الله، مرجع سابق.

بوتفليقة رحمه الله وحضره العديد من الشخصيات السياسية والأمنية إضافة إلى القبائل المعنية بالنزاع. وفي مقابلة مع الشيخ بن موسى تيه[1] "أكد لنا أن الشيخ مولاي التهامي قرر عقد ملتقى حضرته وفود من ولاية إليزي، تمنراست، ورقلة، غرداية، أدرار. ومن الخارج (الأمين العام للحركات الأزوادية) و(ممثلين لحركات موالية لمالي). ودامت أشغال هذا الملتقى يومين في زاوية مولاي التهامي بأوقديم أدرار. وفي الأخير تمت صياغة البيان الختامي الذي تعهدّت فيه جميع الأطراف بنبذ العنف وتغليب الحوار من أجل الوصول إلى اتفاق نهائي، وكان من بين أهم نتائجه أن تبقى الجزائر الراعي للحوار بين الفرقاء الماليين، وكان هذا بمثابة الأرضية لملتقى آخر عقد بعد خمسة عشر يوماً (بفندق سيفيتال بالجزائر العاصمة) وضمّ جميع الأطراف المالية المتنازعة". وعن دوافع جهود الشيخ مولاي التهامي رحمه الله للصلح يخبرنا تلميذه (علي جعفري)[2] أن "الشيخ يعتبر مرجية القبائل التارقية في الإفتاء وإصلاح ذات البين، إضافة إلى علاقته المتينة بالرئيس بوتفليقة رحمه الله، حيث كان مبعوثاً شخصياً له في العديد من المناسبات، لأنه سبق له وأن ترأس اللجنة الوطنية لمساندة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة في إرساء السلم والمعالجة الوطنية". أما عن أسباب نقل الملتقى إلى الجزائر العاصمة فكان لدواعي أمنية لتأمين حياة المشاركين الفاعلين في هذه المبادرة التي صرّح لنا مهندسها الثاني وهو الحاج معروف[3] شيخ الزاوية الايداوعلية "أنه من أجل الحفاظ على حدود الجزائر الجنوبية لابد من مساعدة القبائل المتواجدة على هذه الحدود لجهاز الأمن والجيش الوطني الشعبي وتكون هناك جبهة موحدة، كما صرّح لنا أنه نصح القبائل التارقية في الجزائر أن يقوموا بدعوة نظرائهم وعائلاتهم في شمال مالي إلى التعقل

[1] مقابلة رقم 02، أجريت مع (بن موسى تيه) إمام وشيخ مدرسة قرءانية وأحد مهندسي مبادرة مولاي التهامي غيتاوي للصلح في مالي وهو من تلامذته، وله عدة مبادرات للصلح بين قبائل الطوارق الجزائرية والمالية.

[2] مقابلة أجريت مع (الشيخ علي جعفري) وهو شيخ المدرسة القرءانية بزاوية مولاي التهامي بأوقديم – أدرار.

[3] مقابلة رقم 05، أجريت مع الحاج معروف شيخ الزاوية الايداوعلية، مرجع سابق.

والإبتعاد عن الفتنة لأن الماليين مسلمون مثلهم ولا يجوز شرعاً أن يقاتل المسلم أخوه المسلم".

ويتضح جلياً من خلال مقابلة المبحوثين أن الزوايا وصلحائها لا يدخلون في الصلح مع القبائل بمعزل عن السلطة السياسية، فقد تكون هناك نزاعات محلية تتولى الزوايا حلها بناء على طلب أطراف النزاع لكن ليس دائماً يكون هذا نهجها، بل قد تلتقي جهود السلطة الدينية مع السلطة السياسية. ولذا فالرمز الثقافي الذي تحمله الزوايا يزاوج بين التدين الرسمي الفقهي والتدين الشعبي وماله علاقة بالزيارة الموسمية للأولياء وما يتبعها من طقوس وفلكلور وقراءة القرءان جماعة وصولاً إلى الفاتحة والدعاء جماعة. إن نجاح الزاوية في محيطها الإجتماعي ثقافياً وإجتماعياً ودينياً جعل من المؤسسة السياسية الاعتماد عليها والإستنجاد بسلطتها الروحية التي تتعدى مجالها الإجتماعي. وبالطبع لا نتحدث عن التنافس بين المؤسسة السياسية والمؤسسة الدينية أو توسيع نفوذ كلا منها، بقدر التركيز عن تظافر الجهود بين المؤسستين نحو غاية وهدف محدّد. وبالرغم من الدعم السياسي للزاوية ونشاطها لاسيما في عهد الرئيس المرحوم عبد العزيز بوتفليقة، إلاّ أن الحركات السلفية أو من يتبنون الفكر السلفي المعادي للزوايا ونهجها، ويعتبرها مركزاً للبدع والضلال، قد أثر كثيراً في إبتعاد الشباب الأدراري أو التواتي عن الزاوية، بل حتى في ذروة سلطة الزوايا في عهد بوتفليقة رحمه الله، كانت هناك معارضة شبانية في وسط مدينة أدرار لسيطرة الزوايا على الجانب السياسي وأصبحوا ينظمون تظاهرات تنادي بابتعاد الزاوية عن السياسة، لأنهم يرون أن الزاوية لم تخدم سوى مصالحها ومصالح أتباعها، وقامت بتهميشهم في الوظائف والشركات البترولية، ولم تتحدث عن إنشغالاتهم ولم تستغل نفوذها السياسي في سبل ذلك، إلى درجة أن العديد من هؤلاء الشباب في حديثه عن الزوايا ينعت مشايخها (بشيوخ الدنيا) نظراً لما حظيت به من امتيازات سياسية ومادية من طرف السلطة الحاكمة. لذا كانت تختلف رؤية السياسي عن رؤية الشباب ساكنة وسط مدينة أدرار، لأن السياسي كان يرى في أدرار أو

الجنوب الكبير عبارة عن زاوية كبيرة تتحرك وفق نهجه سواء في الوساطة لحل النزاع أو في مباركة عبد العزيز بوتفليقة رحمه الله في الحملات الانتخابية، بل هناك من وصف الزوايا بأنها استخبارات الدولة في الجنوب الكبير، بل أن عملها قد يفوق بكثير العمل الإستخباري. وفي فترة الحراك الشعبي مثلاً وما شهدته البلاد في 2019 كانت ترفع شعارات كثيرة في مدينة أدرار بضرورة إبتعاد الزاوية عن الشأن السياسي وتعيين أو إنهاء مهام (ولاة) مدينة أدرار ومدرائها التنفيذيين، إضافة إلى أن فترة (أزمة كورونا) توقفت العديد من الزيارات الموسمية في القصور والزوايا، وتوقفت معها العديد من الطقوس المصاحبة لها والمعذية للمتخيل الجمعي والتمثلات الشعبية، وهو ما كان له إنعكاس سلبي على نفوذ الزوايا في الجنوب الكبير، ولم تعد تحضى إلى –يومنا هذا– على أقل تقدير بذلك الزخم التي كانت تحضى به من قبل، ولعلّ المستوى السياسي لم يعد يراهن كثيراً على المقاربة الدينية الروحية في حل النزاعات، بقدر مراهنته على المقاربة الأمنية في ظل المتغيرات الإقليمية والدولية. وصار النفوذ في المجتمع الأدراري تتقاسمه الزاوية مع المؤسسات العمومية للدولة والشركات البترولية وما شهدته مدينة أدرار من التمدّن شهد جميع المجالات الحضرية والثقافية مما أدّى إلى إنحسار دور الزاوية الثقافي والروحي.

لكن رغم وفاة العديد من شيوخ الزوايا وعلى رأسهم الشيخ محمد بن الكبير رحمه الله، إلاّ أن العديد منها واصل نهجه في تعليم القرءان الكريم وتحفيظه، وعاد إلى الدور الأساسي لهذه المؤسسة الدينية التي رغم كل ما تحدثنا عنه إلا أن أتباعها لا زالوا على العهد الروحي معها، ولا زالت السلطة الرمزية والروحية للزاوية لهامكانة في قلوب محبيها ورجال الخير ممن يعظّمون كتاب الله ومراكز تحفيظه والعناية به.

الاستنتاج العام:

إن الزاوية كمؤسسة دينية ذات طابع ديني سواء كان تأسيسها من خلال شيخها أو جماعة من المحسنين أو حتى من دعم السلطة لها، تتطلّع إلى وظيفتها الدينية كتحفيظ القرءان الكريم وتلقين علومه، حيث لها نظام خاص بالتلميذ أو المريد يخضع له في كل تدرجه في مراتب العلم داخل الزاوية. وغالباً ما تتكون الزوايا من مصلى ومدرسة قرءانية ومكان لاستقبال الضيوف وعابري السبيل، وهذا الشكل ينسحب تقريباً على جميع زوايا المغرب العربي، كما يجاور الزاوية عمرانياً ضريح وليها المؤسس. يتمّ التبرك به وإقامة الزيارة السنوية ترحّما عليه، كما يكون مزاراً للذاهبين أو القادمين من فريضة الحج، إضافة إلى المسافرين أو الأزواج بمناسبة عقد قران زواجهم، فيمثل هذا الضريح رمزاً وإشعاعاً يجمع بين الروحي والثقافي بل حتى التجاري. فالزاوية بخطابها الصوفي تجمع حولها الأتباع والمريدين وتجعل من مؤسستها مرجعية دينية لكل محيطها الإجتماعي بل وخارج هذا المحيط. فبالإضافة إلى الدور الديني، لها دور إجتماعي يتمثل في إصلاح ذات البين وجمع الفرقاء، وإيواء المحتاجين وتزويج التلاميذ والمريدين المعسرين. وبنجاح مؤسسة الزاوية في هذا الأمر جعل خطابها يتعدّى الجانب الديني الروحي إلى السياسي، ويظهر ذلك من خلال دعم السلطة لنشاطات الزاوية سياسياً ومادياً وخلق مناصب ووزارات وتنسيقيات مهتمة بالزوايا، والعمل على تكريس الفكر والخطاب الصوفي وذلك بهدف:

- خلق متنفس للجماهير الساخطة على سياسات السلطة حيث تعتبر الزوايا وأضرحتها ملاذاً لها ترتاح وتسكن تحت عباءة هذه المؤسسة الدينية.
- عزوف الشباب عن الفكر المتشدد أو السلفي الجهادي وتشجيعه للإلتفاف وراء الخطاب التصالحي والذي من مقاصده إفشاء السلام وإصلاح ذات البين، ولاشك أن الفكر الصوفي يحث على هذا الأمر ويدعوا إلى الزهد في ملذات الدنيا والتركيز على تزكية النفس.

- إعطاء الزاوية مجالات أوسع من شأنه إستغلال قاعدتها الجماهيرية في التحضير للإنتجابات وتزكية مرشح دون آخر، هذا إضافة إلى الإعتماد عليها في حل النزاعات سواء داخل البلاد أو خارجها.

لقد لعبت الزاوية في إقليم توات دوراً أساسياً تعليمياً وثقافياً وكان لها الفضل في حل الكثير من الخلافات داخل إقليم توات أو ولايات الوطن، بل تعدى ذلك إلى وساطتها لحل نزاع التوارق مع الحكومة المالية، مستغلة بذلك نفوذها الروحي على القبائل التارقية الأزوادية المتواجدة في جنوب الجزائر والتي لها قرابة مع نظريتها في شمال مالي. إن نجاح الزاوية التواتية سياسياً جعلت من السياسي يتجلبب بجلبابها الديني مما دفع البعض إلى القول أن الجزائر في وقت (عبد العزيز بوتفليقة) رحمه الله أصبحت زاوية كبيرة، فهي ليست بذلك الحجم الذي طرحه (عبد الله حمودي) لكن بحجم السخط الكبير المنبعث من معارضي الزوايا سواء دينياً كالفكر السلفي أو شباب مدينة أدرار حيث أصبحت الزاوية بالنسبة لهم لا يهمها إلا مصالحها السياسية ولا تدافع عن مطالبهم بالشغل والتوظيف في الشركات البترولية. ورغم ما حظيت به الزاوية من دعم سياسي في مرحلة المرحوم عبد العزيز بوتفليقة، إلا أنها في الأونة الأخيرة قل نفوذها وتأثيرها نتيجة (وباء كورونا) والذي إنقطعت فيه الولائم والزيارات الموسمية واستمر هذا الإنقطاع حتى بعد زوال هذا الوباء، ولم تعد السلطة السياسية تعوّل كثيراً على دور الزوايا نتيجة وفاة العديد من المشايخ والوجهاء والعقلاء من جهة وتغير المقاربات الإقليمية والدولية. إن عودة الزاوية لدورها الديني هو منهج إتبعته العديد من الزوايا كزاوية الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وزاوية الحاج الحسان الأنصاري، وابتعاد الزاوية عن الجانب السياسي أبقى على محبيها الفعليين الذين أبقوا على ولائهم لها، ودعمها مالياً في سبيل تحفيظ كتاب الله والثبات على المنهج الصوفي. فمرجعية الزاوية الصوفية تمثل مناعة للشباب من الفكر المتشدد ومن الآفات الإجتماعية، لاسيما وأن

التمدّن بكل ما يحمله من إيجابيات له سلبيات لا يمكنه تداركها إلا بالتزكية النفسية الصوفية التي تمثل الزاوية منبعاً لها.

خـــاتمة

خاتمة:

في نهاية هذا البحث يتضح لنا أن الزاوية كمؤسسة دينية لها جذور تاريخية في الوسط المغاربي ولها إمتداد في العديد من دول إفريقيا، فهي بناء ذو تصميم هندسي يحتوي غالباً على مصلّى ومدرسة قرءانية، وبالإضافة إلى قاعدة لاستقبال الضيوف ومرافق لإيواء طلبة العلم، أما الضريح فيجاور في الغالب مقر الزاوية ويضّم قبر مؤسسها أو شيخها الأول، وتختلف الزوايا في توات حسب وظيفتها فمنها ما يهتم بإيواء المحتاجين والضيوف وعابري السبيل ومنها ما يهتم بالعلم وإيواء التلاميذ وتعليمهم أمور دينهم. كما تختلف حسب الجانب الروحي فمنها ما هي زوايا صوفية لا تتبع طريقة معينة ومنها من له طريقة ما سواء تيجانية أو موساوية أو غيرها. وإن كان معظمهم شيوخ وفقهاء توات وعلى رأسهم –الشيخ محمد بن الكبير رحمه الله– يسنكرون أن يطلق على مدارسهم القرءانية إسم الزاوية فيفضلون أن تبقى مدارسهم مهتمة بالعلم فحسب ولا تقوم بغير ذلك من الوظائف التي تسند للزاوية، وهذا بالرغم من أن المدارس القرءانية التواتية تقوم هي الأخرى بإيواء المحتاج وإستقبال الضيف والحجاج وغيرهم. فالزاوية مقدسة في توات فهي من يشرف على إقامة الوعدة أو الزيارة السنوية لمؤسسها، وذلك بإطعام الطعام وإقامة ندوات للتعريف بمكارم الشيخ المؤسس لها وقراءة القرءان كاملاً على روحه وصولاً إلى الفاتحة النهائية التي يدعوا فيها خلفية الشيخ المؤسس، وينال الحضور بركة هذا الدعاء. إضافة إلى ذلك إقامة مرافق للطلبة والتلاميذ الداخليين والذين يقيمون الموسم كله داخل الزاوية حفضاً للقرءان وعلوم الدين ويأخذون عطلة صيف كل موسم تاركين المجال للتلاميذ الخارجيين الذين يلتحقون بالزاوية في فضل الصيف فقط. ولقد تخرّج من الزوايا التواتية العديد من الأئمة والمشايخ ينتشرون في كل بقاع الوطن. فالزاوية كما هي مرجعية دينية، هي كذلك مرجعية إجتماعية تقوم بنشر ثقافة التسامح والصلح بين الناس وإصلاح ذات البين، وكثيراً ما تدخّل شيوخ زوايا في توات في حل النزاع الذي ينشأ في قصر من القصور أو زاوية من الزوايا.ولها وظيفة ثقافية تتمثل في الحفاظ

على الهوية الوطنية والشخصية الجزائرية وتغذي ثقافة الإنتماء للوطن الجزائر. ولاشك أن الزاوية التواتية وصل إشعاعها الروحي والديني إلى حدود الجزائر الجنوبية وإلى مالي والنيجر وموريتانيا، وجهود الإمام عبد الكريم المغيلي، إضافة إلى الشيخ الكنتي، شاهدة على ذلك. ولقد ساعد هذا الإمتداد الديني، القوافل التجارية التي كانت تعتبر توات منطقة عبور، وساهمت في تنقل العلماء من توات إلى إفريقيا وتنقل الطلبة من إفريقيا إلى توات. وأنشأ شيوخ الزوايا في توات العديد من المدارس القرءانية بغرب إفريقيا.

وبكل هذه الجهود أصبحت الزوايا مرجعية للطبقة العامة في المجتمع وللنخبة المثقفة على حد سواء، فكثير من رؤساء وسياسيو دول غرب إفريقيا لهم إمتداد ديني متمثل في طريقة صوفية معينة، وكما أن العديد من قبائل التوارق في جنوب الجزائر وشمال مالي لها ولاء روحي للعديد من الزوايا في توات وهو ما جعل هذه الأخيرة تتطلع للقيام بدور سياسي دعته مكانتها الرمزية الدينية من جهة، والتحولات التي شهدتها الجزائر من جهة أخرى، فصانع القرار السياسي في الجزائر استثمر في الخطاب الصوفي للزاوية وعمل على إعادة إنتاج رأسمالها الثقافي والمالي، بل قام بدعمها مالياً وسياسياً وأنشأ لها مراكز قانونية، جعل الزاوية في وضع جيد أمام أتباعها فهي متنفسهم الروحي من جهة، ومتنفسهم المالي من جهة أخرى نتيجة الأوقاف والأحباس التابعة لها وما تدره عليها السلطة من أراضي وأموال من جهة أخرى. بل أصبحت الزوايا إبان حكم المرحوم عبد العزيز بوتفليقة تقوم بتقسيم جوازات السفر الخاصة بفريضة الحج على أتباعها ومحبيها والمحسنون إليها، وهذا نتيجة أن الرئيس شخصياً كان يخصص عدد من الجوازات الخاصة بالحج لشيوخ الزوايا والأعيان. وبالمقابل كانت العديد من الزوايا تسانده في كل إنتخابات لعهدة رئاسية قادمة.

ونتيجة نجاح الزوايا في فك النزاعات والخصومات في توات وخارجها شمال مالي، فإن السلطة السياسية في الجزائر إستعانة بها في الدبلوماسية الروحية لحل النزاع السياسي شمال مالي بين توارق الأزواد من جهة والحكومة المالية من جهة أخرى، وهو ما تمّ التعرّف

عليه من خلال العديد من المقابلات مع الفاعلين كشيخ (الزاوية الإيداوعلية الحاج معروف) أو (نجل مولاي التهامي رحمه الله، مولاي المهدي) أو (الشيخ موسى تيه، تلميذ الشيخ مولاي التهامي رحمه الله) وهذا ما يوضح التكامل بين السلطة الدينية والسلطة السياسية وتحقيق كل منهما لغاياته وأهدافه ببسط نفوذه داخل المجتمع وحدود هذا النفوذ. وهو نموذج يشبه (الشيخ والمريد) عند عبد الله حمودي، لكن المريد في هذه الدراسة هو مكّمل لشيخه وليس له وظيفة كوظيفة الأنثى، لأن السلطة السياسية كانت ترى أن ولاية أدرار هي عبارة عن زاوية كبيرة، وما المؤسسات والمديريات التنفيذية إلا أمور تنظيمية تحتكم بالنهاية إلى سلطة الزاوية. ضف إلى ذلك فاعلية الأحزاب والمجتمع المدني وممثلي الجماعات المحلية. كان لا يمكن أن يترشح أحد منهم دون أن تباركه الزاوية حتى وصل ببعض المخبرين أن قال: أن حتى الولاة في ولاية أدرار كان يتم تعيينهم وإنهاء مهامهم إلا بقرار من شيوخ الزوايا. ونتيجة لكل هذا أمكن للزاوية التواتية حل العديد من النزاعات الإقليمية جنوب الجزائر وهو ما سهّل المهمة على الرجل السياسي وصاحب سلطة القرار في الجزائر، لكن هل إستمر دور الزوايا السياسي في الجزائر عموماً وتوات خصوصاً بعد فترة (حكم الرئيس عبد العزيز بوتفليقة رحمه الله)؟. فرغم أن الزاوية كانت زبوناً لدى السلطة وكانت واسطة بينها وبين المجتمع حيث تمثل دورها في إطفاء المظاهرات والتحركات الناقمة على سياسات السلطة. إلا أن العديد منها حافظ على الاستقرار واللحمة الوطنية، إلاّ أن الخطاب الصوفي للزاوية بدأ يجد صعوبة في إيجاد مجال إجتماعي له للتأثير والعنف الرمزي. فالشباب الذين أجريت معهم حوار في وسط مدينة أدرار يختلف متخيلهم عن متخيل السلطة السياسة، فهم يرون أن الزاوية وشيوخها حافظوا على مصالحهم فحسب، ووجهوا كل إمكانات الولاية ومقدراتها إلى غاياتهم، ولم يستغلوا نفوذهم للمطالبة بتوفير الشغل لشباب الولاية خاصة في الشركات البترولية، وهو ما زاد في شخط شباب مدينة أدرار على نشاط الزوايا وأصبحو ينعتونها (بالدولة داخل الدولة). هذا إضافة إلى أن حاملي عقيدة الفكر السلفي والمعارض لفكر

الزوايا وإيديولوجيها إستغل سخط هؤلاء الشباب لجلبهم إلى حقله الدعائي، والملاحظ أن في فترة (الحراك الشعبي) المناهض لترشح الرئيس المرحوم (عبد العزيز بوتفليقة) لوحظ العديد من الشباب يرددون شعارات تنادي بسقوط سيطرة وحكم الزوايا في أدرار لأن الزاوية في مخيلتهم هي السلطة وهي (بوتفليقة)، لذا فالبخصوص في أدرار كانت شعارات (الحراك الشعبي) ناقمة على الزاوية لأنها الوجه المحلي للسلطة البوتفليقية، وفي هذا الصدد يرى الأستاذ (بدر الدين يوسفي)[1] عندما يعطي مثالاً في مقاله عن –زاوية الشيخ محمد بلكبير رحمه الله– أن مجالات نفوذ المؤسسات الدينية في أدرار على المستوى المجالي عرف تراجعاً نتيجة تكوين مجالات نفوذ جديدة منافسة للزاوية كالمؤسسات العمومية الخدماتية الحديثة، وإنشاء الجامعة الإفريقية بأدرار، وكلها مجالات نفوذ جديدة إخترقت مجال الزاوية. ومع بداية ظهور (فيروس كورونا) والإغلاق التام للتجمعات إنقطعت الزيارات والوعدات السنوية وقلت تجمعات الأتباع في الزوايا وهو ما أضعفها في مخليتهم كما ضعفت الزيارات في مخيلة منظميها والمنفقين عليها، وزاد على كل هذا غلاء المعيشة والذي جعل من الصعب على العديد من القصور والزوايا العودة والرجوع إلى تنظيم الزيارات والولائم حيث تم إيقاف العديد منها وما تبقى إلا بعض الوعدات والزيارات التي تنظم ملتقيات وندوات دينية هادفة، دون مظاهر للفلكلور والرقصات الشعبية، وهو ما كان له الأثر السلبي على شيوخ الزوايا والأعيان الذين يسعون للمحافظة دوماً على رأس مالهم الرمزي وتجديد الخطاب الصوفي وإعادة إنتاجه بما يخدم النفوذ الروحي للزاوية.

ورغم كل هذه التحولات التي مست الزاوية كمؤسسة دينية وتراجع دورها السياسي إلا أن العديد من الزوايا في توات بقي محافظاً على هدفه الأسمى والأنبل وهو تعليم الناس أمور دينهم، وتحفيظ الطلبة والتلاميذ للقرءان الكريم وعلوم الدين وإصلاح ذات البين، كما حافظت

[1] بدر الدين يوسفي، مدينة أدرار وفق السياق الحضري الجديد، نحو إعادة تنظيم المجال الجهوي للأقاليم الصحراوية الجنوبية الغربية للجزائر، مجلة إنسانيات عدد مزدوج، 51–52، جانفي– جوان 2011، ص ص 35–41.

على أوقافها وأحباسها ومواردها المالية ولا زالت إلى حد الآن منارة للعلم والعلماء ومقصداً للبركة والفتوى كالزاوية الأنصارية بأنزجمير وزاوية الحاج أحمد المغيلي، وغيرها التي لا زالت مدارسها القرءانية تحافظ على الثقافة والهوية الوطنية والشخصية الجزائرية، وتنأى بالشباب عن الفكر المتطرف والتكفيري وفكر الأقراص. فعلاقة الزاوية بالسلطة السياسية بالجزائر وخصوصاً إقليم توات لا يمكن تعميمها على جميع الزوايا، فهذه العلاقة شملت البعض منها فقط، كالتي قمنا بدراستها حيث عرفت فعالية كبيرة في مرحلة زمنية معينة وفي فترة حكم محددة ولم تعد بنفس الفعالية بعد ذلك، وعلى أية حال تبقى قداسة الزاوية متجدرة في مخيلة المجتمع الأدراري والتواتي عموماً لأن لها رموزاً أكسبوا لهذه الولاية قدراً من الإحترام ونخص بالذكر الشيخ محمد بن الكبير رحمة الله عليه.

قائمة المراجع

قائمة المراجع:

- القرآن الكريم.

أولاً- الكتب:

باللغة العربية:

- إبراهيم جدلة، السياسي في البلاد الإسلامية، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط1، 2016.
- أبو بكر باقادر، حسن رشيق، الأنثروبولوجيا في الوطن العربي، دار الفكر دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 2012.
- أبو بكر باقادر، حسن رشيق، الأنثروبولوجيا في الوطن العربي، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 2012.
- أحمد أبا الصافي جعفري، من تاريخ توات، أبحاث في التراث، دار الحضارة للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، ط1، 2011م.
- إدموند دوني، الصلحاء، مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن التاسع عشر، ت: محمد ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014.
- تامر عباس، تقديس الزعامة، دراسة في ظاهرة الكاريزما السياسية، منشورات الإختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت، ط1، 2015.
- توفيق بن عامر، التجربة الدينية بين الوحدة والتنوع، المركز الثقافي العربي، ط1، 2013.
- جان كوبان، مدخل إلى الإثنولوجيا وإلى الأنثروبولوجيا، ت: عبد الحميد بواريو، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط1، 2018.
- جميل حمداوي، الأنثروبولوجيا الثقافية بين النظرية والتطبيق، دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني، الناظور-تطوان، المملكة المغربية، ط1، 2020.
- جيامبيترو جوبر، إجراء البحث الإثنوغرافي، ت: محمد رشدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2014.

- حسن رشيق، أولويات البحث السيوسيولوجي في العالم العربي، تحليل موافق ومقترحات، مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والإجتماعية، 2022.
- حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، بحث إستطلاعي إجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط6، 1998م.
- رابح درواش، عبد القادر خريبش، الأنثروبولوجيا العامة، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1، 2011.
- رافع علي المدني، الدبلوماسية الناعمة في السياسية الصينية تجاه أفريقيا، العلاقات الصينية– السودانية نموذجاً، 2000–2010، دار الجنان للنشر والتوزيع، عمَّان، ط1، 2016.
- رحمة بورقية، الدولة والسلطة والمجتمع، دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل بالمغرب، دار الطليعة بيروت، ط1، 1991.
- الشيخ محمد باي بلعالم، الرحلة العلمية إلى منطقة توات، لذكر بعض الأحكام والأثار والمخطوطات والعادات، وما يربط توات من الجهات، المجلّد الأول، المجلد الثاني، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر 2011.
- الشيخ مولاي التهامي بن سيدي محمد غيتاوي، سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، العالمية للطباعة والخدمات، الجزائر، 2013.
- الشيخ مولاي التهامي غيتاوي، لفت الأنظار إلى ما وقع من النهب والتخريب والدمار بولاية أدرار إبان احتلال الاستعمار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2011.
- الصديق حاج أحمد آل المغيلي، التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن 11هـ إلى القرن 14هـ، منشورات الحبر، الجزائر، ط2، 2011.
- طواهري ميلود، المقدس الشعبي، تمثلات، مرجعيات، وممارسات، دار الروافد الثقافية ناشرون، ط1، 2016.
- الظاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين 06 م07 الهجريين 12و13 الميلاديين، (نشأته، تياراته، دوره الإجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2004.

- عادل النفاتي، المجتمع والجغرافية الثقافية لبلاد المغارب، حفريات في أدب الرحلة – القرن 16، إفريقيا الشرق، المغرب، 2015.
- عاشور سرقمة، الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات، مدخل الذهنيات الشعبية، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2004.
- عبد الباسط شرقي، التصوف والحواضر الروحية في بلاد المغرب، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، 2019.
- عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، الطباعة العصرية، الجزائر، 2010.
- عبد العزيز شبهي، الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع.
- عبد الغني منديب، الدين والمجتمع، دراسة سوسيو لوجية للتدين بالمغرب أفريقيا الشرق، المغرب، 2006.
- عبد القادر رزيف المخادمي، النزاعات في القارة الأفريقية، انكسار دائم أو انحسار مؤقت، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2005.
- عبد القادر زبادية، دراسة عن ‘إفريقيا جنوب الصحراء مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- عبد اللطيف الهرماسي، في الموروث الديني الإسلامي، قراءة سوسيو تاريخية، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2012.
- عبد الله حمودي، الشيخ والمريد، النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة، ت: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط4، 2010.
- عبد الله حمودي، المسافة والتحليل في صياغة أنثروبولوجيا عربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2019.
- عبد الله كروم، الرحلات بإقليم توات، دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوطة بخزائن توات، دار حلب للنشر، 2007.
- عبد الله مقلاتي، مبارك جعفري، معجم أعلام توات، وزارة الثقافة الجزائر.
- علي الشامي، الدبلوماسية، نشأتها وتطوُّرها وقواعدها، ونظام الحصانات والامتيازات الدبلوماسية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ط3، 2007.

- عمار هلال، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافية العربية في غرب إفريقيا السمراء، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1988.
- عمر سعد الله، الوجيز في حل النزاعات الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، 2012.
- عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان الأنثروبولوجيا –دراسة– إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004.
- فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.
- قارة مبروك بن صالح، الصورة الحقيقية للزوايا والطرق الصوفية، دار علي بن زيد للطباعة والنشر والتوزيع، بسكرة، الجزائر،2013.
- كمال حَّماد، النزاعات الدولية، دراسة قانونية دولية في علم النزاعات، الدار الوطنية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1998.
- ليليا بن سالم وآخرون، الأنثروبولوجيا والتاريخ، حالة المغرب العربي، عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق، دار توبقال للنشر المغرب، ط2، 2007.
- مبارك الجعفري، مقالات وأبحاث حول تاريخ وتراث منطقة توات، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2016.
- مبارك بن الصافي جعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي، خلال القرن 12هـ، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، ط1، 2009.
- مبروك مقدم، مدخل منوغرافي في المجتمع التواتي، الجزء الأول، دار هومة، الجزائر، 2008.
- محمد الصالح حوتية، توات والأزواد، جزء أول، جزء ثاني، دار الكتاب العربي، الجزائر، د.ط، 2007.
- محمد الطاهر بن التواتي السايحي، شيخنا الإمام كما عرفته، سيدي محمد بن الكبير رحمه الله، دار بن خلدون للطبع، تلمسان.
- محمد الكحلاوي، الفكر الصوفي في إفريقية والغرب الإسلامي «القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي» دار الطليعة، بيروت، ط1، 2009.
- محمد بن الطيب، إسلام المتصوفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2007.

- محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية بالرباط، 1964.
- محمد حلمي عبد الوهاب، ولاّة وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، الشبكة العربية للأبحاث، بيروت، لبنان، ط1، 2009.
- محمد دباغ، دراسات في التراث دار الغرب للنشر والتوزيع.
- محمد سوكحال المجاجي، المهذب من الفقه المالكي وأدلته، ج2، عالم المعرفة الجزائر، دار القلم دمشق، 2012.
- محمد ضريف، مؤسسة الزاويا بالمغرب، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، ط1، 1992.
- محمد عبد المجيد محمد، الصوفية والجهاد في سبيل الله، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، الأسكندرية،2004.
- منصور لخضاري، السياسة الأمنية الجزائرية، المحددات، الميادين، التحديات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2015.
- منصور مرقومة، القبيلة والسلطة في المغرب العربي، مقاربة أنثروبولوجية، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2015م.
- نور الدين الزاهي، الزاوية والحزب، الاسلام والسياسة في المجتمع المغربي، إفريقيا الشرق، المغرب، ط3، 2011.
- نور الدين الزاهي، بركة السلطان، دفاتر، وجهة نظر، الرباط.

باللغة الأجنبية:

- AL Fred Bel : La religion muslmane en Berberie. Paris Librairie orientale . Paul Geathner 1938.
- Dale. F.Eickelman : The Middle East. An antHropological approach ; Englewood cliffs. NJ. Prentice Holl . Inc 1989.
- Edouard Montet. Le culte des saints musulmans dans L’afrique du Nord et plus Spècialement au Maroc. Librairie George & cie. Genéve. 1909 .

ثانياً- المجلات والمقالات العلمية:

- بابر جوها نسين، المؤسسات الدينية في بلاد المغارب، ت، إبراهيم شرف الدين، المؤتمر 21، للمستشرقين الألمان، 1980.
- بدر الدين يوسفي، مدينة أدرار وفق السياق الحضري الجديد، نحو إعادة تنظيم المجال الجهوي للأقاليم الصحراوية الجنوبية الغربية للجزائر، مجلة إنسانيات عدد مزدوج، 51-52، جانفي- جوان 2011.
- براهيم بلبالي، وقف زاوية تينيلان بمنطقة توات، رؤية فقهية وقانونية انطلاقا من الوقفية المنشئة له، مجلة دراسات، المجلد 07، العدد01، فبراير2018.
- بكراوي محمد عبد الحق، جهود الزوايا والمدارس القرآنية في جنوب الصحراء الجزائرية في المحافظة على الموروث الديني، دراسة نماذج، مجلة الحقوق والعلوم السياسية، جامعة عباس لغرور خنشلة، العدد08، ج01/جوان 2017.
- بوفلجة حرمة، المدرسة الكنتية الرقادية بزاوية كنتة ودورها التربوي والتعليمي، مجلة رفوف، المجلد السابع، العدد الرابع، ديسمبر 2019.
- حسيبة بلاطس، الإزدهار الاقتصادي والعلمي لإقليم توات وانعكاسه على التواصل ببلدان الساحل الإفريقي ما بين القرنين 16 و20م، الملتقى الوطني حول: التواصل الحضاري بين الجزائر وبلدان الساحل الإفريقي بين القرنين 16 و20، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، يومي 16/15 أكتوبر 2017.
- خير الدين شترة، الإرث الفكري والإصلاحي للشيخ المغيلي في إقليم توات وحواضر السودان الغربي، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 21.
- خير الدين شترة، البعد الثوري للزوايا العلمية بالجزائر خلال المرحلة الاستعمارية، أعمال الندوة السنوية السابعة حول "الزوايا الجزائرية ودورها في مكافحة الاستعمار"، جمعية زاوية مولاي سليمان بن علي بأولاد وشن أدرار، 14 ماي 2012م.
- دحماني لحسن، البركة والتبرك والزواية، مقاربة سوسيولوجية لواقع التدين بالمغرب، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الدراسات الدينية،16 أبريل2019.

- رشيد الأركو، الزوايا المغربية في الفترة المعاصرة وعلاقتها بالدولة، زاوية الطريقة القادرية البودشيشية أنموذجاً، مركز جيل البحث العلمي، جامعة محمد الأول، وجدة، المغرب، العدد 54، يونيو 2019.
- رشيد أمشُنوك، أطروحات أنثروبولوجية وسوسيولوجية حول التصُّوف بالمغرب، محاولة للمسألة، مجلة أنثروبولوجيا، مجلَّد: 05 عدد: 10-2019.
- رشيد جرموني، سوسيولوجيا التحولات الدينية هي المغرب، الفاعل الصوفي نموذجا، العددان، 29-30، 2015.
- رقولي كريم، دور الدبلوماسية الجزائرية في تسوية النزاعات الدولية والإقليمية، حالة الصحراء الغربية، أنموذجا، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، بن عكنون، الجزائر، العدد07، 2017.
- الزهرة تيغزة، الوساطة الجزائرية في حل النزاعات في القارة الإفريقية، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، العدد السابع، جوان 2017.
- صالح بوسليم الهادي هارون، التأثير السياسي للطريقة القادرية في إفريقيا جنوب الصحراء خلال العصر الحديث، مجلة روافد للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، العدد الثاني، 2017م.
- صالح زياني، العلاقات الجزائرية الإفريقية من منظور قوة الدبلوماسية الناعمة وحتمية الإستثمار في الأبعاد الروحية، الملتقى الدولي السابع عشر حول التوجهات الجديدة للدبلوماسية الجزائرية في إفريقيا، يومي 15-16 نوفمبر 2023، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، كلية الحقوق والعلوم السياسية.
- عبد العزيز عموري، الزاوية بين الديني والإجتماعي والسياسي، مجلة ليكسوس الإلكترونية، العدد 26- دجنبر 2020.
- عبد القادر بوحسون، من أعلام الفكر والدين والإصلاح بإقليم توات وبلاد السودان الغربي، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي المتوفي سنة 909هـ، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات، جامعة أدرار، الجزائر، المجلد: 10، العدد 02 جويلية 2022.
- عبد الله بوصوف، في البعد الإفريقي للإسلام المغربي، مجلة العلماء الأفارقة، السنة الأولى، شهر أكتوبر، 2019، العدد الأول.

- عبد الله مامادو باه، وآخرون، مالي عودة الإستعمار القديم، مجموعة أبحاث منتدى العلاقات العربية والدولية، ط1، 2014.
- علي محمد دياب، مفهوما الإقليم وعلم الأقليم، من منظور جغرافي بشري، مجلة جامعة دمشق، المجلد28، العدد الثاني، 2012.
- العماري الطيب، الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر، التحول من الديني إلى الدنيوي ومن القدسي إلى السياسي، دراسة أنثروبولوجية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد15-جوان2014.
- فوزي نور الدين، إستراتيجية القوة الناعمة ودورها في تعزيز البعد الإفريقي للسياسة الخارجية الجزائرية، الملتقى الدولي السابع حول التوجهات الجديدة للدبلوماسية الجزائرية في إفريقيا يومي 15-16 نوفمبر 2023، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، كلية الحقوق والعلوم السياسية.
- قاسم الحادك، الزوايا والطرق الصوفية في المغرب: من خدمة المخزن وتكريس شريعته إلى مسالمة المستعمر ومهادنته، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد الأول، سبتمبر 2013.
- مارتن غريفيش، تيري أوكالاهان، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، مركز الخليج للأبحاث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، 2008.
- محمد العمراني، تاريخ المؤسسات الدينية بالمغرب، الرباطات والزوايا نموذجا، المناهل، أبحاث ودراسات.
- محمد علي الصديق، إطلالة على التصوف المغربي وتاريخه، مجلة دعوة الحق، العدد285 محرم1412، غشت1991.
- محمد محمدي، المساجد والزوايا ببجاية ودورها في حفظ الدين والفكر الصوفي، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد2013/13.
- محمد مصباح، الانثروبولوجيا الانغلو ساكسونية في المغرب: تقييم الاطروحة الانقسامية لغيلنر، مجلة إضافات، العدد الرابع عشر، ربيع 2011.
- مختار مروفل، أنثروبولوجية المغرب، بيرك، بورديو، جالنر، وجارتز نموذجاً.

- مسيح الدين تسعديت، المقاربة الجزائرية لبناء السلم في الساحل الإفريقي: الرهانات والتحديات، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، العدد الرابع، ديسمبر 2015.
- مسيح الدين تسعديت، النزاع الممتد في مالي من كيدال 1963 إلى اتفاق واغادوغو 2013، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، العدد الأول، جوان 2014.
- مصطفى صايح، الجزائر والأمن الإقليمي، التسوية الدبلوماسية لأزمة مالي وانعكاساتها المستقبلية على الأمن الإقليمي، المجلة الجزائرية للدراسات السياسية، العدد الثاني، ديسمبر 2014.
- نفيسة الذهبي، الزوايا المغربية في القرن11هـ/17م، قراءة تركيبية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة.

ثالثاً- الرسائل والمذكرات:

- أحمد الغزالي، مساهمة في البحث عن زوايا بني يزناسن القادرية البودشيشية نموذجاً.
- أحمد عاشوري، الأصول السوسيوثقافية للزاويا في الجنوب الغربي للجزائر، زاوية سيدي أحمد المجدوب بولاية النعامة أنموذجاً، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، تخصص علم الاجتماع، السنة الجامعية 2017/2016.
- بن الحاج جلول لزرق، الممارسات الطقوسية في «طعم سيدي أمحمد بن عودة»- بغيليزان- مقارنة أنثروبولوجية، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجيا، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، كلية العلوم الاجتماعية قسم علم الاجتماع، السنة الجامعية 2011/2010.
- بن حدو فاطمة الزهراء، دور الزاوية في المدينة، مقاربة سوسيوأنثروبولوجية لزاوية سيدي الجازولي بولهاصة ولاية عين تموشنت، مذكرة ماجستير في علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة وهران السانيا، الجزائر، 2011-2012.
- بن لباد الغالي، الزوايا في الغرب الجزائري التيجانية والعلوية والقادرية، دراسة أنثروبولوجية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا، جامعة أبو بكر بلقايد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية، السنة الجامعية 2008-2009.

- بوشاقور علي عمر أمينة، الطرق الصوفية والصراع السياسي في المغرب الاسلامي، أحمد بن يوسف الملياني نموذجاً، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية، المدرسة الدكتورالية الدين والمجتمع، لسنة الجامعية 2013/2012.
- بوطية عبد الغني، المدينة الصوفية، مدينة مستغانم نموذجاً، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في علم الإجتماع، تخصص علم الإجتماع الحضري، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، السنة الجامعية 2019/2020.
- بومدين أولاجي، التصوف والمتصوفة، قراءة تحليلية للواقع الاجتماعي بالجزائر، عهد الدايات (1671م/1830م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، السنة الجامعية 2021/2020.
- حليمة كحلاوي، الحياة الثقافية بتوات الوسطى خلال القرنين (12هـ 14هـ،/ 18م-20م)، مذكرة ماجستير، تخصص التاريخ الثقافي والاجتماعي المغاربي عبر العصور، جامعة العقيد أحمد دراية- ادرار- كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، 2015، 2016.
- دودي عواطف، العلماء والتّجار المغاربة ودورهم الحضاري في السودان الغربي بين القرنين (16-19م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ، تخصص: تاريخ بلاد المغرب الحديث، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، 2021-2022م.
- سالمي زينب، الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08-10 هجرية، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، 2011-2012.
- سراج جيلالي، زيارة الأضرحة وأثرها في المعتقدات الشعبية، ضريح سيدي يوسف الشريف نموذجاً، رسالة ماجستير في الأنثروبولوجيا، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية السنة الجامعية 2015/2014.

- سمية بلعيد، النزاعات الأثنية في إفريقيا وتأثيرها على مسار الديمقراطية فيها، جمهورية الكونغو الديمقراطية نموذجا، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، كلية الحقوق، جامعة مثوري، قسنطينة، 2009، 2010.
- عبد الحميد العوض القطيني محمد، الوسائل السليمة لتسوية النزاع الدولي، رسالة دكتوراه في القانون، جامعة شندي، السودان، 2016.
- عبد الرحمن بعثمان، القضاء في منطقة توات خلال القرن 18/17م، رسالة دكتوراه في التاريخ والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، كلية العلوم الانسانية والعلوم الإسلامية، 2015،2016.
- عبد الله بابا، الزاوية البكري ودورها الثقافي والاجتماعي بإقليم توات من 1112-1421هـ/ 1700-2000م، رسالة ماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبد العصور، الجامعة الإفريقية احمد دراية- أدرار- كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الاسلامية، 2011، 2012.
- ليلى قارة، الوساطة الجزائرية في النزاع الداخلي المالي، 2010/1963، رسالة ماجستير، في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، كلية العلوم لسياسية في الاعلام، جامعة الجزائر 03، 2011/2010.
- محمد دردور، الاستراتيجية الجزائرية في محيطها الإقليمي على ضوء التغيرات السياسية الجديدة، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل 2021-2022.
- محمد مفتاح، التيار الصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب، اثناء القرن الثامن الهجري/ ق 14م، أطروحة جامعية لنيل دكتوراه الدولة في الأدب العربي، طبعة مرقونة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1981.
- منير فيصل عبد الله السلطان، الوساطة أداة رئيسية من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية الكويتية عربيا وإسلامياً، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب، 2012.
- هدى بكري محمد مختار، الوسائل السلمية لحل النزاعات الدولية، رسالة ماجستير في القانون، جامعة أفريقيا العالمية، مجلة الشريعة والقانون.

- ياسين بودريعة، أوقاف الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني، من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بين المال والبايلك، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ حديث، جامعة بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، السنة الجامعية 2006-2007.
- رشيدة شدري معمّر، السلطة الروحية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية "1518-1830"، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر 02، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، 2017-2018.
- إيدابير أحمد، التعددية الإثنية والأمن المجتمعي: دراسة حالة مالي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، تخصص الدراسات الأمنية والإستراتيجية، جامعة الجزائر 03، كلية العلوم السياسية والإعلام، السنة الجامعية 2011-2012.
- علالي حكيمة، البعد الأمني في السياسة الخارجية، نموذج الجزائر، مذكرة ماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، تخصص: الديمقراطية والحكم الراشد، جامعة منثوري، قسنطينة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2010-2011.

دليل معطيات المقابلة الميدانية:

رقم المقابلة	هوية الفاعل
01	البروفيسور أحمد جعفري: أستاذ عميد كلية الآداب ومهتم بالتراث والتحقيق في المخطوطات بجامعة أدرار.
02	الحاج البكري البكري: رئيس المجلس الشعبي الولائي لولاية أدرار سابقاً والناطق الرسمي لزاوية الشيخ الحاج أحمد ديدي تمنطيط ولاية أدرار.
03	الشيخ بن همادة الميمون آل الشيخ الكنتي: مدير مركز الشيخ المختار الكنتي للحبث والتوثيق (غاو) دولة مالي.
04	الشيخ المعروف أيداوعلي: شيخ زاوية سيدي إبراهيم وأحد أعيان ولاية أدرار والجنوب الكبير.
05	نجل الشيخ مولاي التهامي غيتاوي: شيخ زاوية الإمام مالك ابن أنس "أوقديم ولاية أدرار".
06	البروفيسور محمد الصالح حوتية: نائب مدير مكلف بالبحث العلمي للمعهد الوطني العالي بأدرار" ومدير مركز جامعة التكوين التواصل حالياً ومهتم بتراث وتاريخ توات.
07	مصطفى بن دهينة: كاتب صحفي، ومدير محطة بشار الجهوية للتلفزيون الجزائري، مهتم بتوثيق العديد من الأشرطة المهتمة بتراث توات.
08	ين موسى تيه: إمام وشيخ مدرسة قرءانية وأحد مهندسي مبادرة مولاي التهامي غيتاوي للصلح في مالي وله عدة مبادرات للصلح بين قبائل التوارق الجزائرية والمالية.
09	جعفري علي: إمام مكلف بالتدريس في زاوية مولاي التهامي غيتاوي بأوقديم أدرار.

ملخص الدراسة:

حاولت الدراسة معالجة موضوع مؤسسة دينية هي الزاوية، والتي تعتبر ركيزة في البناء الديني للمجتمع تاريخياً وحاضراً داخل مجالها الحقلي، حيث لعبت أدواراً تعليمية وتربوية وروحية جعلت لها حضوراً قوي لدى الناشئة والأتباع. وهذا ما دفع بالدراسة إلى معالجة موضوع الزاوية، من جانب تسليط الضوء على تأثير خطابها الصوفي ومكانتها الرمزية وإعادة إنتاج هذا الخطاب دوماً بما يتوافق مع مستجدات الحاجة الروحية للمجتمع المحلي، وكيف أعتبرت حامية للتدين الشعبي، ومتنفساً لمريديها ومحسنيها. واستمدت قوة مادية وسياسية في تأسيسها، زيادة على أوقافها وأحباسها، وهو ما مكنها من لعب دورها السياسي بالإضافة إلى الديني وتقوية سلطتها الرمزية في متخيل المجتمع من جهة والسلطة السياسية من جهة أخرى، وهذا إنطلاقاً من دورها في حل الخصومات محلياً وصولاً إلى إعتماد صاحب القرار السياسي عليها في الوساطة والدبلوماسية السياسية لحل النزاعات خارج مجالها الإقليمي مستغلاً إمتدادها الروحي والتأثيري فيه. وهذا النموذج تمثل في إختيار دراسة زاويتي "مولاي التهامي" و"إيداوعلي سيدي إبراهيم" بإقليم توات أدرار، قصد البحث والكشف عن المقترب الأنثروبولوجي لدور الزاوية والجمع بين خطابها الديني والسياسي بما يحق التكامل بين السلطة الدينية والسياسية للاستفادة من القداسة الروحية لشيوخ الزوايا وخطابهم الصوفي الرمزي. بما يضمن الإستقرار الإجتماعي والقومي للبلاد.

الكلمات المفتاحية:

الزاوية – النزاع السياسي – الإقليم – الدبلوماسية – الوساطة

Abstract:

The study attempted to address the topic of a religious institution known as the zaouia, which is considered a cornerstone in the religious structure of the community historically and currently within its field of operation. It has played educational, pedagogical, and spiritual roles that have established a strong presence among the youth and followers. This prompted the study to examine the topic of the zaouia by highlighting the impact of its Sufi discourse and its symbolic status, as well as how this discourse is constantly reproduced in accordance with the evolving spiritual needs of the local community, and how it is regarded as a protector of popular religiosity and an outlet for its devotees and benefactors. It drew material and political power in its establishment, in addition to its endowments and foundations, which enabled it to play its political role alongside its religious one and strengthen its symbolic authority in the society's imagination on one hand and the political authority on the other. This was rooted in its role in resolving local disputes to the extent that the political decision-maker relied on it for mediation and political diplomacy to resolve conflicts outside its regional sphere, exploiting its spiritual and influential extension in it. This model was exemplified in the

choice to study the Zawiya of 'Moulay Tahami' and 'Idaouali Sidi Ibrahim' in the Touat region of Adrar, to explore and reveal the anthropological approach to the role of the Zawiya and to integrate its religious and political discourse in order to achieve a complementarity between religious and political authority, benefiting from the spiritual sanctity of the Sufi leaders of the Zawiyas and their symbolic discourse. This ensures the social and national stability of the country.

Keywords: Zawiya – political conflict – region – diplomacy – mediation

Résumé:

L'étude a tenté d'aborder le sujet d'une institution religieuse connue sous le nom de zaouïa, considérée comme une pierre angulaire de la structure religieuse de la communauté, historiquement et actuellement dans son champ d'action. Elle a joué un rôle éducatif, pédagogique et spirituel qui lui a permis d'établir une forte présence auprès des jeunes et des fidèles. Ceci a incité l'étude à examiner le sujet de la zaouïa en soulignant l'impact de son discours soufi et de son statut symbolique, ainsi que la manière dont ce discours est constamment reproduit en fonction de l'évolution des besoins spirituels de la communauté locale, et comment elle est considérée comme un protecteur de la religiosité populaire et un exutoire pour ses fidèles et bienfaiteurs. Elle a tiré un pouvoir matériel et politique de sa création, en plus de ses dotations et fondations, ce qui lui a permis de jouer son rôle politique parallèlement à son rôle religieux et de renforcer son autorité symbolique dans l'imaginaire social d'une part et son autorité politique d'autre part. Français Cela était enraciné dans son rôle dans la résolution des conflits locaux dans la mesure où le décideur politique s'appuyait sur elle pour la médiation et la diplomatie politique afin de résoudre les conflits en dehors de sa sphère régionale, exploitant son extension spirituelle et influente dans celle-ci. Ce modèle a été illustré par le choix d'étudier la Zawiya de « Moulay Tahami » et « Idaouali Sidi Ibrahim » dans la région du Touat d'Adrar, pour explorer et révéler l'approche anthropologique du rôle de la Zawiya et intégrer son discours religieux et politique afin de réaliser une complémentarité entre l'autorité religieuse et politique, bénéficiant de la sainteté spirituelle des chefs soufis des Zawiyas et de leur discours symbolique. Cela garantit la stabilité sociale et nationale du pays.

Mots-clés : Angle - Conflit politique - Région - Diplomatie - Médiation